AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00855 3640

بیارد خودم

LG
511
C45
K45
1954
v.3
c.1

محمد عبد المنعم خفاجي

الأزهر في ألف عام

الجزء الثالث

١٣٧٤ هـ

٢٧٧ ٨
ع م ٢٠٣
٧٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٧٧ ٨
ع م ٢٠٣
ص ٢
١٥

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

حقوق الطبع محفوظة

43819

المطبعة المنيرية بالأزهر

الباب السابع

حول الأزهر ورسالته

— ١ —

كانت الغفوة الكبرى التى أصابت العالم الإسلامى فى القرون الوسطى ذات اثر بعيد فى حيانه السياسية والعقلية والاجتماعية فى القرن التاسع عشر.

لم يبعد المسلمون هذه الحقبة الطويلة كثيرا عن تقاليد الشرق ، وإنما جافوا روح الاسلام ، وجهلوا مبادئه وأهدافه ، ووقفوا أمام تيار النهضة الغربية جاهلين عاجزين أذلاء . وبادرهم المستعمرون بتحطيم ما بقى فى أجسامهم من منعة ، وفى قلوبهم من إيمان ، وفى أرواحهم من عزة ومثل عليا ... وكانت الأحداث الكبرى التى هزت العالم الاسلامى هزا عنيفا داعية للمفكرين والمصلحين أن يجاهدوا فى سبيل البعث والاحياء وتجديد الحياة والأمل فى نفوس المسلمين . واقترن ذلك بدعوات جريئة للاصلاح ، انبعثت من رجال الدين حينا ، ومن غيرهم حينا آخر . من أمثال محمد ابن عبدالوهاب م ١٢٠٦هـ ، والسيد أحمد خان الهندى م ١٨٩٨ ، والسيد أمير على ، والكواكبى م ١٩٠٢ ، وجمال الدين الأفغانى ١٨٩٧م ، ومحمد عبده ١٩٠٥م ، وسواهم من دعاة الاصلاح ، وحملة رسالته .

كان السيد جمال الدين الأفغانى يريد تحرير الشعوب الاسلامية من العبودية والاستعمار ، وتكوين حكومة إسلامية موحدة تهتدى بهدى الاسلام ، وبعث الروح القومى فى الشرق عن طريق الاصلاح الدينى العام . . وكان محمد عبده يريد النهوض بالشرق الاسلامى سياسيا عن طريق النهضة الثقافية به ، ويرى أن الاسلام هو السبيل لتمهيد حركة الاصلاح وتغذيتها ، وأنه هو والعقل والعلم إخوة ، ولذلك دأب على الدعوة إلى تصحيح العقيدة ، وإذاعة رسالة الاسلام ، وإيقاظ الشعور العام بإيقاظ الروح الدينى .. وخفتت بعد محمد عبده دعوة الاصلاح فى الشرق ، وإن لمعت جذوتها حينا فى أفكار الشيخ مصطفى المراغى ، رحمه الله ، الذى كان يعمل للنهوض بالأزهر الحديث حتى يصل إلى مستوى الجامعات الكبرى فى الشرق

والغرب .. كما أضاءت الشعلة حينا آخر فى آراء الشيخ مصطفى عبدالرازق وحمروش وعبدالمجيدسليم ، الذين كانوا يحرصون على إحياء التعارف والتعاون بين المسلمين عامة . ولكن هذه الآثار لم تكن على جانب خطير من الأهمية فى الاصلاح الدينى فى الشعوب الاسلامية فى القرن العشرين .

— ٢ —

رسالة الأزهر فى رأى المراغى :

رسالة الأزهر عنده هى حمل رسالة الاسلام .. ومتى عرفت رسالته عرفت رسالة الأزهر . والاسلام دين جاء لتهذيب البشر ورفع مستوى الانسانية والسمو بالنفوس إلى أرفع درجات العز والكرامة ، طوح الاسلام بالوسطاء بين الناس وربهم ، ووصل بين العبد وربه ، ولم يجعل لأحد فضلا على أحد إلا بالتقوى ، وقدس العلم والعلماء ، وقرر فى غير لبس ما يليق بذات الخالق من الصفات ، وما قرره فى ذلك هو منتهى ما سمت إليه الحكمة ، ووصل إليه العقل ، وفرض عبادات كلها ترجع إلى تهذيب النفس وتلطيف الوجدان ، وأبان أصول الأخلاق ، وقرر التمتع بالطيبات ولم يحرم إلا الخبائث ، ووضع حدودا تحد من طغيان النفوس ونزوات الشهوات ، ووضع أصول النظم الاجتماعية وأصول القوانين : قواعد كلها لخير البشر وسعادة المجتمع الانسانى .. هذه صورة مصغرة جدا للدين الاسلامى ، وشرح قواعده وأسراره ، ومتى أدى الأزهر هذه الرسالة على وجهها فقد أدى نصيبا عظيما من السعادة والخير للجمعية الانسانية . وفى القرآن الكريم حث شديد على العلم ، وعلى معرفة الله وعلى تدبر ما فى الكون ، وليس هناك علم يخرج موضوعه عن الخالق والمخلوق . فالدين الاسلامى يحث على تعلم جميع المعارف الحقة . وليس فى المعارف الصحيحة المستقرة شىء يمكن أن يناقض أصول الدين ويهدمها ، نعم قد توجد معارف تناقض ما وضعه العلماء فى شرح القرآن والحديث والفقه وغير ذلك ، ولكننا لا نهتم لهذا . فليسر العلم فى طريقه ، ولنصحح معارف الماضين ، ولكن على شريطة أن يكون ما يخالف معارفنا من العلم البرهانى المستقر ، ولم يقصد من هذا أن يكون الأزهر مدرسة طب أو هندسة ، أو كلية للكيمياء أو ما يشبه هذا : ولكنه يعنى أن هناك علوما ومعارف لها صلة بالدين وثيقة ، تعين على فهمه ، وتبرهن على صحته ، ويدفع بها عنه

الشبهات . فهذه العلوم يجب أن يتعلمها العالم الدينى أو يتعلم منها القدر الضرورى لما يوجه إليه .

وقد تغيرت فى العالم طرق عرض السلع التجارية ، وأصبح الاعلان عنها ضروريا لنشرها وترغيب الناس فيها . ولديكم الحوانيت القديمة ومخازن التجارة الحديثة ، فقارنوا بينها تدركوا ما فى طريقة العرض الحديثة من جمال يجذب النفوس إليها ، وما فى طريقة العرض القديمة من تشويه ينفر النفس منها . وقد توجد فى الحوانيت القديمة سلع أحسن صنفا وأكثر قيمة وأمتن مادة ، ومع ذلك فهى فى كساد ، وكما تغيرت طريقة عرض السلع تغيرت طريقة عرض العلم ، وأحدث العلماء طرائق تبعث الرغبة الملحة فى العلم ، وتنفى عنه الملل والسأم ، حدثت هذه الطرق فى إلقاء الدروس والمحاضرات ، وحدثت فى تأليف الكتب أيضا ، وهذا المثل ينطبق علينا ، ففى جميع الكتب التى تدرس فى الأزهر ، وفى جميع العلوم التى تدرس فى الأزهر ، أعلاق نفيسة لا تحتاج إلا إلى تغيير طريقة العرض فى الدرس والتأليف ، وفى الفقه الاسلامى نظريات تعد الآن أحدث النظريات عند رجال القانون ، وفى الفقه الاسلامى آراء يمكن أن يسير عليها الناس الآن من غير حرج ، وهى تحقق العدالة فى أكمل صورها . ولكن هذه النظريات البالغة منتهى الجمال والحكمة يحجبها عن الناس أسلوب التأليف القديم .

على الأزهر أن يسهل فهم علومه على الناس ، وأن ييسر لهم هذه المعارف ، وأن يعرضها عرضا حديثا جذابا مشوقا ، ومسألة أخرى يجب أن يعنى الأزهر بها : هى تطهير الدين الاسلامى من البدع ، وما أضيف إليه بسبب الجهل بأسراره ومقاصده ، فهناك آراء منثورة فى كتب المذاهب وفى غير كتب المذاهب يحسن سترها ضنا بكرامة الفقه والدين .

من الواجب أن يعترف بأن المذاهب الاسلامية جملة تغنى عن الاجتهاد فى المسائل التى عرضت من قبل متى تخير العلماء منها ، وأذكر قصة طريفة تجدونها فى كتاب الولاة والقضاة للكندى : « كان فى مصر قاض شافعى المذهب فى عصر الامام الطحاوى . وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه محقق للعدل من آراء الأئمة ولا يتقيد بمذهب . وكان مرضى الأحكام لم يستطع أحد ان يطعن عليه فى دينه وخلقه ، سأل ذلك القاضى الامام الطحاوى عن رأيه فى واقعة من الوقعات . فقال الطحاوى: أتسألنى عن رأيى أو عن راى ابى حنيفة ؟ قال القاضى : ولم هذا السؤال ؟ قال

الطحاوى : ظننتك تحسبنى مقلداً . فقال القاضى : مايقلد إلا عصى أو غى ؟ » ، فتخير الأحكام نوع من الاجتهاد ، ولكنه الاجتهاد الذى لم يغلق الناس أبوابه ، فإصلاح التعليم فى الأزهر واجب اجتماعى لإصلاح الأمم الإسلامية على مختلف أقطارها وأجناسها ، وعلى كل مسلم أن يساهم فيه إذا استطاع إلى ذلك سبيلا ، وأنا نرجو الله سبحانه أن يوفق العلماء وطلاب العلم إلى الاخلاص فى ذلك إخلاصا لله ولرسوله وللمؤمنين وللدين الحق الذى وعد الله أن يظهره على الدين كله ، وجعله هداية عامة لجميع البشر .. ونصيحة أقدمها إلى العلماء وطلاب العلم فى الأزهر راجيا تدبرها ، وهى احترام حرية الرأى ، والتحرج من الاتهام بالزندقة والكفر ، ولا نطالب بشىء يعد بدعة ، ولا نحدث فى الدين حدثا بهذه النصيحة ، فهى موافقة للقواعد التى وضعها سلف الأمة رضى الله عنهم . وترونها مبسوطة واضحة فى كتب الأصول وفى جميع كتب الامام الغزالى ، وحاصلها — على ما أذكر — أن المسائل الفقهية يكفر منكر الضرورى منها كالصلاة والزكاة وحرمة الزنا وشرب الخمر وقتل النفس والربا ، أما إنكار أن الاجماع حجة ، وخبر الواحد حجة ، والقياس حجة ، فلا يوجب الكفر ، وما عدا ذلك من المسائل الفقهية لاإثم فى إنكاره مطلقا ، على شرط أن يكون الانكار غير مصادم لنص أو إجماع .

على هذا أجمع الصحابة رضى الله عنهم ، وأجمع عليه الأئمة ، ولم يعرف أن بعضهم أثم بعضا ، وعلى الجملة فما دام المسلم فى دائرة القرآن لا يكذب شيئا منه ، ولا يكذب ماصح عن رسوله صلى الله عليه وسلم بطريق قاطعة ، فهو مسلم لايحل لأحد أن يتهمه بالكفر .. عرضنا لهذه النصيحة لأنها تسهل على أهل الأزهر معاشرة الناس ، والعمل بها يمكن من نشر الدعوة ومن الجدل بطرقه المقبولة ، والعمل على خلافها منفر يحدث الشقاق ويورث العداوة .

وإذا كانت مهمة الأزهر حمل رسالة الإسلام للعالم ، فمن أول واجب على أهله أن يعدوا أنفسهم لتعلم اللغات ، لغات الأمم الاسلامية وغير الأمم الاسلامية ، والله لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم ، فليحقق الأزهر القدوة ، وليرسل إلى الناس رسلا يفقهونهم فى دينهم بلسانهم . . وقد عنى المراغى بهذه المسألة كما عنى بتثقيف إخواننا الذين أسماهم القانون «أغرابا» ، فان لهم من الحقوق والحرية فى هذا الوطن مالكل فرد من أهل البلاد ، ونرجو أن يفكروا

طويلا فيما يفرضه عليهم دينهم من الهداية والارشاد وإسعاد المجتمع .

— ٣ —

وكان الشيخ عبد المجيد سليم يرى وهو فى أول مشيخته الأولى اقتران الاصلاح الدينى فى العالم الاسلامى بإصلاح الازهر الشريف .

ومهمة الازهر فى رأيه جد خطيرة ، فهى تشتمل : « تعليم أبناء الأمة الاسلامية دينهم ولغة كتابهم ، تعليما قويا مثمرا ، يجعلهم حملة للشريعة ، أئمة فى الدين واللغة ، حفاظاً حراساً لكتاب الله وسنة رسوله وتراث السلف الصالح والقيام بما أوجبه الله على الأمة من تبليغ دعوته ، وإقامة حجته ، ونشر دينه ... فعلى رعاية هذين الجانبين يجب أن تقوم خطة الاصلاح فى الازهر ، وأن يعمل العاملون على تحقيق آمال الأمة فيه (١) »

ووسائل إصلاح هذه الجامعة الاسلامية العتيدة تتلخص فى رأيه فيما يلى :

١ — مراجعة الكتب الدراسية ، وإبقاء الصالح منها ، واختيار لون جديد يوجه الطلاب توجيها حسنا إلى العلم النافع من أقرب طريق وأيسره

٢ — تشجيع حركة التاليف والتجديد عن طريق الجوائز العلمية وغيرها حتى يتصل حبل العلم ... وتوجيه العلماء إلى وضع بحوث فى الفقه والتشريع تساير الروح العلمى الحاضر

٣ — إعداد جيل قوى من أبناء الازهر يستطيع أن يحمل الرسالة ، فان الأمة تريد من الازهر أن يخرج لها علماء فى الدين والشريعة واللغة وسائر العلوم العقلية والاجتماعية المتصلة بها ، على أن يكون هؤلاء العلماء مزودين مع هذا بقدر صالح من العلوم الأخرى التى تفيدهم فى مجتمعهم ثقافة عامة ، وفى هذا يقول أيضاً موجهاً كلمته إلى الازهريين : نصيحتى اليكم أن تعلموا أنكم مجندون فى سبيل الله ، فأقبلوا على دراستكم ، وتجملوا بالفضيلة بينكم وبين الناس ، لتحقيق آمال الامة فيكم ، وإعلاء كلمة الدين والعلم بكم (٢)

٤ — تشجيع حركة البعوث العلمية التى يرسلها الازهر إلى جامعات أوربا للتزود من شتى الثقافات .. ولابدع فإن العلم رحم « بين الناس كافة » كما يقول الاستاذ

---

(١) من حديث له فى المؤتمر الصحفى بإدارة الازهر فى أول نوفمبر عام ١٩٥٠

(٢) من كلمة أذاعها فى أول العام الهجرى ١٣٧٠ هـ

سليم لعلماء جامعات أوربا الذين زاروا مكتبه فى زيارتهم للازهر الشريف .

٥ — تنظيم هذه الجامعة الكبرى تنظيما يتفق مع خطر رسالتها ، ويساعدها على أداء هذه الرسالة ، بإنشاء مكتبة كبرى ، ودار كبيرة للطباعة ، وإكمال مبانى الأزهر الجامعى ، تمهيدا للاحتفال بعيده الألفى ، إلى غير ذلك من وسائل الاصلاح :

أما مهمة الأزهر فى سبيل الاصلاح الدينى فى مصر والشرق الاسلامى فتتلخص فيما يلى :

١ — العناية بإصلاح حالة الأسر بإصلاح شؤونها ، ودعم كيانها ، عن طريق بحث التشريعات اللازمة لها : فى الزواج ، والطلاق ، والنفقة ، والحضانة ، والولاية ، وما اليها (١)

٢ — نشر الدين والثقافة فى كل ناحية

٣ — إرسال البعوث الأزهرية إلى شتى أرجاء البلاد الاسلامية لدراسة أحوالها وتهذيب أبنائها

٤ — تشجيع البعوث الوافدة على الأزهر ، وبناء دار كبرى لاقامتهم ، ورعاية شؤونهم العلمية والخلقية والدينية

٥ — ربط الأزهر بشتى الجامعات الشرقية ، وإنشاء مراكز ثقافية له فى عواصم البلاد الاسلامية

وأما مهمة الازهر فى الدعوة إلى الدين فى العالم ، فهى كما يرى تشمل ما يأتى :

١ — توجيه العلماء إلى وضع مؤلفات باللغات الأجنبية ، لبيان حقيقة الاسلام ومزاياه

٢ — إنشاء إدارة للدعاية الاسلامية ، تتولى توجيه الناس إلى الاسلام ومبادئه الخالدة

٣ — ترجمة تفسير القرآن الكريم الى اللغات الاجنبية

ويرى الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش أن رسالة الأزهر تقوم على دعامة التوجيه العلمى لنظم الدراسة فيه ، لتكوين جيل قوى كفء من أبنائه يتحلى بصفات العلماء ، ومواهب وأخلاق رجال الدين ، دون نظرة إلى الكثرة والعدد ، وأن هذا

---

(١) من حديث له نشر فى الاهرام فى ٢٨ - ١٠ - ١٩٥٠

الجيل القوى يستطيع أن يؤدى رسالة الأزهر العلمية والدينية فى مصر والشرق الاسلامى ، وقد بدأ الشيخ فى مشيخته بالتفكير فى طبع رسائل للتعريف بالدين بشتى اللغات ، وبفتح القاعة الكبرى للأزهر لمحاضرات علمية وتوجيهية يلقيها كبار شيوخ الأزهر

— ٥ —

وقد نشر الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء كتابا عنوانه «رسالة الأزهر فى القرن العشرين» ، ذهب فيه إلى أن رسالة الأزهر هى أن يفهم الناس الدين على وجهه وأن ننقيه من التفسيرات الخاطئة التى دخلت عليه ، وفوق ذلك عليه أن يعنى بأخلاق الأمة وتقاليدها .

وقد أخذ الاستاذ على الازهر أن التعليم فى الازهر لم يعن بالخلق كما يجب ، وأن الإقبال على العلم بين جدرانه أصبح ضعيفا ، وأن المادية قد دخلت فيه وأفسدت الكثير من حياته .

وأبان أن ثقة الأمة فى الازهر تضعف شيئا فشيئا لعوامل كثيرة : منها قلة الانتاج العلمى فى محيطه ، وانقلاب الأزهريين إلى موظفين لاغير ، وضعف نفسية الازهرى وثقافته وأفق تفكيره ، وعدم وجود بيئة صالحة فى وسط الازهر .

كما ترجع إلى الفساد الذى استشرى فى الازهر من الناحية الادارية وغيرها ، وإلى بعد الازهر عن الحياة العامة ، وإلى عدم انتظام الامور فيه فى الكثير ، وانعدام تنفيذ قوانين الازهر ، وعدم أخذ الأمور بالحزم ، والسياسة الحزبية التى تفسد على الأزهر كل شىء ، وتدخل فى وسطه للهدم والتدمير .

— ٦ —

وفى عام ١٣٦٢ هـ — ١٩٤٤ ألقى الاستاذ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء محاضرة فى دار كلية الشريعة عنوانها « السياسة التوجيهية العلمية فى الازهر » تتصل برسالة الازهر ، وجاء فيها :

الغرض من الجامع الازهر ، كما جاء فى المادة الاولى من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الازهر ، وهو آخر تعديل لهذا التنظيم :-

١ — القيام على حفظ الشريعة الغراء : أصولها ، وفروعها ، واللغة العربية ، وعلى نشرهما .

٢ — تخريج علماء يوكل اليهم تعليم علوم الدين واللغة فى مختلف المعاهد والمدارس ويلون الوظائف الشرعية فى الدولة .

وهذا هو الغرض من الجامع الأزهر ، لا من تاريخ هذا القانون فقط ، ولا من تاريخ أول قانون وضع لتنظيم الأزهر ، ولكنه غرضه من يوم أن انسلخت عن الأزهر الصبغة الشيعية التى أنشىء لتركيزها وتنميتها والقضاء بها على المذاهب الأخرى . من يوم أن تولى الظاهر بيبرس ملك مصر سنة ٦٥٨ هجرية ، وأعاد إلى الأزهر حياته العلمية التى أبطلها صلاح الدين الأيوبى عملا منه على إزالة كل أثر للفاطميين ، فمن ذلك الحين — فقط — تبتدىء حياة الأزهر العلمية التى لا تتقيد برأى ولا مذهب ، ولا تقتصر على علم من العلوم ، فقد درست فيه جميع العلوم الشرعية على اختلاف المذاهب والأصول ، ودرست فيه علوم اللغة العربية بجميع مذاهبها وآرائها ، ودرست فيه آراء علماء العقيدة لا فرق بين فرقة وفرقة ، كما درس فيه كثير من العلوم الرياضية والعقلية ، مما رأى سلفنا أن له نفعاً فى تكوين الفكرة الاسلامية ، وخدمة الشريعة واللغة ، كان هذا هو الغرض من الجامع الازهر منذ ذلك الحين ، ولم يكن موزعاً على طلاب العلم بحيث يختص كل فريق منهم بناحية معينة على نحو ما نرى اليوم ، بل كان جميع طلابه ينهلون من جميع علومه ، لا اختصاص لأحد بعلم ، إلا ما كان عن طريق الاستعداد الفطرى ، والميل النفسى ، وقد مرت بالأزهر أطوار مختلفة ، كان فيها بين الصحة والمرض ، والتقدم والتأخر ، والنهوض والتقاعد ، والانتاج والعقم ، ولسنا بصدد الكلام عن هذه الأطوار التى طواها التاريخ بما لها أو عليها ، ولكن مما يهمنا فى هذا الحديث ، أن نعرف أن هذه الأطوار ختمت بعهد تجمعت فيه علل ماض طويل ، وأخذت تعمل عملها فى صرف الأزهر عن التفكير والانتاج ، وعن كل نافع من العلوم العقلية والكونية ، وانتهت مظاهر العلم والتفكير فيه إلى أن تغلبت المبادىء الآتية :

١ — تغلبت العناية بالمناقشات اللفظية ، وتتبع كلمات المؤلفين فى المصنفات والشروح والحواشى والتقارير على الروح العلمية الموضوعية التى من شأنها أن تخدم الفكرة ، بقطع النظر عما يتصل بها من لفظ وعبارات .

٢ — تغلبت روح التقديس للاراء والأفهام التى دونها السابقون ، والسمو بها عن مستوى النقد ، وعدم الاكتراث بما قد يظهر من آراء جديدة ، ولو كان لها من السداد والقوة ما لها .

٣ ـ تغلبت نزعة الاشتغال بالفروض والاحتمالات العقلية التى لاتقع ومايتصل بها من أحكام ، فتراهم يقولون : لو طلقها نصف تطليقة أو ربع تطليقة ، ولو قال لها أنت طالق إن شئت ، فقالت له : شئت إن شئت ، وتراهم يقولون : لو تزوج جنية ، فالحكم فى النسب والميراث كذا ...

ولقد أكثروا من هـــذا فى العبادات والمعاملات ، وأنفقوا فيه من الوقت والتفكير ماكان جديراً بهم أن يدخروه للنافع المفيد ، ووصل الأمر فى ذلك إلى أن الكمال بن الهمام وهو من أفذاذ علماء القرن التاسع يقول : ومن مسائل قبل وبعد ماقيل منظوما

رجل علق الطلاق بشهر قبل ما بعد قبله رمضان

ثم يندفع فى تخريج هذا الفرض وبيان حكمه ، ثم يأتى بعده ابن نجيم الحنفى ـ صاحب البحر والأشباه ـ فيتولى الشرح والبيان والتكميل ويقول : «إن هذا البيت يمكن انشاده على ثمانية أوجه ، الخ .

ويشاركه فى ذلك علماء عصره ثم يأتى من بعدهم ابن عابدين من علماء القرن الثالث عشر فيضع رسالة فى هـــذا الفرض تحت عنوان « إتحاف الذكى النبيه ، بجواب مايقول الفقيه » ، يشرح فيها أبياتا أولها :

ما يقول الفقيـــه أيده اللـ ـه ولا زال عنده الاحسان
فى فتى علق الطلاق بشهر قبل مابعده قبله رمضان

ويورد فى الرسالة آراء جميع من تقدمه من العلماء فى الشرح والحكم ، ولا بد أن يجعل الجواب نظما كالسؤال ، وهكذا اشتغل المتأخرون بمثل هذه الفروض وأعرضوا بها عن تنمية الفقه العملى الذى يحتاج اليه الناس فى معاملاتهم وقضيتهم .

٤ ـ تغلبت نزعة الاشتغال باختراع الحيل التى يتخلص بها من الحكم الشرعى ، ولقد تناولت هذه الحيل كثيرا من أبواب الفقه ، ولم تقف عند الحد الذى أثر عن الأئمة من جعلها وسيلة للتخلص من ضرر أو مكروه ، بل افترضوا حيلا يسقطون بها الواجبات ، ويفسدون بها الالتزامات ، فتجد حيلا لإسقاط الزكاة وحيلا لاسقاط حق الشفعة ، وحيلا لاسقاط عدة المطلقة ، وحيلا لاسقاط الحدود .. وهكذا مما لايتفق ومقاصد الشريعة ـ ولقد أطنب ابن القيم أحد أفذاذ علماء القرن الثامن فى كتابيه « أعلام الموقعين ، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان » فى الرد على فكرة الاحتيال على هـــذا النحو ، وبين أنها مضادة لروح التشريع ، وقال : « إن

المتأخرين أحدثوا حيلا لم يصح القول بها عن أحد من الأئمة ، ونسبوها اليهم وهم مخطئون » ، وإذا علمنا أن العناية بالاحتيال الفقهى وصل أمرها إلى أن جعلوه فناً من كتبهم ، وبابا من أبوابها ، لأخذ منا العجب ماأخذه ، فهذا ابن نجيم من علماء القرن العاشر يضع عنوانا فى كتابه (الأشباه والنظائر) فيقول « الفن الخامس من الأشباه والنظائر وهو فن الحيل » .

٥ — تغلبت روح التعصب المذهبى الشديد ، حتى وصل الأمر فى ذلك بين أتباع الائمة إلى المناقشة فى صحة الاقتداء بالمخالف فى المذهب ، وأخذت هذه المسألة فى كل مذهب مجالا واسعا فى البحث والتفريع ، ووصل الأمر أيضاً إلى البحث عن حكم التزوج من الشافعية ، فترى الكمال بن الهمام وهو فى الكلام على حكم التزوج بالوثنيات ينقل عن أحد علماء الحنفية : أنه لا تجوز المناكحة بين أهل السنة والاعتزال ، ثم يقول بعد هذا النقل : « ومقتضاه منع مناكحة الشافعية » ، واختلف فيها هكذا : قيل يجوز ، وقيل يتزوج بنتهم ولا يزوجهم بنته » . وترى أثر هذه النزعة فى حكم الحاكم بحل متروك التسمية عمداً ، وفى حكم العقد الذى يشترط فيه بعض المذاهب مالا يشترط البعض الآخر .. وهكذا وصل التعصب المذهبى إلى مثل هذا الحد ، وصارت المذاهب بين المسلمين - أو بين أبناء الأزهر - أديانا يتقاتل أهلها ، ويضلل بعضهم بعضا ، وهى لا تخرج عن أنها آراء وأفهام حذر أئمتها الأولون من تقليدها والعمل بها دون الاطمئنان اليها بمعرفة الحجة والبرهان .

٦ — تغلبت الفكرة القائلة بتحريم تقليد غير المذاهب الأربعة ، فحجروا واسعاً ، ومنعوا رحمة اختص الله بها هذه الأمة ، ولقد ظهرت هذه الفكرة على وجه أوضح منذ عهد قريب ، يوم وضع الأستاذ الشيخ المراغى ، مشروع الزواج والطلاق ، فقام ثلاثة من علماء الازهر بعمل مذكرة تناهض هذا المشروع ، وتبنى مناهضتها على أنه لا يجوز تقليد غير المذاهب الاربعة فكتب المراغى مذكرة قيمة ، لها خطرها فى التوجيه الفقهى والتشريعى ، بين فيها كثيراً من مسائل الأجتهاد والتقليد ، كما بين آراء العلماء فى تأثر الفقه بالعرف والعادة ، ويجدر بنا فى هذا المقام أن نعلم أن العلماء الذين تناولوا هذه المسألة قديما واستساغوا أن يحكموا بمنع تقليد غير الاربعة لم ينظروا إلى خصوصية فى ذات المذاهب الاربعة ، وإنما جعلوا مناط التقليد على وجه العموم الثقة بالمذهب الذى يقلد ، واطمئنان النفس إلى صحة النقل عنه ، فمن ثبت عنده رأى من آراء الائمة أو الصحابة جاز له تقليده والعمل

بمقتضاه ، لافرق بين إمام وإمام ، ولا بين الاربعة وغيرهم ، ولهذا يقول الشيخ عزالدين بن عبد السلام « لاخلاف بين الفريقين فى الحقيقة ، بل ان تحقق ثبوت مذهب عن واحد منهم جاز تقليده ، وفاقا ، وإلا فلا » ، ويقول أيضاً « إذا صح عن بعض الصحابة مذهب فى حكم من الأحكام لم تجز مخالفته إلا بدليل أوضح من دليله » ، ومن هنا يقول القرافى : « انعقد الاجماع على أن من أسلم فله أن يقلد من شاء من العلماء بغير حجر ، وأجمع الصحابة على أن من استفتى أبا بكر وعمر فله أن يستفتى أباهريرة ومعاذ بن جبل وغيرهما ، ويعمل بقولهما من غير نكير ، فمن ادعى دفع هذين الاجماعين فعليه الدليل » اه ، هـــذا هو أصل الفكرة فانظروا كيف حرفت وجعل التقليد خاصا بالمذاهب الأربعة ، بل جعل واجبا يذكر تبيين مايجب على المكلف أن يدين به ويعتقده ، فيقول بعض المؤلفين فى منظومته : « وواجب تقليد حبر منهم »

ورث الأزهر أيضا فكرة أن من قلد إماما من الإمة الاربعة فليس له أن يحيد عنه ، بل يجب عليه أن يلتزمه بدون حجة ولابحث وراء دليل ، ولا يصح أن يقلد غيره ولو فى غير ماقلده فيه ، ومذكرة الثلاثة التى أشرنا اليها قد تأثرت بهذه الفكرة أيضا ؛ فأوجبت على القاضى أن يحكم بمذهبه ، وحظرت عليه أن يحكم بغيره ، وذلك على الرغم من أن علماء الأصول يقولون فى هـــذه المسألة « والأصح أنه لايلزم ، إذ لاواجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الائمة فيقلده فى دينه وفى كل مايأتى ويذر دون غيره »

ورث الازهر أيضا القول بحرمة تتبع رخص المذاهب حتى جعلوا عدم تتبع ذلك شرطا فى صحة تقليد غير الامام ، وصاحب التحرير يقول أيضا فى هذه المسألة : « ولايمنع منه مانع شرعى ، إذ للانسان أن يسلك الأخف عليه إذا كان له اليه سبيل ، ولا أدرى مايمنع هذا من العقل والسمع ، وكون الانسان يتبع ماهو أخف على نفسه من قول مجتهد مسوغ له الاجتهاد ، ما علمت من الشرع ذمه عليه ، وكان صلى الله عليه وسلم يحب مايخف على أمته »

وورث الازهر فكرة كان لها أثر خطير فى انحرافه عن سبيل التفكير الصحيح وتقدير الآراء بقيمتها العلمية : هى خطة المعاداة لطائفة من العلماء نضجت عقولهم وأدركوا أسرار الشريعة ، وخالفوا الناس فى كثير مما درجوا عليه ، وتحرروا من الاغلال التى قيد المقلدون بها أنفسهم ، حكم الازهر عليهم بأحكام جائرة ،

وشكك فى تدينهم وإخلاصهم وآرائهم ، وشوهوا فى الكتب وعلى السنة الدعاة بغير حق ، وجعل ذلك سبيلا إلى رفض العمل بآرائهم ، وعدم الاعتداد بافكارهم فصرفت الانظار عنهم ، وصرنا نسمع من أسباب رفض الرأى : هذا رأى ابن تيمية ، وابن تيمة ضال مضل ، وهذا قول ابن القيم تلميذه ، كما يقال : هذا رأى الزمخشرى وهو معتزلى ، أوابن رشد وهو فيلسوف . . . وهكذا ، كأن هؤلاء ليسوا من أهل العلم ، ولا من رجال البحث أو كأن الحق وقف على طائفة من الناس لايعدوها . . وأخيرا ورث الازهر فى ذلك العهد : القول بتحريم الاشتغال بالعلوم العقلية والرياضية وأخذ يحارب المشتغلين بها جيلا من الزمن ، ولعل من الطريف فى ذلك أن نشير إلى الاستفتاء الذى تقدم به بعض الناس إلى الشيخ الانبابى شيخ الجامع الازهر ، وإلى مفتى الديار المصرية الشيخ محمد البنا سنة ١٣٠٥ هـ يسألون فيه : هل يجوز تعلم المسلمين للعلوم الرياضية ، مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وغيرها من سائر المعارف ؟ وهل يجوز قراءتها كما تقرأ العلوم الآلية من نحو وغيره فى الجامع الازهر ؟

هذه هى التركة المثقلة التى خلفتها العصور المظلمة ، واحتملها الازهر فى طور مرضه الشديد كعقائد دينية ، وواجبات يرى أن يتمسك بها ، وأن يذود عنها ، وأن يرمى خارج محيطه بمن يفكر فى التحلل منها ، ولقد كانت النتيجة الحتمية لهذا الميراث الثقيل أن وقفت حركة التفكير العلمى فى الازهر ، وحرم نفسه لذة البحث والنقد ، وانحصرت مظاهر التبريز والنبوغ فيه فى القدرة على حل المشاكل اللفظية فى المتون والشروح والحواشى - التى تعود على العلم بكبير فائدة ، وبهذا انقطعت علاقة الازهر بالأمة فى تفكيره وعلومه وتشريعه ، وأصبحت النظرات المتبادلة بينهما كالنظرات المتبادلة بين طائفتين ضاقت كل منهما ذرعا بصاحبتها ، وأخذت تتربص بها الاحداث والدوائر .

ظل الازهر كذلك حتى هيأ الله له — على سنة الله سبحانه : من عدم إخلاء الأمم ممن يعرف الحق ويدعو اليه — واحدا من أبنائه لاينسى التاريخ فضله ، هو الاستاذ الامام المصلح له الشيخ محمد عبده رحمه الله ورضى عنه . صاح بالازهر صيحة أيقظته من نومه ، ونبهته بعض الشىء إلى واجبه ، وكانت مبادئه وأفكاره بمثابة شعاع انبثق فى أفق الازهر ، انتفع به من انتفع ، وازور عنه من ازور ، ولكنه مع مقوبل به من محاولات متعددة لاطفائه ، ظل قويا وهاجا يجذب اليه

أنظار المؤمنين ، وينفذ إلى بصائر المخلصين ، ويعلو ويتسع أفقه شيئا بعد شيء . ومنذ ذلك الحين اتجهت الأنظار إلى وضع نظم من شأنها أن تمكن الأزهر من الانتفاع بهذا النور ، والسير على هداه حتى يقوم برسالته ، ويصل إلى غرضه المنشود ، فوضعت نظم متلاحقة متشابهة ضمت إلى العلوم الشرعية والعربية كثيراً من العلوم العقلية والرياضية فاتسع لها صدر الأزهر ، وهضمتها عقليته الجديدة . والأزهر الآن فى كلياته ومعاهده والقضاء الشرعى والافتاء ، والوعظ والارشاد فى المساجد وغيرها ، كل أولئك ينتفعون بطائفة كبيرة من العلماء الذين تخرجوا فى ظلال هذه النظم ، لهم أثر واضح فى حياة الامة من جميع نواحيها ، واستمر الأزهر كذلك إلى أن تولى مشيخة الأزهر للمرة الأولى الشيخ محمد مصطفى المراغى ، وهو من أبناء الأزهر الذين عرفوا تاريخه ، وأدركوا علله وأمراضه ، وهو إلى جانب ذلك تلميذ بروحه وعلمه وعقله وتفكيره للاستاذ الامام محمد عبده ، فوضع مذكرته التى تصف علل الازهر وأدواءه ، وتصف الدواء الناجح لهذه العلل .

« ولكن العلماء فى القرون الأخيرة استكانوا إلى الراحة ، وظنوا أن لا مطمع لهم فى الاجتهاد ، فاقفلوا أبوابه ، ورضوا بالتقليد ، وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم ، وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس ، وجهلوا طرق التفكير الحديثة ، وطرق البحث الحديث ، وجهلوا ماجد فى الحياة من علم وماجد فيها من من مذاهب وآراء ، فأعرض الناس عنهم ، ونقموا هم على الناس ، فلم يؤدوا الواجب الدينى الذى خصصوا أنفسهم له ، وأصبح الاسلام بلا حملة ، وبلا دعاة بالمعنى الذى يتطلبه الدين » . ويقول فى شان النظم المتقدمة : « وإنى أقرر مع الأسف أن كل الجهود التى بذلت لاصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر فى إصلاح التعليم ، وأقرر أن نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه ، وقد صار من الحتم لحماية الدين ، لا لحماية الازهر ، أن يغير التعليم فى المعاهد ، وأن تكون الخطوة إلى هذا جريئة ، يقصد بها وجه الله تعالى ، فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصراخ ، فقد قرنت كل الاصلاحات العظيمة فى العالم بمثل هذه الضجة » .

ويقول فى وصف الكتب : « هى كتب معقدة لها طريقة خاصة فى التاليف ، لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية ، وإنما يفهمها من مارسها ومرن على فهمها ، وعرف إصلاح مؤلفتها » . ويقول فيما يختص بدراسة الفقه :

« يجب أن يدرس الفقه الاسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ،

وأن تدرس قواعده مرتبطة باصولها من الأدلة ، وان تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالاحكام المنصوص عليها فى الكتاب والسنة ، والاحكام المجمع عليها ، والنظر فى الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والامكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة ، كما كان يفعل السلف من الفقهاء » . ويقول فيما يختص بدراسة التفسير والحديث : « يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة ، وأن يفهمها على وفق ماتتطلبه اللغة العربية ، وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة ، وأن يبتعد فى تفسيرهما عن كل ماأظهر العلم بطلانه ، وعن كل مالا يتفق وقواعد اللغة العربية » .

هذه هى مذكرة المراغى التى جعلها دستوره فى الاصلاح ، والتى علقت عليه الأمة من أجلها آمالها فى إعلاء شأن الدين وانهاض أهله ، وقد رأى تنفيذاً لأغراض هذه المذكرة الاصلاحية ، توزيع التعليم العالى فى الأزهر على شعب ثلاث : شعبة للتفسير والتوحيد وتعرف باسم كلية أصول الدين ، وشعبة للغة العربية وتعرف باسم كلية اللغة العربية ، وشعبة للفقه والأصول وتعرف باسم كلية الشريعة . تنوع التعليم العالى إلى هذه الكليات الثلاث ، ووضعت مناهج لكل كلية تبين علومها الأساسية والاضافية ، وجعل وراء ذلك تخصصات « وإجازات » موزعة على هذه الكليات الثلاث .

— ٧ —

ويرى الدكتور محمد عبد الله دراز : أن أبدع طابع تمتاز به الجامعة الأزهرية ، ليس هو أنها قد جمعت فى تعليمها بين هذين العنصرين الروحى والزمنى ، اللذين نراهما منفصلين فى سائر الجامعات ، بل ميزتها الكبرى هى أن الميدان الذى تتدفق فيه حيويتها يتجاوز كل حدود التعليم والتثقيف ، ويرتقى إلى دور من أهم الأدوار فى توجيه حياة الجماعة . إن رسالة الازهر على الجملة ، إنما هى امتداد لرسالة الاسلام ، ألا وإن الاسلام ليس مجموعة مبادىء نظرية تغرس فى الاذهان وحسب ، وإنما هو قوة دافعة خلاقة ، غايتها أن تنظم السلوك الانسانى تنظيما فعليا ، طبقاً لاسمى المثل وأسلسها قياداً على التنفيذ العملى . فليس يكفيه إذاً أن يبين هذه المبادىء دون أن يسهر على تطبيقها . . . وهذا التطبيق لايخص سلوك الفرد فى نفسه ، أو فى أماكن عبادته وكنى ، لأن قانون الاسلام ، الذى هو موضوع التطبيق ، لايعرف هذا الفصل بين الدين وشؤون الحياة ، بل إن قواعده العملية تمتد إلى جميع ميادين

النشاط الاقتصادى والأخلاقى ، فى حياة الفرد ، والأسرة . والأمة ، بل فى حياة الجماعة الانسانية كلها .

وقد عنى الأزهر - إلى جانب تكوينه لأسرة التدريس - بتخريج جماعة من المصلحين الاجتماعيين ، ليكونوا فى صلة دائمة بالشعب ، ويتجهوا إليه بإرشاداتهم فى كل مناسبة . ولدى الأزهر منهم الآن أكثر من ٢٥٠ واعظا ، موزعون توزيعا متناسبا بين العاصمة وسائر الأقاليم ، وإن « العدالة » و « الأمن » لمدينان أعظم الدين لجميل نصائحهم التى يوجهونها إلى الجماهير ، وإلى الأسوة الحسنة التى يقدمونها لهم فى سيرتهم الشخصية ، وإلى طرق الاصلاح التى يمهدونها لهم فى المنازعات ، كما تشهد بذلك السجلات الرسمية . وفى الوقت نفسه نجد فى الأزهر لجنة دائمة من العلماء تتلقى المكاتبات من كل سائل ، عما أشكل عليه من أحوال السلوك وشؤون المعاملات ، وتجيبه بما يزيل شبهته ، وينير له السبيل السوى .

ومن وراء ذلك كله - وفوق كل هذه الخدمات الجليلة - يتمتع الأزهر بسلطة معنوية أكثر عمقا ، وأبعد حدوداً ، يستعملها فى توجيه المجتمع الاسلامى ، لا فى مصر وحدها ، بل فى سائر البلاد الاسلامية . وها هنا أيضا لا تعوزنا الشواهد لابراز هذه الحقيقة . فلقد أتى على عرش مصر لحظة من الزمن ، فى سنة ١٨٠٥ م ، كان فيها يبدو مترددا بين « خورشيد » و « محمد على » . فكان الثقل الذى وضعه نفوذ الأزهر هو الذى رجح كفة الميزان فى جانب محمد على ، ووضع الباب العالى أمام الأمر الواقع فى اختياره والياً على مصر . وفى سنة ١٩١٩ كان الأزهر هو المنبر الذى ارتفع منه أقوى صوت فى المطالبة بالغاء الحماية الانجليزية ، وكان حرم الأزهر هو المهد الذى ولدت فيه الوحدة التى لا تنفصم عراها بين أقباط مصر ومسلميها ، لاحباط الدسائس البريطانية التى حيكت للتفريق بين العنصرين : أما نفوذ الأزهر فى الأقطار الاسلامية فليس من نوع ذلك النفوذ الغامض البعيد ، الذى يتمتع به الأزهر بفضل مهابة اسمه وجلال مركزه فحسب ، بل إن له فى تحقيقه وسائل حية ، وأدوات ناطقة . نعم ، أليس للأزهر ممثلوه فى أقطار الاسلام ، ولتلك الأقطار ممثلوها فيه ؟ أو ليس هؤلاء الممثلون من الجانبين هم حلقة الاتصال المتبادل الذى يحفظ وينمى هذه العلاقات الوثيقة بين الطرفين فى مختلف النواحى الثقافية والأدبية والروحية ؟

فأما من احد الجانبين ، فإن الدولة الاسلامية لاتفتا تلتمس من الأزهر فى كل عام ، عددا من علمائه ليبصروا شعوبها بحقائق الاسلام ، أو ليكونوا أعضاء فى هيئات التدريس فى جامعاتها ومعاهدها ، ولا يسع الأزهر إلا أن يرحب دائما بنداتهم فلا يرد لهم ملتمساً . وقد بلغ الآن عدد المندوبين من علماء الأزهر فى خارج القطر ١٢٥ مدرسا فى الأقطار الممتدة من جزائر الفيليبين إلى مملكة ليبيا . بل إن الدول الغربية قد أفادت من نظام الانتداب المذكور ، سواء لتغذية جامعاتها ، أو لادارة مراكز الاسلام الثقافية فيها . وما نحن أولاء نرى من أساتذة الأزهر مندوبين بالفعل فى « لوندره » و « واشنطن » و « سان فرانسيسكو » ، وقد نرى قريبا وصول هذا المدد إلى « باريس » أيضاً . . .

ونعود إلى الأقطار الاسلامية فنقول : إن صلتها الوثيقة بالأزهر تقوم - من جهة أخرى - على تلك الألوف من شباب المتعلمين الوافدين منها ، والذين يتبناهم الأزهر فيطبعهم بطابعه ، ويصنعهم على طرازه . وإن الحفاوة التى يقدمها لهم لمفعمة بأنواع الكرم والضيافة . فهو يؤويهم بالمجان ، ويمنح كلا منهم شهريا مقدارا من المال كافيا لمعيشته ، وعلى الرغم من زيادة عددهم عاما بعد عام ، فإن هذه المرتبات يجدونها مكفولة لهم على الدوام ، كما أن الجامعة تهيىء لهم فى أثناء العام رحلات مدرسية بالمجان إلى الأماكن الأثرية ومعالم السياحة ، وتعد لهم فى الصيف مقاما هادئا على شواطىء البحر فى الاسكندرية . وفى نهاية دراستهم تمنحهم شهادات ينتفعون بها عند عودتهم ، لا فى التدريس فحسب ، بل فى مختلف المناصب فى بلادهم . ولقد بلغ عدد هؤلاء الضيوف فى هذا العام اكثر من ثلاثة آلاف طالب ، هم سفراء الأزهر غداً إلى بلادهم . فإذا سارت الأمور على هذا المنوال لم تمض بضع عشرات من السنين حتى يكون الأزهر قد جعل من جميع الشعوب الاسلامية أمة واحدة متجانسة فى ثقافتها ، كما هى متجانسة فى عقيدتها وآدابها .

على أن الرسالة الحقيقية للأزهر لن تتحقق على وجهها الأكمل إلا إذا تجاوزت حدودها الاقليمية فى الشرق الاسلامى ، وأسمعت صوتها من وراء تلك الحدود .

نعم إننا اليوم - وقد تنازعت العالم قوى متناحرة ، وآراء متنافرة ، قد عجزت أطرافها أن تلتقى عند حد وسط يوفق بينها . وقد أخذت فى صراعها تسرع بنا الخطا نحو الكارثة الكبرى - أقول إننا اليوم لفى أمس الحاجة إلى قوة ثالثة تتسم بطابع التعادل والتوازن ، لا عن طريق التلفيق بين عناصر متناكرة ، بل عن طريق وحدة

طبيعية متماسكة يتالف فيها عنصر المادة والروح ، وتتساند فيها مطامح المنفعة وعواطف الايثار ، وتتعانق فيها حرية الفرد وسلطان الدولة ، وتندرج بها المصالح القومية فى نطاق الرحمة الانسانية العالمية ، وبالجملة فإننا اليوم فى أشد الحاجة إلى تلك الحكمة الشرقية الاسلامية التى يعد الأزهر خير ممثل لآدابها ، ويوم يتمكن الأزهر من أن يصوغ هذه السياسة الرشيدة فى أسلوب واضح سائغ محدد ، ويتيسر له من الوسائل ماينشر به هـذه المبادىء فى الميدان العالمى ، ويبدى فيه المعسكران المتصارعان فى الوقت نفسه من حسن النية وقوة العزيمة مايجعلهما يصغيان إلى ندائه الحكيم يومئذ يكون لنا أن نتحدث بحق وصدق عن « السلام الشامل » و « الأمن العالمى الكامل » لاحلما من نسيج الأوهام ، ولكن حقيقة حية صالحة للبقاء .

— ٧ —

ويرى مصطفى صادق الرافعى أن أول شىء فى رسالة الأزهر فى القرن العشرين عنده ، أن يكون أهله قوة إلهية معدة للنصر ، مهيأة للنضال ، مسددة للاصابة ، مقدرة فى طبيعتها أحسن تقدير ، تشعر الناس بالاطمئنان إلى عملها ، وتوحى إلى كل من يراها الايمان الثابت بمعناها ، ولن يتأتى لهم هذا إلا إذا انقلبوا إلى طبيعتهم الصحية ، فلا يكون العلم تحرفا ولا مهنة ، ولايكون فى أوراق الكتب خيـال . . . بل تظهر فيهم العظمة الروحانية آمرة ناهية فى المادة لامأمورة منهية بها ويرتفع كل منهم بنفسه ، فيكون مقرر خلق فى الحياة قبـل أن يكون معلم علم ، لينبث منهم مغناطيس النبوة يجذب النفوس بهم أقوى مما يجذبها ضلالات العصر ، فما يحتاج الناس فى هذ الزمن إلى العالم — وإن الكتب والعلوم لتملأ الدنيا — وإنما يحتاجون إلى ضمير العالم ، وقد عجزت المدنية أن توجد هذا الضمير ، مع أن الاسلام فى حقيقته ليس شيئا إلا قانون هـذا الضمير ، إذ هو دين قائم على أن الله لاينظر من الانسان إلى صورته ولكن إلى عمله ، فأول ماينبغى أن يحمله الأزهر من رسالته ضمائر أهله .

والناس خاضعون للمادة بقانون حيانهم ، وبقانون آخر هو قانون القرن العشرين . . . فهم من ثم فى أشد الحاجة إلى أن يجدوا بينهم المتسلط على المادة بقانون حياته ليروا بأعينهم القوى الدنيئة مغلوبة ، ثم ليجدوا فى هذا الانسان أساس القدوة والاحتذاء فيتصلوا منه بقوتين : قوة التعليم وقوة التحويل .. هذا هو سر الاسلام الأول الذى نفذ به من أمة إلى أمة ولم يقم له شىء يصده إذ كان ينفذ فى الطبيعة الانسانية نفسها .

ومن أخص واجبات الازهر فى هذا القرن العشرين أن يعمل اول شىء لاقرار معنى الاسلام الصحيح فى المسلمين أنفسهم ، فان أكثرهم اليوم قد أصبحوا مسلمين بالنسب لاغير ... ومامنهم إلا من هو فى حاجة إلى تجديد الاسلام . والحكومات الاسلامية عاجزة فى هذا ، بل هى من اسباب هذا الشر لأن لها وجودا سياسيا ووجوداً مدنيا ، أما الأزهر فهو وحده الذى يصلح لاتمام نقص الحكومة فى هذا الباب ، وهو وحده الذى يسعه ماتعجز عنه ، وأسباب نجاحه مهيأة ثابتة إذ كان له بقوة التاريخ حكم الزعامة الاسلامية ، وكانت فيه عند المسلمين بقية الوحى على الأرض ، ثم كان هو صورة المزاج النفسى الاسلامى المحض ، بيد أنه فرط فى واجب هذه الزعامة وفقد القوة التى كان يحكم بها وهى قوة المثل الأعلى التى كانت تجعل الرجل من علمائه كما قلنا مرة ، إنسانا تتخيره المعانى الانسانية تظهر فيه بأسلوب عملى فيكون فى قومه ضرباً من التربية والتعليم بقاعدة منتزعة من مثالها مشروحة بهذا المثال نفسه ، والعقيدة فى سواد الناس بغير هذا المثل الأعلى هى أول مغلوب فى صراع قوة الحياة .. لقد اعتاد المسلمون من قديم أن يجعلوا أبصارهم إلى علماء الأزهر ، ولذلك فهم يتبعونهم ويتأسون بهم ويمنحونهم الطاعة وينزلون على حكمهم ويلتمسون فى سيرتهم التفسير لمشكلات النفس ويعرفون بهم معنى صغر الدنيا ومعنى كبر الاعمال العظيمة ، وكان غنى العالم الدينى شيئا غير المال بل شيئا أعظم من المال إذ كان يجد حقيقة الغنى فى إجلال الناس لفقره كأنه ملك لافقير ، وكان زهده قوة حاكمة فيها الصلابة والشدة والهيبة والسمو وفيها كل سلطان الخير والشر لأن فيها كل النزعات الاستقلالية ، ويكاد الزهد الصحيح يكون هو وحده القوة التى تجعل علماء الدين حقائق مؤثرة عاملة فى حياة الناس أغنياءهم وفقراءهم ، لاحقائق متروكة لنفسها يوحش الناس منها أنها متروكة لنفسها ، وعلماء الازهر فى الحقيقة هم قوانين نفسية نافذة على الشعب ، وعملهم أرد على الناس من قوانين الحكومة ، بل هم التصحيح لهذه القوانين إذا جرت الامور على عللها وأسبابها ، فيجب عليهم أن يحققوا وجودهم وأن يتناولوا الأمة من ناحية قلوبها وأرواحها ، وأن يعدوا تلاميذهم فى الازهر كما يعدون القوانين الدقيقة لاطلاباً يرتزقون بالعلم ، أين صوت الازهر وعمله فى هذه الحياة المائجة بما فى السطح وما فى القاع . . . وأين وحى هذه القوة التى ميثاقها أن تجعل النبوة كأنها شىء واقع فى الحياة العصرية لاخبر تاريخى فيها . ؟ لقد أصبح إيمان المسلمين كأنه عادة الايمان لا الايمان نفسه ، ورجع الإسلام فى كتبه الفقهية وكأنه أديان مختلفة متناقضة

لادين واحد . فرسالة الأزهر أن يجدد عمل النبوة فى الشعب ، وأن ينقى عمل التاريخ فى الكتب ، وأن يبطل عمل الوثنية فى العادات ، وأن يعطى الأمة دينها الواضح السمح الميسر وقانونها العملى الذى فيه سعادتها وقوتها ، ولا وسيلة إلى ذلك إلا أن يكون الأزهر جريئاً فى قيادة الحركة الروحية الاسلامية ، جريئاً فى عمله لهذه القيادة ، آخذا بأسباب هذا العمل ، ملحاً فى طلب هذه الأسباب . مصراً على هذا الطلب . وكل هذا يكون عبثاً إن لم يكن رجال الأزهر وطلبته أمثلة من الأمثلة القوية فى الدين والخلق والصلابة لتبدأ الحالة النفسية فيهم ، فانها إن بدأت لاتقف ، والمثل الاعلى حاكم بطبيعته على الانسانية مطاع بحكمه فيها . محبوب بطاعتها له . والمادة المطهرة الدين والاخلاق لاتجدها الامة إلافى الازهر ، فعلى الازهر أن يثبت أن فيه تلك المادة باظهار عملها لا بالصاق الورقة المكتوب فيها الاسم على الزجاجة . . ومن ثم يكون واجب الازهر أن يطلب الاشراف على التعليم الاسلامى فى المدارس وأن يدفع الحركة الدينية دفعاً بوسائل مختلفة : أولها أن يحمل وزارة المعارف على إقامة فرض الصلاة فى جميع مدارسها ، وأن يقود مدرسة حرية الفكر . . والامة الاسلامية كلها تشد رأى الأزهر فى هذا . وإذا نحن استخرجنا التفسير العملى لهذه الآية الكريمة : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » دلتنا الآية بنفسها على كل تلك الوسائل ، فما الحكمة هنا إلا السياسة الاجتماعية فى العمل . وليست الموعظة الحسنة إلا الطريقة النفسية فى الدعوة ، العلماء ورثة الأنبياء . وليس النبى من الانبياء إلا تاريخ شدائد ومحن ، ومجاهدة فى هداية الناس ، ومراغمة للوجود الفاسد ، ومكابدة التصحيح للحالة النفسية الأمة . فهذا كله هو الذى يورث عن الانبياء لا العلم وتعليمه فقط .

وإذا قامت رسالة الازهر على هذه الحقائق ، وأصبح وجوده هو المعنى المتمم للحكومة المعاونة لها فى ضبط الحياة النفسية للشعب وحياطتها وأمنها ورفاهتها واستقرارها — اتجهت طبيعته إلى أداء رسالته الكبرى للقرن العشرين بعد أن يكون قد حقق الذرائع إلى هـــذه الرسالة من فتح باب الاجتهاد وتنقية التاريخ الفقهى وتهذيب الروح الاسلامى والسمو به عن المعانى الكلامية الجدلية السخيفة ، ثم استخرج أسرار القرآن الكريم المكتنة فيه لهذه العصور العلمية الاخيرة ، وبعد أن يكون قد اجتمعت فيه القوة التى تمسك الاسلام على سنته بين القديم والجديد ، لا ينكره هذا ولا بغيره ذاك ، وبعد أن يكون الازهر قد استفاض على العالم العربى

بكتبه ودعاته ومبعوثيه من حاملى علمه ورسل إلهامه .

أما تلك الرسالة الكبرى فهى بث الدعوة الاسلامية فى أوربا وأمريكا واليابان، بلغات الاوروبيين والامريكيين واليابانيين فى ألسنة أزهرية مرهفة مصقولة لها بيان الادب ودقة العلم وإحاطة الفلسفة ، وإلهام الشعر ، وبصيرة الحكمة ، وقدرة السياسة ، ألسنة أزهرية لايوجد الآن منها لسان واحد فى الأزهر ، ولكنها لن توجد إلا فى الازهر ، ولا قيمة لرسالته فى القرن العشرين إذا هو لم يوجدها فتكون المتكلمة عنه والحاملة لرسالته ، وما هذه البعثات التى قرر الازهر ابتعاثها إلى أوربا إلا أول تاريخ تلك الألسنة .

أنا مستيقن أن فيلسوف الاسلام الذى سينتشر الدين على يده فى أوربا وأمريكا لن يخرج إلا من الازهر ، وما كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله إلا أول التطور المنتهى إلى هذه الغاية ، وسيكون عمل فلاسفة الازهر استخراج قانون السعادة لتلك الأمم من آداب الاسلام وأعماله ثم مخاطبة الأمم بأفكارها وعواطفها والافضاء من ذلك إلى ضميرها الاجتماعى فان أول الدين هناك أسلوبه الذى يظهر به.

هذه هى رسالة الازهر فى القرن العشرين يتحقق بوسائلها من الآن ، ومن وسائلها أن يعالن بها لتكون موثقاً عليه ، ويحسن بالأزهر فى سبيل ذلك أن يضم اليه كل مفكر إسلامى ذى إلهام أو بحث دقيق أو إحاطة شاملة ، فتكون له ألقاب علمية يمنحهم إياها وإن لم يتخرجوا فيه ، ثم يستعين بعلمهم وإلهامهم وآرائهم ، وبهذه الالقاب يمتد الازهر إلى حدود فكرية بعيدة ويصبح أوسع فى أثره على الحياة الاسلامية ويحقق لنفسه المعنى الجامعى ، وفى تلك السبيل يجب على الازهر أن يختار أياماً فى كل سنة يجمع فيها من المسلمين (قرش الاسلام) ليجد مادة النفقة الواسعة فى نشر دين الله . وليس على الارض مسلم ولا مسلمة لا يبسط يده ، فما يحتاج هذا التدبير لأكثر من إقراره وتنظيمه وإعلانه فى الأمم الاسلامية ومواسمها الكبرى وخاصة موسم الحج .

— ٨ —

ونشر العقاد كلمة عام ١٩٤٧ عن الازهر وإصلاحه ورسالته قال فيها :

خير مايطلب للأزهر هو أن يزداد نصيبه من الجامعية العلمية ، وأن يزدان نصيبه من المشاركة فى الاعمال الدنيوية ، وأن يحال بينه وبين العزلة والانقطاع ، ونحن من المؤمنين بماضى الازهر العظيم ، ولكننا أشد إيماناً بمستقبله بنا بماضيه ،

لان وظيفته فى الماضى كانت وظيفة واحدة لامنازع فيها ، أما وظيفته فى المستقبل فوظيفتان ينهض بهما فيكون له شأنان متعادلان فى حكمة الاسلام وحكمة العلم الذى يعمل به المسلمون وغير المسلمين ، فالجامع الازهر أحق مكان بأن يحيى الفلسفة القديمة التى عاشت فيه وحده يوم ماتت فى جوانب الدنيا بأسرها ، ومن إحياء هذه الفلسفة أن يزاوج بينها وبين مستحدثات التفكير فى كل عصر وبين كل قبيل ، والجامع الازهر أحق مكان بتوسيع المنطق الذى تمكنت فيه أسسه وتهيأت لما يضاف إلى هذه الاسس من أركان جديدة ، فى مذاهب المناطقة المحدثين ، والجامع الازهر أحق مكان بأن يعرض العقيدة الاسلامية المستنيرة على أهل المشرق والمغرب لانه أقدر على هذه الرسالة من الآحاد أو الجماعات التى تصدت لها فى غير مصر من الاقطار الاسلامية ، والجامع الازهر أحق مكان بأن يقصده الصينى من أقصى الشرق كما يقصده « الفندلاندى » من أقصى الشمال ، أو يقصده الزنجبارى من أقصى الجنوب لانهم يتعلمون فيه مالا يجدونه فى غيره من الجامعات المقصورة على العلوم الطبيعية . والجامع الازهر أحق مكان بأن يتدارك عيب العصر الحاضر وهو العيب الجسام الذى يتمثل فى العزل بين عالم العقل وعالم الروح . فيتعلم فيه الرجل وهو مؤمن ويؤمن فيه وهو عالم ، ويحسن قيادة المتدينين المتعلمين ، ونحن كبيرو الرجاء فى إنجاز هذه المهمة العظمى بعد أن صارت مشيخة الازهر إلى أستاذ الفلسفة الاسلامية على أحدث المناهج العصرية ، فانه أقدر الناس على أن يحقق للجامع الازهر وظيفتيه فى ثقافة العقل وثقافة الروح ، وأعوانه من الازهريين غير قليلين .

— ٩ —

ويقول الاستاذ مصطفى حبيب من كلمة له ألقاها فى المؤتمر الثقافى العربى عام ١٩٥٠ ، وقد كان من المندوبين فيه عن الازهر : الاتجاهات التعليمية السائدة فى الازهر الآن هى :

١ — العمل على تعميم التعليم الدينى فى البلاد بافتتاح المعاهد الدينية فى جميع العواصم والمراكز الكبيرة ، وتيسير هذا التعليم على الناس بمتابعة ماجرى عليه عرف الازهر من قديم ، من مجانية التعليم الدينى ، وتشجيع الطلاب بتقرير مكافآت مادية تعينهم على مواصلة الدرس ، وقد قطع الازهر فى هذا الاتجاه شوطاً بعيداً فافتتح فى السنوات الاخيرة خمسة معاهد ، هى : قنا وسوهاج والمنيا والمنصورة وسمنود ، وأعان على أن تنتشر المعاهد الحرة فى البلاد بما قدمه لها من العون العلمى

والمادى . فقد تعهد الازهر بتزويد كل معهد حر بالمدرسين على حساب ميزانيته فضلا عن تقرير إعانة استيفاء لكل معهد ، مما حفز على انتشار التعليم الدينى فى البلاد وإنشاء المعاهد الحرة .

٢ — تشجيع التعاون الثقافى بين الازهر والمعاهد الاسلامية فى البلاد الاسلامية جميعها ، ليوحد بين ثقافة أبناء هذه الشعوب وثقافة الازهر ، وليعاون على إيجاد رأى عام إسلامى موحد ، وليدخل على هذه المدارس الانظمة الاصلاحية التى قام بتجربتها الازهر ، ليساهم بنصيب فى الرقى الفكرى والعلمى للشعوب العربية والاسلامية ، وللأزهر الان فى جميع البلادالاسلامية والعربية مدرسون من خيرة أبنائه المتأثرين بالافكار الحديثه يبثون تعاليم الازهر ورسالته الاصلاحية فى نجد والحجاز وسوريا ولبنان والعراق والكويت وأسمرة ، ويساهم الازهر بنصيب كبير فى تمويل هذه الحركة العلمية ، إيماناً منه بفائدتها لمصر والعالم الاسلامى كله .

٣ — نشر الثقافة الاسلامية فى البلاد المتخلفة علمياً والتى هى فى مسيس الحاجة إلى التنوير فى شئون دينها ، والازهر معنى بهذه الناحية أشد العناية ، وقد وجه مبعوثين من رجاله لدراسة أحوال المناطق الافريقية فى جنوب السودان وأوغندة وأريتريا وشرق أفريقيا ، وقد وضعت تقارير مفصلة عن أوجه المساعدة المثمرة لهذه الجهات ، وأرسل الازهر فعلا بعثة علمية إلى أريتريا وجوبا ، وهو بسبيله إلى إرسال بعثات جديدة الى الصومال ونيجيريا وأوغندة وشرق أفريقيا .

٤ — العناية بنشر الاسلام وتعاليمه الصحيحة فى جميع البلاد ، وإيجاد صلة قوية ورابطة متينة بين المسلمين فى كافة أقطار الارض عن طريق التبادل الثقافى ، وإنشاء مراكز إسلامية تزود بالمكتبات والعلماء الباحثين والوعاظ لسد حاجات الناس فى هذه البلاد إلى الثقافة الاسلامية ، ويسير الازهر فى هذا الاتجاه بخطى حثيثة ، وأستطيع القول بأن الازهراليوم متصل بجميع الهيئات العلمية والاسلامية فى أوربا وأمريكا وآسيا ، وله مكتب ثقافى فى لندن ، وآخر فى الباكستان ، وثالث فى الفلبين ، وهو يدرس اليوم مشروعات متعددة لانشاء مكاتب أخرى فى الولايات المتحده والارجنتين والملايو وأندونيسيا ، ولكنه على أية حال لم يحقق بعد كل مايرجوه من التوسع فى هذه الناحية لانها تحتاج إلى المال والرجال :

٥ — العناية بالبعوث الاسلامية الوافدة إلى الازهر من كل بقاع الارض وتعليمها وتثقيفها تثقيفا دينياً وعلمياً ، ليكونوا هداة لقومهم يرشدونهم

إذا رجعوا إليهم ، ولايدخر الأزهر وسعا فى هذا السبيل ، فهو يشجع الطلاب الراغبين على الوفود ، كما يحض الهيئات الإسلامية والحكومات الاسلامية على إرسال أبنائها إلى الأزهر ، وهو يعد لهؤلاء الطلاب أماكن صحية للسكن ، ويمدهم بمعونة مادية تيسر لهم طلب العلم وتعينهم على الحياة فى مصر . وفى الأزهر الآن ألفان من طلاب البعوث الاسلامية يمثلون كافة البلاد الاسلامية . وقد أعد لهم الأزهر دراسات خاصة تعينهم على معرفة اللغة العربية معرفة تؤهلهم للاندماج فى سلك الدراسة مع إخوانهم المصريين . وقد بلغت البعوث الاسلامية اليوم حدا لم تبلغه فى عصور الأزهر الذهبية فى القرن الثامن الهجرى حين سقطت بغداد وفر أبناء المسلمين إلى الأزهر بدينهم . فقد كان تعدادهم حينذاك كما روى المقريزى ٧٥٠ طالبا . وكان هذا يعتبر رقما قياسيا ، أما اليوم فهم يربون على الألفين ، والباب مايزال مفتوحا على مصاريعه لتقبل كل من يريد العلم والتفقه فيه . فالأزهر لايردعن رحابه طالب علم .

٦ — إعداد بيئة من العلماء النابغين فى علوم الدين إعدادا يؤهلهم لنشر الدعوة الاسلامية والثقافة الاسلامية فى البلاد التى تتكلم باللغات الأجنبية بتمكينهم من الدراسة فى الجامعات الأوربية ، ليتصلوا بالحياة العقلية فى الغرب ، ويجيدوا اللغات الأجنبية كتابة وخطابة ، ويكونوا مزاجا جديدا من الدراسة يلائم حاجة العصر ، ويسد حاجات البلاد الاسلامية الناطقة باللغات الأجنبية إلى مدرسين وأساتذة . وقد أدرك الأزهر قيمة هذا العمل العظيم فأرسل بعثة مكونة من عشرة من خيرة أبنائه إلى بريطانيا ليدرسوا فى جامعاتها ، وما يزال الأزهر فى حاجة إلى المزيد من هذه البعثات ليكثر بين أساتذته ومدرسيه من يجمعون بين الثقافتين الأزهرية والغربية ، ليكونوا فى المستقبل القريب نواة لهيئة التدريس الجامعية .

٧ — يتجه الأزهر منذ سنوات إلى التخلص من الكتب التقليدية القديمة فى الدراسة ، وتشجيع الأساتذة على تأليف كتب جديدة تتناسب مع العصر الحديث فى حسن العرض والتبويب ، ليسهل على الناس الاطلاع عليها ، لأن الكتب القديمة على وضعها الحالى كتب معقدة لها طريقة خاصة فى التأليف لايفهمها إلا من مارسها ومرن على فهمها . . . وقد بدأ الأزهريون يكتبون ويؤلفون ، ولكنهم لم يحققوا بعد الآمال المعقودة عليهم ، إذ ما يزال فى أعناقهم للعالم الاسلامى وأبناء هذا الجيل دين يجب أن يوفوه : هو تبسيط الحقائق العلمية وتقريبها إلى الأذهان ، وتشويق الناس للاطلاع على مافى الدين الاسلامى والتشريع الاسلامى من كنوز فى المعرفة .

٨ — يدرس الأزهر الآن الفقه الاسلامى دراسة خالية من التعصب لمذهب بعينه ، بل ويدرس المقارنات بين المذاهب ، وقد أتاحت هذه الروح التى تسود الأزهر الآن النظر فى الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصر والعرف وتطور الأمم والشعوب ، واستنباط الاحكام التى تتمشى مع سير الزمن . وقد أصبح بفضل هذه الروح فى الازهر جماعـــة من أفاضل العلماء تعمل على تزويد رجال التشريع بالاحكام الاجتهادية من كافة الائمة ، غير مقيدين بمذهب بعينه أو إمام بعينه . وقد صدرت القوانين الاخيرة فى أحكام الوقف والوصية بعد دراسة حرة لجميع الآراء ، وأخذت الاحكام من جميع المذاهب ومن آراء الائمة والمجتهدين بما يلائم مصلحة الائمة ويسد حاجات الجيل . وتلك خطوة جريئة إن أغضبت المتزمتين ، فقد أرضت الله ورسوله . ويتجه الازهر فى هذه الايام إلى إنشاء معهد للفقه المقارن يقوم على هذه الدراسات الحرة وينميها ، لينتفع العالم بآثار الاجتهاد ، مما يحفز العقل البشرى على التقدم لخدمة الانسانية .

٩ — يعنى الازهر بإحياء كتب السنة وجمعها فى كتاب واحد حسن التبويب ، تيسيرا للسنة على الراغبين فى الاطلاع عليها . وتقوم بالازهر الآن لجنة برئاسة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر للعمل على إخراج هذا المشروع .

١٠ — يعنى الازهر أشد العناية بدراســـة اللغة العربية والنهوض بأساليبها التعليمية وإبراز كنوزها للناس . وقد نهض بكلية اللغة العربية نهضة كبيرة أصبحت بفضلها تنافس معاهد اللغة العربية فى مصر منافسة قوية ، أفادت العلم واللغة فى مصر والشرق . وهاهم أولاء أبناء كلية اللغة العربية منبثون فى جميع المدارس والمعاهد الازهرية والحكومية يؤدون رسالة الازهر فى خدمة اللغة والنهوض بها على نمط يثير الاعجاب والتقدير من الجميع .

١١ — عمل الازهر جادا على تقرير تعليم الدين فى المدارس الحكومية وجعله مادة أساسية ، لينشأ ناشىء الفتيان منا على التمسك بأحكام الدين والرعاية لفضائله ، إيمانا منه بان ماينطبع فى نفس الطفل منذ نعومة أظفاره من إيمان وتدين ، لا يمكن أن تؤثر فيه الايام ، بل يظل أساسا صالحا يوجه رجال المستقبل إلى الخير ، ويحفزهم على البر بانفسهم وأهليهم وأوطانهم . وقد نجح الازهر بتقرير دراسة الدين بالمدارس

١٢ — يعنى الازهر بإحياء الشعور الدينى ، وتنمية روح التدين بين الطبقات الكادحة من العمال والفلاحين ، وتنويرهم فى شئون دينهم ، وتعريفهم بفضائله ،

لتتقوى فيهم روح المحبة والتآلف ويبعد عن صفوفهم المبادىء المنحرفة التى تتنافى مع الدين والخلق . وينبث اليوم عشرات الوعاظ من أبنائه فى صفوف الشعب يخاطبونه بالأسلوب القريب إلى نفسه ، ويعالجونه علاجا نفسيا يقوى عزائمه ويثبت إيمانه .

١٣ — يعنى الأزهر عناية جدية بوعظ السيدات وتعليمهن شئون دينهن ، ليكن خير مربيات لأبنائهن ، وليغرس فى نفوسهن منذ الحداثة الايمان بالله وحب الوطن ، وهو يعقد لذلك مئات الدروس كل يوم من أقصى الصعيد إلى القاهرة ، ومن القاهرة إلى البحر الأبيض المتوسط ، للوعظ والإرشاد والتعليم .

وفى نفوس رجال الأزهر مشروع لإنشاء معهد لتعليم البنات والسيدات العلوم الدينية والعربية ، إحياء لسنن السلف الصالح من العناية بتثقيف السيدات وإتاحة الفرصة لهن ليتفقهن فى الدين ، نرجو أن يتحقق فى القريب العاجل . وليس تعليم السيدات بالأزهر بجديد ، فقد سبق الأزهر العالم كله منذ انشائه حين كانت تعقد فيه دروس خاصة للسيدات ، وكان بعضهن يحضرن الدروس العامة ليتفقهن فى الدين كالرجال سواء بسواء .

هذه بعض جهود الأزهر فى ربع قرن ، وهذه هى خطواته بعد الاصلاح ، وهى إن لم تكن أوفت على الغاية فقد جاوزت البداية القلقة ، وثبتت أقدام الاصلاح . والأزهر بعد يسير بخطى جبارة ، وما هى إلا عشية أو ضحاها حتى يجمع فيها أنفاسه بعد هذا الجهد الشاق إلا ويستبق الزمن ويقفز إلى الطليعة يقود البلاد كعهده فى الثقافة واللغة وعلوم الدين ، ويهىء للمجتمع الاسلامى كله حياة طيبة نافعة تسلكه مع أمم الأرض فى الرقى والحضارة .

— ١٠ —

وقد ألقى الشيخ عباس الجمل فى إبريل عام ١٩٣٦ محاضرة موضوعها رسالة الأزهر ، كان خلاصتها أن الأزهر إنما قام لنشر فقه الشيعة وعقائدهم ومبادئهم الدينية والسياسية . وأن الفرنسيين حين دخلوا مصر اتخذوا شيوخ الأزهر صنائع للدعاية لهم ، ولكن الذى جنى ثمرة ذلك هو محمد على لا الفرنسيون . ثم ذكر أن الازهر أدى رسالته العلمية فى القرن التاسع عشر أداء مناسباً ، وكانت زعامة الأدب العربى فى الكتابة والخطابة إلى ابن من أبنائه هو محمد عبده ، ثم سعد زغلول .. ولكن الأزهر لم يظفر بأن ينال من زعامة الشعر شيئاً . . وقد رفض الازهر ماطلبه منه الخديوى

إسماعيل من تشريع قوانين مستمدة من الشريعة الاسلامية لتكون قوانين للمحاكم الأهلية ، فرجع الخديوى وحكومته الى القوانين الفرنسية تأخذمنها ماتشاء ، وبذلك تحمل الأزهر هذا الاثم الشديد ، ولكنه عاد فقدم للمحاكم الشرعية قوانين وقضاة.

وفى قوانين الأزهر الأخيرة ما يرشد إلى رسالة الأزهر ، فهو المعهد الدينى العلمى الاسلامى الأكبر ، والغرض منه القيام على حفظ الشريعة الاسلامية الغراء وأصولها وفروعها واللغة العربية ، وعلى نشرهما تخريج من يوكل اليهم تعليم علوم الدين واللغة ويلون وظائف الدولة الشرعية .. واستطرد من ذلك الى أن الأزهر أمامه طريق شائك وليل مظلم ، وأنه لايستطيع بحالته أن يسير لأداء رسالته ، وطلب أن يرتفع الازهر بأئمته وعلمائه ومفتيه ، وان يجتهد الأزهر فيصلح مافسد فيه ، ويسير لأداء رسالته الصحيحة ، رسالة الهدى والاصلاح .

— ١١ —

وفى عام ١٩٣٦ أعلن على ماهر عن عدة مسابقات تمنح الحكومة فيها مكافآت سخية للفائزين ، وكان من موضوعات هذه المسابقة « رسالة الازهر فى القرن العشرين » وقد فاز بالجائزة الاولى فيها الأستاذ أحمد خاكى . وقدذهب هذا الباحث فيما ذهب إليه إلى أن تاريخ الأزهر يتصل اتصالا وثيقاً بالحركات الفكرية التى قامت فى مصر منذ السنة التى أنشىء فيها ، ويتمثل فيه من ناحية أخرى مبادىء الاسلام وماكان لها من سلطان ، لأن الأزهر معهد دينى كانت رسالته دائما رسالة الاسلام ، وكانت لشيوخه الزعامة الفكرية فى القديم ، حتى أن بونابرت لما دخل مصر ووجد للأزهر الزعامة الدينية والاجتماعية والسياسية تقرب الى شيوخه ، وجعل أعضاء « الديوان » الذى أنشأه منه ، وهذا اعتراف بسلطان الأزهر على الشعب .

ووسط الزوابع السياسية التى تلت عصر نابليون وسبقت ولاية محمد على قام الازهريون يثبتون حق الشعب ويؤيدون مايذهبون اليه بنصوص من الدين الحنيف ، ولقد كان للسيد عمر مكرم نقيب الاشراف حينئذ المكانة الاولى بين ممثلى الشعب . وكان الشعب غاضبا على خورشيد باشا راغبا فى تولية محمد على ، وفى تاريخ الجبرتى نقاش بين السيد عمر مكرم وبين عمر بك أحد أنصار خورشيد ، فقد كان عمر يذكره بالآية الكريمة « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فلم يكن من السيد عمر إلا أن قال : « أولو الامر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل » ، ألسنا نحس فى ذلك الرد وحده تلك القوة الوليدة التى شعر بها زعماء الازهر وألسنا

نستطيع أن ندرك دهاء محمد على حينما اجتذب الشيوخ الى جانبه فتغلب على القوى التى كانت تنافسه ؟ وسلطان هؤلاء الازهريين هو الذى ظاهره على المماليك وهو الذى أرغم الخليفة على أن يعترف بولايته ، كانت هذه إذن سابقة للأزهر أعلنت من مكانه فظل زعيما للجماعة المصرية بعد ذلك . وما برح الازهر يساير الحركة الفكرية فى مصر حتى تمخض فى أواخر القرن التاسع عشر عن حركة شاملة من حركات الإصلاح توجهت ضد العناصر الدخيلة التى مشت بالسوء فى أمم الشرق ، وقد رفع هذه الحركة جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده ، ولعل خير مايذكر من أيادى الاستاذ الامام أنه خرج الى فلاسفة الغرب يرد الحجة بالحجة ويقرع البرهان بالبرهان ، ولم يكن الجدل الذى نشب بينه وبين هانوتو إلا ناحية من الصراع الفكرى بين الشرق والغرب ، وكان المؤرخ الفرنسى يفتعل الذرائع والمسوغات التى تحلل ما اقترفته السياسة المادية التى استحلت لنفسها كل ما تحرمه الشرائع والقوانين ، ولم يكن الامام المصرى فى ردوده إلا مدافعا عن أصول الاسلام الأولى يلحق البينة بالبينة يميز بين ماهو من صلب الدين وبين ماهو دخيل على الدين على أن ذلك الكفاح الذى تولاه الأستاذ الامام والذى خلق بعد ذلك مدرسة بأسرها من مدارس الفكر لم يزل حتى أصاب ساعدا قويا فى أفراد من المتخرجين فى الأزهر ثاروا على حكومة الدخلاء ، واتصلوا بالجيش آملين أن يحققوا بعض مثلهم العليا ، فكانت الثورة التى اتصلت باسم عرابى باشا ، وقد نجح التفكير الأزهرى فى هذه المرة إلى ثورة عسكرية لم تكن موفقة لأنها لم تكن من طبيعة الأزهر ، وعرابى نفسه كان أزهريا لكنه لم يكن بالأزهرى الرشيد ، وقد جمعت هذه الثورة العسكرية إلى العناصر الواهية التى أنهكتها كثيرا من العناصر السامية التى خلقت فى مصر أثراً بليغا ، وكانت على الرغم مما انتابها من وهن نهضة قومية مازالت تنمو حتى كانت شاملة بعد الحرب الكبرى ، ولسنا ننسى أن الأزهر كان محطا لركاب هذه النهضة ، فالازهر كان مركزاً للزعامة فى أوائل القرن التاسع عشر وقد ظل مصدر للزعماء حتى بداية القرن العشرين ، وقد ظهرت قوة الازهر فى الحالات التى احتكت بها مصر بالدخلاء الاجانب ، ظهرت تلك القوة أمام الفرنسيين بزعامة السيد عمر مكرم ، ثم انتظمت فى جسم الامة حتى وضحت مرة أخرى بزعامة الشيخ محمد عبده ، وكانت موجهة فى هذه المرة إلى الذين بسطوا أقلامهم فى الدين من الفلاسفة والمؤرخين الاجانب ، ثم كان لها بعد ذلك وجه قومى بدأ بقيادة عرابى وانتهى سلميا بزعامة سعد زغلول ،

وقد حاولت الحركة الأولى أن تتخلص من دخلاء الشركس ، وحاولت الثانية أن تستقل عن كل أجنبي :

لقد رأينا كيف كان الازهر مصدرا للزعامة والكفاح ، وقد رأينا كيف استعان الفكر المصرى فى كفاحه السياسى والدينى والاجتماعى بسلطان الازهر فقضى على المبادىء الخربة التى تربصت بالشرق الدوائر ، وقد تزعم شيوخ الازهر المصريين لان هؤلاء كانوا يستوحونهم الشعور الدينى وكان يتمثل فى خلقهم وإرشادهم تلك القوى الحية التى نماها الاسلام وقواها فإن نحن أردنا أن نضرب بسهم فى سبيل التقدم وجب علينا أن نرجع إلى أصول الاسلام الأولى فنحيي تراثه وتلك الرجعة إلى ديننا الحنيف هى من رسالة الازهر لحمتها وسداها ، وجدير بالازهر إذا أراد إحياء لذلك المجد الاثيل أن يعود سيرته الأولى من حيث الكفاح والزعامة وأن تتمثل فيه كل المثل العليا التى بسطنا القليل منها فيما تقدم ، وبذلك يستطيع أن يلهم الناس دينهم خالصا نقيا ، بل خليق به بعد ذلك — إذا أراد أن يكون فى الرأس — أن يتصل اتصالا وثيقا بالحركات الاجتماعية التى تدب بين المصريين وقد بينا كيف كانت رسالة الازهر دائما مزدوجة ، فهى دينية من ناحية واجتماعية من ناحية أخرى ذلك بأن الاسلام كما أسلفنا دين يجمع بين العقائد والشرائع يسعى لخير الجماعة فى شتى الصور ويؤلف بين خلق الفرد خاصة وبين الأمة بوجه عام ، لقد كان اهتمام الازهر بالحركات الاجتماعية فى مصر وحدبه عليها أساسا لزعامته التى ظل الجميع يعترفون بها حتى أواخر القرن التاسع عشر وفى اليوم الذى يعتزل الازهر فيه الحياة العامة يضحى من سلطانه الذى كفله الدين نفسه والذى عنا له المصريون خلال الاحداث التى اكتظ بها تاريخهم الطويل الحافل ، ويعتزل الازهر الحياة العامة إذا هو اطمأن إلى القيود التى تعوق التقدم فان ذلك لايتفق مع روح الاسلام نفسه ومصر — ككل جزء من أجزاء الارض — مازالت تنشد الايمان والخير والحرية لكل المصريين إذ يتشبثون بتلك المبادىء يتلفتون ذات اليمين وذات اليسار يريدون أن يجدوا ملجأ فيطمئنوا اليه ويعتصموا به .

فجدير بالازهر إذا أن يساهم فى كل نواحى الحياة المصرية وأن يكون — كما كان فى القرن التاسع عشر — قوة دافعة تستمد من قوة الدين والحق ، إن زعامة الازهر لنواحى النشاط فى مصر سوف تنتج خيرا شاملا ، ذلك لان التقدم المادى ينتهى دائما بكفاح يخلو من المثل الاعلى ، وكل كفاح يخلو من المثل الاعلى يؤدى

حتما إلى الفناء كالنار تأكل نفسها ، وقد تقنعنا نظرة عجلى إلى تاريخ أوربا بكل ذلك فقد تناست ممالكها فى تنازعها كل المثل العليا التى جاء بها دينها وهى لا تزال تتناساها إلى اليوم فى نزاعها مع القارات الاخرى .

وقد كفل الاسلام الحرية بما رفع من مقام الانسان والنظام بما أتى من أحكام الشرع وجعل طاعة الله ورسوله وأولى الامر واجبات نقوم بها ونحن راضون ، وبذل النصح لاولى الامر بان يترفقوا بالناس ، ثم انه قد جعل الناس كلهم إخوة فكان خير الناس عند الله أتقاهم فضمن بذلك حق العامة أمام الخاصة ، كل هذا أتى به الاسلام ونزله مبادىء دستورية يستطيع الفقهاء أن يلائموا بينها فى بيئاتهم وبذلك كفل للإنسان أن يتقدم دائما . ولسنا نرى تقدما أرشد من هذا الذى يقوم على مثل هذه المبادىء ، على أن التوفيق بينها أجمعين كان دائما أس التقدم عند دول الاسلام . يقول النفسيون أن الانسان لا يبلغ حداً من الكمال إلا إذا وازن بين القوى والملكات التى يكسبها ، وقد ذهب إلى ذلك أفلاطون وقال مثل ذلك قوم آخرون قبل أن يدرس علم النفس ، لكن التوازن بين قوى الانسان وملكاته أصبح حقيقة علمية فى العصر الحديث وينشأ كثير من أنواع الجنون إذا اختل هذا التوازن بل نحسب أن الانسجام محبب إلى النفس من الوجهة الجمالية وقد حاول كثير من الفلاسفة - وقد كانوا موفقين - أن يبحثوا فى مثل هذا التوازن فى المجتمع ويحدث جنون الفرد إذا هو أفرط فى الاخذ بفكرة من الافكار أو خيال من الخيالات وكذلك يحدث جنون الجماعة إذا هى أخذت بمبدأ واحد تمادت فيه - مهما كان هذا المبدأ سليما ، وما نظن إلا أن الاسلام كفيل بأن يؤلف بين كل تلك المبادىء فيرسل الانسجام فيها إرسالا .

ثم خلص من ذلك إلى أن رسالة الازهر هى نشر رسالة التقدم الروحى والفكرى والاجتماعى فى البلاد الاسلامية .

- ١٢ -

ويقول الدكتور حسين الهمدانى الباكستانى حول رسالة الأزهر : حفلت البلاد الاسلامية منذ انبثق فجر الاسلام بدور العلم ومعاهد العرفان فى وقت كانت ظلمات الجهل تجثم فيه فوق ربوع العالم العربى ، ومع أن هذه الدرر كانت تتسم بطابع خاص هو الطابع الاسلامى فانها كانت تتوسم فى نظامها واتجاهاتها الحرص على توفير أسباب الطمأنينة فى نفوس طلاب العلم وتوثيق الصلة بينهم وبين أساتذتهم واشاعة تلك الروح الجامعية التى يجب توافرها فى معاهد العلم العليا مثل مايشاهده المرء الآن فى

أعرق الجامعات العربية . ويلوح أنه لم يكن ثمة مناص من أن تغدو المساجد والجوامع مقرا لنشر المعرفة كما كانت ومازالت مصدراً لبث الهداية والرشد فى نفوس الناس فى الوقت ذاته . ولم يكن هناك تعارض فى اضطلاعها بالمهمتين ، فان الدين الاسلامى الذى يأمر بالتسامح والمساواة ويحث على طلب المعرفة ولو اقتضى الأمر الاغتراب فى مشارق الأرض ومغاربها ماكان ليجد خيرا من المساجد بجوها القدسى لغرس العلم والمعرفة فى نفوس المسلمين ، بل إن اختيار المساجد لهذا الغرض يحمل فى طياته الاقرار بقداسة العلم ووجوب تطهيره من حمأة الأغراض الدنيوية والبعد به عن كل جو ينحرف به عن قدسيته ، وقد ظهر فى الاسلام معاهد علمية عظيمة القدر رفيعة الاسم ، وكان الحكام يتنافسون فى انشائها ، فانشىء الأزهر فى عام ٣٦١ هـ (٩٧١م) وانشئت الكلية النظامية فى عام ٤٥٩ هـ (١٠٦٦ م) ، وانشئت الصالحية فى القدس عام ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) . وكان الغرض من انشاء هذه المعاهد هى وغيرها بادىء الأمر ـ وباستثناء المستنصرية ـ هو تدريس المذاهب الدينية والدعوة لها ، فانشىء الأزهر لتدعيم المذهب الشيعى فى مصر بعد فتحها على يد الفاطميين .

وانشئت النظامية هى والصلاحية لدعم المذهب الشافعى بينما انشئت المستنصرية لتدريس المذاهب الأربعة وكان بها كلية لتدريس الطب وأخرى لتدريس الرياضيات واللغات وقد اختفت هذه المعاهد العظيمة واندثرت وعفا عليها الدهر فيما عدا الأزهر الذى ظل راسخا كالطود بالرغم مما مر به من أحداث بل واضطهاد فى بعض العصور . ولعمرى أن المرء ليتساءل ماذا كان يصيب اللغة العربية وآدابها وما يتصل بهما من علوم ومعرفة لو أن الأزهر أصابه ماأصاب غيره من معاهد ولم يصمد للحوادث طيلة هذه الأجيال ؟ لقد كان هذا الأزهر وما يزال ـ وأرجو أن يظل على ذلك أبد الدهر ـ دعاية العلوم والمعارف فى العالم الاسلامى . وقد أراد الله بالأمم الاسلامية خيرا حين كلأ هذا الجامع بعنايته ورعايته وصانه من غوائل الدهر ومن الانهيار . ولم يكن الأزهر بناء أو جدرانا لاحياة فيها . بل كان على الدوام فكرة نابضة وروحا متسامية وحياة فكرية ومبادىء حية . بدأ جامعا فانقلب جامعة لها خصائصها وتقاليدها وسمتها وطابعها ، وقد ظلت هذه التقاليد والخصائص والطابع والسمة تلازمه على مر العصور . وكان من خير هذه التقاليد أن الطالب يظل يتلقى العلم حتى إذا آنس فى نفسه القدرة على التصدر للعلم أذاع ذلك بين زملائه وشيوخه فتعقد فى ديوان الأزهر حلقة من العلماء النابهين يجلس الطالب فى صدرها ويناقش نقاشا حادا

فى المادة التى تدرسها وفى جمع المواد المتصلة بها ، فاذا أثبت الطالب كفاءة ممتازة منح حق التدريس . وهذا التقليد يذكرنا بما هو متبع فى الجامعات العريقة وفى مناقشة رسالات الدكتوراه فيها فى عصرنا الحديث . وإذا كان الأزهر قد صعد نيفا وألف عام للاحداث وظل راسخا فى أداء رسالته فى دعم أركان الدين الاسلامى ونشر العلوم الاسلامية ، واستطاع أن يحتفظ بمكانته المرموقة كدعامة قوية للاسلام ومنارة لنشر العلم والعرفان ، فإن منهجه يجب أن يحتذى فى كافة الأمصار الاسلامية فليس فى وسع سكان الباكستان أو غيرها من البلاد الاسلامية أن يفدوا بقضهم وقضيضهم ليتزودوا من منهل الأزهر الذى لا ينضب وينهلوا من مورده العذب ، على أن الباكستان وغيرها من البلاد الاسلامية لا تستطيع أن تترسم الروح الأزهرية الفذة دون أن تنوه ببعض ما يجول فى نفوس بعض العلماء من مخاوف بشان اضمحلال هذه الروح بسبب تلك النظم الحديثة التى أدخلت فى الأزهر مثل نظام الامتحانات وتحديد المقررات وكثرة المواد الدراسية التى لا تتصل بالدراسات الاسلامية - حتى إن البعض يعتقد أن مستوى التحصيل فى الأزهر قد انخفض انخفاضا ملموسا بسبب انصراف الطلبة إلى إحراز الأجازات التى تعتبر سلاحا للتوظف دون الرغبة فى التزود بالعلم لذاته والتعمق فى المعرفة . وقد كان النظام الذى سلكه الأزهر خلال القرون الماضية نظاماً جامعياً بحتا وكانت الروح العلمية تسيطر على جوه ، فكانت صلة الطالب بمدرسته صلة وثيقة دعامتها العلم والرغبة فى اعتراف مناهله . . وحسبك أن تعلم أن الجامعات الغربية تتهيأ الآن هذا التهيؤ لتأدية رسالتها .

ولكن مالبث النظام « المدرسى » الجديد الذى ادخل على الأزهر أن أضعف من هذه الرابطة العلمية بين الطالب واستاذه . ثم إن هذا النظام يعمل على شحن ذهن الطالب بعلوم لا طائل تحتها ولا يدع له وقتاً ولا ميلا للتعمق فى نوع معين من المعرفة الإسلامية تعمق من شأنه أن يخلق لنا علماء من طراز الشيخ محمد عبده والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ المراغى واضرابهم من جهابذة العلماء الذين يفخر العالم الإسلامى بهم . والحق أن النواة لأمثال هؤلاء العلماء موجودة فإن الطلبة الأزهريين مازالوا يتسمون بالروح العلمية ، وقد علمت من أحد القائمين على إدارة المعهد البريطانى فى القاهرة أنه وجد فى الطلبة الأزهريين الذين يتلقون اللغة الانجليزية فى المعهد المذكور استعداداً وادراكا وتعمقاً وغيرة واقبالا على العلم بما هو جدير بطلبة هذه الجامعة العريقة ، ونعتقد أن خير مايمكن أن يفعله الأزهر هو أن يعمل جاهداً

للعودة لذلك الجو العلمى البحت الذى عرف به وأن يقضى على نظام الامتحانات أو يعد له ، بحيث ينصرف الطلاب للعلم وحده دون النظر للاجازات العلمية كهدف يتعين عليهم تحقيقه للحصول على الوظائف .

وبودنا لو عنى رجال الأزهر الأعلام الأملعيون بأمر جدير بعنايتهم وهو تعليم الفتيات ، فالشاهد أن الأسر الاسلامية كثيراً ماتدخل فتياتها فى المعاهد الأجنبية التبشيرية ، ولسنا نجد مبرراً لحرمان الفتيات المسلمات من الثقافة الدينية الاسلامية مالم يمد يده لمعونتها . والواقع أن رسالة الأزهر لاتقتصر ولا يجب أن تقتصر على مصر وحدها بل رسالته أعم وأشمل . ومن حق البلاد الاسلامية أن تطالبه بأن يمد رسالته عبر البحار لا إلى البلاد الاسلامية فحسب بل وللبلاد غير الاسلامية أيضاً . ومن حسن الطالع أن لا يكون هذا هو رأينا وحدنا بل هو رأى الحكومة المصرية نفسها بدليل ماوافق عليه مجلس الوزراء فى إحدى جلساته الأخيرة من فتح الاعتمادات لانشاء معهدين اسلاميين فى مدريد وطنجة . وفى وسع الأزهر أن يساهم مساهمة أدبية ومادية فى انشاء معاهد العلوم الاسلامية والدينية فى البلاد الاسلامية فيبعث بعلمائه إلى هذه الأمصار التى ستلقاهم بصدر رحب وتحلهم منها مكانة الصدر والأعزاز يبثون فيها تلك الروح الفقهية والعلمية العميقة التى انفرد الأزهر بها منذ حوالى عشرة قرون ويضعون برامج الدراسة فى هذه المعاهد وفق النهج الذى مارسه الأزهر منذ انشائه ويعملون على نشر اللغة العربية ودعمها فى البلاد الاسلامية غير العربية . ولسعادة علوبة باشا مشروع فى هذا الشأن يستطيع علماء الأزهر دراسته وتنفيذه كله أو بعضه . أما بالنسبة للبلاد غير الاسلامية فان واجب الأزهر يقتضيه - بوصفه دعامة العلوم الاسلامية ومنارة الدين والهدى - أن ينشىء المعاهد الاسلامية فى عواصمها ومدنها الكبرى وأن يزودها ببعض زملائه الذين يتقنون اللغات حتى يكون فى مقدورهم نشر العلوم الاسلامية فى هذه البلاد . وإذ كانت بعض الجمعيات الاسلامية قد احرزت توفيقا فى هذا المضمار فأحرى بالأزهر وهو المؤسسة التليدة العريقة أن يصيب نجاحاً عظيماً بما يتوافر لديه من اعتبارات وعوامل تكفل له التوفيق والنجاح فى القيام برسالته . ويستطيع الازهر مثلا أن ينشىء معاهد فى لندن وبرلين وباريس وروما وواشنطون وغيرها من المدن الكبرى على غرار مانراه من المعاهد الأجنبية التى تنشئها الدول الغربية بين ظهرانينا ونعتقد أن مثل هذا العمل يستدعى انشاء معهد خاص للغات الأجنبية فى الأزهر

نفسه يدرس فيه العلماء والطلاب تلك اللغات بتوسيع وتعمق فى وسط أزهرى يكفل لهم تغلغل الروح الأزهرية العالية فى نفوسهم .

— ١٢ —

وفى عام ١٩٥٢ نشر الاستاذ أمين الخولى فى جريدة المصرى مقالات متعددة عن « الدين والحياة » عرض فيها للأزهر بالتحليل والنقد ، وندد بحيرته فى أداء رسالته ، فقال فى المقال الأول الذى نشره له المصرى فى ٢٨ من إبريل من هذا العام :

هل أدى الأزهر رسالته ، بما هو بيئة التربية الدينية والتوجيه الدينى ؟ ان ذلك ليقتضينى أن أرجع بالذاكرة إلى ماقبل اثنين وأربعين عاما ، إذ أعود إلى عهد من النشاط دخلت فيه « مدرسة القضاء الشرعى » لاتاقى تلك التجربة ، السياسية ، والعلمية ، والاجتماعية ، التى أرادتها مدرسة الاصلاح الدينى الحديث ، من شيعة « محمد عبده » وعلى رأسهم ، سعد زغلول باشا ، فأرادوا فى السياسة تجربة استقلالية مصرية ، فى معهد لاتمتد اليه يد أجنبية ويتولى أمر نفسه ، فى استقلال أدارى وثقافى ، لاصلة له بوزارة المعارف ، ومستشارها العتيد إذ ذاك كما أرادوا تجربة علمية تلتقى فيها الثقافتان : القديمة والحديثة ، والشرقية والغربية ، التقاء معتدلا رزينا ، لا تجور فيه واحدة على صاحبتها ، ولا تنكر واحدة منهما اختها . . وأرادوا مع ذلك كله تجربة اجتماعية ، فى الاصلاح بالقدوة والمثل ، يشهدهما المجتمع ، فيرى مبصر ، ويسمع واع . . فعانيت فى دار تلك التجربة ماعانيت أعواما . . دارسا ومدرسا ، ورئيس تحرير مجلة القضاء الشرعى ، أعود بالذاكرة إلى سنة - ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م - حين انطلقت أرقب الحياة الدينية ، والتعليم الدينى فى أوربا ، وأرصد شئونها ، لاقيد نتائج مقابلة ذلك كله بما فى مصر ، متتبعا ذلك ، فى إيطاليا مقر البابوية ، بمعاهدها الدينية وفى المانيا وغيرها ، بالجامعات المدنية . ثم أعود بالذاكرة إلا مابعد ذلك ، إذ أرجع إلى مصر فأشارك فى هذه الشئون بها ، مشاركة مفكرة منظمة ، مشرعة معلمة إلى حوالى سنة ١٩٤٠ م - نحو سنة ١٣٦٠ هـ - ثم إلى مابعد ذلك فى تجربة معانية ، مراقبة ، عنيفة . . .

أعود بالذاكرة إلى ذلك كله ، لارقب سير التطور فى هذه الناحية من صلة الدين بالحياة ، واصلاح الدين ، والاصلاح به فأجيب عن اسئلتك ، بما يحدث به اتجاه ذلك التطور ، ودلالة سيره ، على هذه الرسالة الأزهرية وأدائها وعلى غير ذلك من الشئون الدينية الحيوية . . وإذ أعود إلى هذه المذكرات المحفوظة أو المكتوبة ، أذكر سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م إذ التقى ثلاثة من جلة الاشياخ ، ومنهم رابع وآخر جامعى

لتقدير ما كتب من أبحاث ، فى مسابقة من تلك المسابقات التى أثارها على ماهر ، ومن بينها مسابقة عن رسالة الأزهر فى القرن العشرين . . اجتمع هؤلاء المجتمعون ليروا كيف يقدرون ما كتب عن هذه الرسالة وبأى ميزان يزنونه . . فانتهى الأمر بعد لأى إلى أن للأزهر رسالات ثلاثا : رسالة اجتماعية وأخرى دينية وثالثة علمية . . وقبل الانتهاء إلى هذه الرسالات الثلاث كانت الرسالة الاجتماعية من بين هذه الثلاث موضع اعتراضات ومناقشات حادة طويلة من أحد أولئك الذين عهد اليهم الدهر بعد بالاشراف على أدائها . . فقيل : ماذا تكون الرسالة الاجتماعية إلى جانب الدينية ؟ وكيف تتغايران ؟ وبم تختلفان ؟ وهل للأزهر رسالة وراء وجوده الدينى الاسلامى ؟ ! وقيل فى ذلك شىء كثير ، سجل بعضه بحث عن تلك الرسالة الازهرية لصاحب هذه الكلمات ، بيانا لما كان من أمر الأزهر أول انشائه دعاية لسياسة معينة وعقيدة معينة ، فعرف بذلك التوجيه الاجتماعى فى نشأته ، فكيف به الان ، وقد عمر فى قومه أكثر من عمر نوح بخمسين سنة وأكثر . . ثم هذا الأزهر بعد ذلك وغير بيئة دينية قد تهأ لها من أسباب المناعة والصيانة ماتستطيع به حماية الشخصية المصرية خاصة والشرقية عامة والاسلامية جملة . . وقد كتب حول هذه المعانى وما اليها مادفعته مطبعة الأزهر نفسه ، فى ذلك الحين ، إلى أيدى القراء وخزائن الكتب تحت عنوان : رسالة الأزهر فى القرن العشرين ، وفيه أن رسالة الأزهر الاجتماعية إنما هى : حماية الروح القومية لمصر والشرق الاسلامى . جماعة عاقلة . متبصرة متدينة لاتقف عند القشور ولا تعنى بالتافه . وفى سبيل هذه الحماية يحتفظ هو لنفسه بالطابع المصرى الاسلامى . ثم الشرقى . النافع ، الذى لايعوق الحياة فى تجددها ونشاطها العمل . مقدرا نواميس الاجتماع . وقوانين الحياة غير واقف فى طريق شىء من ذلك . أو معارض إلا على أساس من النظر البعيد . والوزن الدقيق . أذاع الأزهر الحديث هذه الرسالة الاجتماعية على الناس شرقا وغربا . والازهريون بالأمس . يعرفون العالم بأنه : العاكف على دينه العارف بحال قومه . . وللأزهر صحافة غنية راتبة . فما الذى كان من بحث تفاصيل هذه الرسالة الاجتماعية ؟ وما الذى درس من اتجاه التطور الاجتماعى . والتجدد الدائم للحياة المصرية . والنشاط العملى لها ؟ ـ أما أنا فلا أعرف من ذلك شيئا . ولعل غيرى يهدينى إلى شىء من هذا التعرف للواجب الاجتماعى على الأزهر لحياة الأمة التى سايرحياتها ألف عام .

وفى المقالة الثانية التى نشرت فى أول مايو ١٩٥٢ عن « الأزهر فى حياة مصر الدينية » ذكر أن الأزهر هو الذى يحمى إحساس مصر ، والشرق الإسلامى بذاتهما

إحساساً قويا واضحا ، وهوالذى يحمى روح مصروالشرق الإسلامى الخاصة ، وهو الذى يحمى الذوق المصرى الشرقى ، الصالح ، ويحييه . وهو الذى يحمى الفضائل العملية المصرية والشرقية ، ويغرى الناس بها ؛ وهو الذى يحمى العادات المصرية الشرقية الصالحة للبقاء ، ويقف بها فى وجه العادات الغربية التى لا تلائم البيئة المصرية والشرقية ، وهوالذى ينظر فيماتقتبسه الحياة من جديد ، ويتدخل فى هذا الاقتباس ، بتعقل ولباقة ، ليقاوم الضار منه ، على ضوء الهدى الاسلامى ، والخبرة الاجتماعية والفهم الجيد لشئون الحياة . . فكل هذا وما اليه هو مادعته تلك الهيئة الأزهرية رسالة الأزهر الاجتماعية ، وبالنظر فى هذه الرسالة ، وجدناها حينا غير واضحة فى أذهان رجال هذه البيئة ، وحينا غير معتنى بتعرفها ، وفهمها الفهم الصحيح ، وآنا قد غلبت البيئة الأزهرية على شخصيتها ذاتها فاندمجت فى التيار الغالب بغربيته . . وطورا يعوز هذه البيئـــة الاتصال بالحيـاة ، اتصالا قويا فعالا ، مؤثرا فى سيرها وتوجيهها .

وقد تألفت لجنة بحث المسابقة عن رسالة الأزهر فى القرن العشرين ، من الشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ مصطفى عبدالرازق والشيخ عبد المجيد سليم ، والمرحوم عبد العزيز فهمى ، ومعهم كاتب هـذه الكلمات ، الذى عرض عليهم بعد الحكم فى المسابقة ، ما كتبه قبلها ولم يدخل التحكيم ، وقررت اللجنة أنه الصورة المطلوبة فى ذلك ، ونشره الأزهر مطبوعا ... وفى الناحية الدينية ، من رسالة الأزهر ، أقرت اللجنة من هذا المكتوب نواحى ثلاثا :

١ - بيان التدين الاسلامى المرجو اليوم .

٢ - الهيئة الدينية التى تقوم به وتحققه فى هذا العصر .

٣ - الهدف الذى تعمل لتحقيقه ، أو الرساله الدينية للأزهر .

ومن الحق أن اعتمد على ما أقرته اللجنة من ذلك ، فيما أحدث عنه ، من أمر الأزهر فى حياة مصر الدينية الآن ، وأول ذلك أن تعرف الرأى فى التدين الإسلامى المرجو اليوم ، كما اطمأنت اليه تلك الهيئة الأزهرية ، منذ ذلك الزمن غير القريب ، فهل ترى ، أنه تدين إنسانى القلب ، نبيل العاطفة ، يؤيد التعاون البشرى ، ولا يعوق الإخاء الانسانى ، وأنه ليس العصبية المقيتة ، المتعمقة الأفق التى تحتقر الآخرين وتنزلهم من مرتبة الانسانية ، وتنكر صفتهم البشرية ، وأنه تدين لا يعرف تلك السلطة الغاشمة التى ترهب العقل الطليق ، وتفت فى العزم الوثيق ، وتفسد الذوق

الدقيق . وتحتكم بجبروت لاهوتى فى حياة الدنيا ، وتسد الطريق إلى الآخرة ، وإنه تدين لا يخلق تلك الطبقة التى تحتكر الدين ، وتسد المسالك إلى الله ولا يعترف بتلك الطبقة أن خلقتها الظروف ، لأنه لارياسة فى الاسلام ، وكلهم قريب إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن التدين على هذا الوجه ، ترى الهيئة الجليلة أن يشتق الأزهر صنعته الدينية ، ومن التدين على هذا الوجه يتبين الأزهر رسالته الدينية ، وما أخال مفكرا يشك ، فى أن هذا التدين هو أولا ، أقرب مايكون من حقيقة الاسلام ، وجوهره ، ثم هو ثانيا ماتتطلع اليه الروح الصافية ، الطامحة المخلصة ، البارئة من كل وهم ، أو جهل ، أو تعصب أو جحود أو حمق يسىء إلى الحياة ، وأعود بالذاكرة إلى سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ، فأرى مؤتمر الأديان العالمى يعقد فى ٣ يوليه من سنة ١٩٣٦ نفسها ، ويدعى اليه الأزهر ، فيبعث اليه حضرة صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر برسالة . فى موضوع الزمالة الانسانية ، تنشر بمصر فى شهر يولية من السنة ذاتها .

وترى فى هذه الرسالة أنواراً من آفاق التدين الاسلامى الوضىء ، الذى قرأت آنفا وصفه ، فهى تحدثك عن زمالة عالمية يتعاون فيها أصحاب الأديان جميعا ، تعاونا حقا جادا على تحقيق أغراض معنوية ، وأغراض عملية جليلة مسعدة للانسانية المعناة بالبغضاء والجهل والبؤس ، . فأما الأغراض المعنوية التى تسعى هذه الزمالة الانسانية لتحقيقها فهى فى اجمال ازاحة العلل التى حالت دون تأثير الشعور الدينى ، فى تقريب مابين الناس . . وأما الأغراض العملية فهى - على الاجمال - جعل التدين أداة فعالة فى تهذيب الجماعة وتمكين العوامل المعنوية ، التى تشترك فيها الأديان ، من التأثير فى الحياة الانسانية الواقعية ، وتصيير الفضائل العملية التى تدعو اليها الأديان كلها نظما عملية . . . كما أنها تعد الوسائل المختلفة لتحقيق تلك الأغراض النظرية والعملية من الدرس والتوجيه ، وإيجاد الهيئات و .. و ... مما تجده واضحا فى تلك الرسالة التى نشرها الازهر نفسه ، بالعربية والانجليزية فى يولية سنة ١٩٣٦ م - والتى نشر فى ابريل منها ما كتبه عن رسالة الازهر .

وفى مقالة أخرى نشرت بعنوان « الازهر والعمل الدينى » ذكر فيها فيما ذكره أن الأزهر هو هذه البيئة الدينية الاولى والكبرى ، فى مصر والشرق .. هذه البيئة التى لبثت كثيرا ، تؤدى فى مصر والشرق رسالة دينية ، هذه البيئة التى ستظل دهرا طويلا تؤدى فى مصر والشرق رسالة دينية وللدين عمله فى الحياة ، منذ دبت

الحياة على ظهر الارض . . وسيكون للدين أثره على الحياة ، حتى يرث الله الارض ومن عليها .

فى هذه البيئة آلاف مؤلفة ـ كما تعرف ـ ما بين طلبة دراسين وأساتذة مدرسين ، وعلماء منقطعين للبحث ، ورجال إدارة فى مراكز مختلفة ، بالأزهر ، وموظفين موكلين بأعمال دينية لمصر كالوعاظ ونحوهم . . . وكل أولئك أهل للنشاط العملى ، والتدبير الدينى لحياة مصر ، بل هم أحق بالتدبير العامل لحياة مصر ، من أهل أى بيئة أخرى ، علمية أو عملية بها .. وذلك أن مايقوم به الآخرون ، غير الازهريين إنما يدفعهم اليه شعور الوحدة الاجتماعية ، التى تربطهم بقومهم ، ويحتاجون فى إثارة هذا الشعور بتلك الوحدة ، إلى معان بعيدة ، لادراك أنهم باصلاح حال قومهم إنما يهيئون المجال الحيوى ، الذى يجدون فيه فرصة تكميل أنفسهم وترقية وجودهم ، والحياة السعيدة الكريمة التى يطمعون فيها ، وبدون هذا المجال الحيوى ، من المجتمع الصالح الخير ، يستحيل على الفرد أن يجد فرصة لكمال نفسه هو ، وتحقيق وجوده الصالح السعيد ، وحين يتنادى أهل البيئات غير الدينية بهذه المعانى الاجتماعية ، ويجهدون فى العمل لتقوية الشعور بها ، تجد أهل الدين يشعرون بمثل تلك الحقائق شعورا قويا ، تمده عقيدة وجدانية ، أصيلة بأن الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر هو ما به دون غيره ، تكون الامة خير الأمم ، وبدونه تكون الامة ملعونة وهذا هو مايتعبدون بتلاوته ، ويتفقهون بدرسه ، ويتواصون باتباعه ، والامر بالمعروف الزام بكل خير ، والنهى عن المنكر تجنيب لكل شر ، وعمل الفرد فيه يفيد الناس جميعا . واهمال الفرد له يضر الناس جميعاً .. ومن هنا تكون تلك الآلاف المؤلفة بالازهر ، إذا سلمت فطرتها ، وصحت عقيدتها ، مصدر قوة كبرى فى الشعور بوحدة الجماعة ، ومبعث نشاط عامل للمعروف ، مانع من المنكر ، يتوارثون ذلك كابرا عن كابر ، ويقلد فيهم لاحق سابقا ، ويقتدى آخر بأول فهم جميعاً يتنفسون فى الجو الدينى ، وهم إما معلمون يقررون هذه الاسس الدينية ، أو متعلمون يستمعون لهذا التقرير ، أو مديرون قوامون على توجيه هذه البيئة نحو غايتها ، والاشراف على خطوات سيرها إلى تلك الغاية ..

وقد رد على الأستاذ أمين الخولى وآرائه الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء فى سلسلة طويلة من المقالات الممتعة ، كما رد عليه الأستاذ الشيخ محمد الشربينى عضو الجماعة ورئيس جبهة علماء الأزهر فى مقالة واحدة .

— ١٤ —

ويقول الأستاذ الجليل الشيخ محمد كامل حسن وكيل كلية اللغة العربية معبرا عن رأيه فى رسالة الأزهر :

رسالة الأزهر هى رسالة نبى الاسلام وإنما ينجح العلماء فى أداء هذه الرسالة بما نجح به نبى الاسلام على عاملين لا ينفك أحدهما عن الآخر عامل البيان وعامل السلطان فقد بدأ الرسول صلوات الله وسلامه عليه الدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ولم يزل يتنقل بالعقول التى خضعت للوثنية ، ويذلل لها طريق الهداية إلى المبادىء الاسلامية ويوجهها إلى النظر فى الآفاق والاعتبار بالآيات ، ويتعهدها بالأدلة المقنعة فى أسلوب الحكيم الماهر حتى استطاع بحكمته السامية وحجته الباهرة أن يقنع الناس بصدق الوحدانية وأن يبين لهم أمر دينهم ودنياهم معا ، حتى وضح لهم ما أحل الله لهم وما حرم عليهم ودخلوا فى دين الله أفواجا عن بينة واختيار « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ومن طريق هذا البيان أصبح الحلال بينا والحرام بينا كما قال عليه الصلاة والسلام ومع ما قام به الرسول من بيان أوضح معالم الحلال والحرام فقد اعترضه فى سبيل الدعوة إلى الله صناديد قومه الذين أكل الحقد قلوبهم فعز عليهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم برغم ما لمسوه من أنه نبى حقا وأن ما دعا إليه هو الحق وعرفوه كما يعرفون أبناءهم . وقف هؤلاء فى سبيل دعوته وحرضوا على قتله واذوا أصحابه بأنواع الأذى وكادت هذه الفتنة تزلزل أثر الدعوة التى قامت على الحجة والبيان لولا أن تداركه مولاه بالعناية وأمره بالجهاد وأمده بالعامل الثانى عامل القوة والسلطان فأعطاه السيف لاحبا فى إراقة الدماء ولكن ليزيل من طريق الدعوة هذه العقبات وليسعد العالم بالاسلام رغم أنوف هؤلاء المعاندين المعترضين سبيل الدعوة إلى الله ، فلما وضع السيف فى أعناقهم محا الله صولة الكفر والكافرين ورسخت دعوته التى قامت على الحجة والبيان بعد أن عززه الله بالقوة والسلطان لذلك يقول سيدنا عثمان بن عفان : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » إنه لقول حق وفيه الموقف الفصل ومنه يتبين المنصفين أن رسالة الاسلام إذا قامت على البيان فإنها لا تكمل ولا تتم إلا بالعامل الثانى عامل السلطان الذى غير معالم ظلم الظالمين وأزال صولة الكافرين والمعاندين ومهد للاسلام والمسلمين نعمة التمام والكمال فى قول الله عز وجل : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »

فتعالوا أيها السائلون عن رسالة الازهر ، وهل أدى العلماء رسالتهم أولا؟ تعالوا

لنقول لكم كلمة الحق والحق احق أن يتبع . لقد قام العلماء بواجبهم بالنسبة للعامل الاول عامل البيان وتذكير الناس بمواطن الحلال والحرام ففريق منهم يعلم أبناء المسلمين أحكام دينهم فى كلياتهم ومعاهدهم ليتخرجوا للناس دعاة إلى الله ينذرون قومهم إذارجعوا إليهم — وفريق منهم يقوم بالوعظ والارشاد وإصلاح ذات البين وما شجر بين الناس فى البلاد وما زالوا يجاهدون ويتنقلون لهذا فى كل واد .

وفريق من العلماء يقوم بتعليم العامة فى بيوت الله تعالى حين يجتمعون للصلاة وإذا كان فى كل مسجد عالم يدعو إلى دين الله فكثير ماهم . وإذا أردت أن تعرف صدق القول فى ذلك فاسأل أى رجل فى عرض الطريق عما يعرف من واجبات دينه فيقول لك مثلا الصلاة الزكاة الحج الصوم صلة الأرحام وكل ما يعز دين الله ويسعد الاوطان ثم سله عما حرم الله فيقول لك : الربا الزنى الخمر الغيبة والنميمة وكل سعى بالفساد بين الناس وهكذا والعامى الذى يجيبك بهذا لم يولد من بطن أمه عالما بهذه الاحكام ولكنه مدين فى علمه بذلك لبيان العلماء الذين هم ورثة الانبياء

بعد هذا أعترف للسائل بأن العلماء وإن أدوا رسالتهم بالنسبة لعامل البيان وعليه تقوم نصف الرسالة فإنهم لم يقوموا بتنفيذ ما بينوا للناس من معالم الحلال والحرام ، فهم يرون شارب الخمر يشربها ولا يكسرون كأسه ويرون الربا قد فشا التعامل به ولم يقضوا على آثاره ويرون النساء العاريات متبذلات ولا يتعرضون للقضاء على هذه المظاهر الخلقية بالقوة والسلطان . ويرون كثيرا من المنكرات يقوم بها العام والخاص ولا يستطيعون تغيير هـذه المنكرات إلا بقلوبهم وذلك أضعف الايمان . أتدرى أيها المنصف لماذا ؟ لماذا ضعف العلماء عن تغيير هذه المنكرات ؟ ! لان زمام الامور لما تولاه فى الماضى قوم وهنوا فى أمر دينهم استطاع المستعمرون أن يستخدموهم فى نزع السلطة الدينية من العلماء ومكنوا لهم حتى شرعوا للناس قوانين وقفت عقبة فى سبيل الدعوة إلى الله ، وحالت دون تغيير ما حرم الله فالعالم إذا تعرض مثلا لكسر الكأس الذى بيد شارب الخمر أدين فى القانون الذى رخص بشرائها وشربها والتجارة فيها وإذا تعرض لبيان قوله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » اعترضه المشروع الذى أحل الربا ورخص للقضاء أن يحكم به — وإذا نهى العالم عن مظاهر الفتنة التى يتسابق فيها النساء الفاجرات رموه بالرجعية وأنه عدو الحرية وإذا أبان للناس ما كرم الله به المرأة من قوامة الرجل عليها والقيام بخدمتها ونفقتها ووضعها دون الحجاب الذى يحفظ لها كرامتها ويديم عليها بهجتها لا يجد فى المجتمع ما يؤيده ويساعده لان الناس

مغرمون بالتشريعات التى تبيح للمرأة الاختلاط بالرجال ومثل هذه التشريعات تحمل المرأة على أن تترجل وتحمل الرجل على أن يتخنث .

الحق أقول لك أيها السائل : إن فى النفس شيئا كثيرا ، ويكفى ان أقول لك : إن الرسالة الازهرية لايتم أداؤها إلا إذا تعاون معهم أهل السلطان ، وهذا هو المنتظر بعد أن يتم القضاء على الاستعمار وأذنابه .

الأزهرى وواجبه الدينى والروحى

يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله إلا أن يتم ونوره ولو كره الكافرون . ضلت الانسانية وذلت البشرية ، إن لم تهتد بنور الاسلام المشرق . وترو بسحابه المغدق وتستظل بظله الوارف الأمين . وساء مثل الأمم والشعوب إن لم تؤمن بهذه الشريعة الباقية الخالدة ، وذلك الكتاب السماوى الحكيم ، الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم نوراً وهدى للناس وروحاً وذكرى للعالم وللمؤمنين. وشاهت وجوه أولئك الوارثين لمجد الاسلام الخالد وتراثه التليد ، إن لم يضربوا أروع المثل فى سبيل الله ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون كما ضرب أسلافهم الأرواع المشابيب أكرم الأمثال وقاموا بأروع التضحيات والجهاد ، لتكون كلمة الله هى العليا . لقد وقعت المعجزة منذ أربعة عشر قرنا : على يدى هادى الانسانية وناشر السلام وعلم الدنيا والآخرة محمد ﷺ ، وعلى أيدى أصحابه الأبطال الميامين ، فعلت كلمة الحق ، ونشرت راية الفضيلة ، ورفع لواء الحضارة والمدنية والثقافة ، وظهرت على دول العالم القديم الأمة الاسلامية المؤمنة ، فكان لها الفوز الأكبر ، والنصر المؤزر ، والكلمة العليا ، والشرف العظيم . فلم لايقوم الأزهر بمثل تلك المعجزة من جديد؟ فيقودها ثوررة صارمة فى وجه الباطل ، وهداية حكيمة تملأ مشارق الأرض ومغاربها نوراً ، حتى يطمئن العقل الحائر ، ويسعد العالم الشقى ، وتنعم الانسانية المعذبة ، وتسود كلمة الحق والخير والفضيلة ، وتعود الحياة سيرتها الأولى . ولم لايستصغر المشقات فى جانب روح الأبد ، وراحة الضمير . . . لا يأس فى الدعوة ، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، ولا ونى فى الهداية ، فإنه لاينى فى ميدان الجهاد إلا من لبس إيمانه بظلم ، ولا عمل الا لله ورسوله ، فإن أجدر عمل بالظفر والسداد ما كانت غايته الله ورسوله . فإما أن يحيى للدعوة مجاهدا لاظهار كلمة الله ، وإما أن يموت فى ميدانها شهيدا .

أين الأزهرى الذى يدعو الناس بخلقه وأدبه وطريقته ، إلى ما يدعوهم إليه بقوله وبيانه وحجته ؟ . . وهل تكون العظة ذات أثر إلا إذا صدرت من مؤمن عامل بها ، وممن يأمر بالمعروف ولا ينسى نفسه ؟ فما أفحم الداعى إلى مكرمة لم يندب نفسه لها وإن كان بليغا منطيقا . على الازهرى أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، والحجة البالغة ، والآية المبصرة . . . يأخذ الناس على حسب عقولهم ، ويكلمهم بما يؤثر فى نفوسهم ويعرض عليه نواحى الجمال فى العقيدة الاسلامية ، ويبين لهم ما فيها من دعوة إلى الحق والخير والجمال والعدالة ، ومن إعزاز للنفس الانسانية وسمو بها ، وتكريم لقدر الانسان فى الحياة ، وما فيها من ألوان الاصلاح فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم والعمران ، ومن سماحة فى المبادىء وسهولة فى التشريع ، ويسر فى الشعائر ، وما فيها من ديمقراطية عالية ، وروحية سامية ، وإخاء كريم وعدالة ومساواة وإيثار ضربت بها الأمثال بين الناس . وعليه أن يضرب لهم الامثال بالأسلاف الاولين ، وما كان لهم من المواقف الرائعة ، والمشاهد الماجدة ، والصفحات الناصعة فى كل ميدان . . . وأن يفصل لهم المدى الذى بلغته الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى ، وما كان لهما من آثار بعيدة فى النهضة الغربية الحديثة . وأن يعاضد رجال الفكر والثقافة والصحافة ، ويتخذهم أصدقاء يساعدونه على أداء رسالته الدينية ونشرها بين الناس ، وأن ينشىء الجمعيات الدينية التى تسهم بنشاط فى نواحى المجتمع ومرافق الامة ، وعلى الازهر أن يهضم الثقافة الاسلامية القـــديمة ، ويحيلها غذاء عقليا جديدا بأسلوب يتفق وروح العصر والزمن ، إن الازهر داعية للدين والخير . . . فعليه أن ينهض بالعبء ويحمل الرسالة ، ويؤدى الامانة . وأن يرشد الناس من جديد إلى كل ما فى الدين من حق وخير وجمال .

والتصوف والسمو الروحى فى الاسلام جدير بتأمله ودراسته وإذاعته بين الناس ، ليفهموا رسالة الروحية الحقة ، والسلام الابدى ، والطمأنينة النفسية العميقة ، التى هى « الطب الروحى » و « العلاج النفسى » الصحيح ، الذى سبق بالكشف عنه فلاسفة الاسلام ومتصوفوه منذ أجيال مديدة فى تاريخ الحياة .

الأزهرى كما ينبغى أن يكون

كتب الاستاذ الأكبر المرحوم محمد مصطفى المراغى حول هذا الموضوع يقول:

أول ما يجب أن يكون عليه الازهرى : هو المحافظة على الشعائر الاسلامية محافظة تامة بحيث لا يقصر فى شىء منها، ولا يمكن غيره من الاحتفاظ عليه بزلة ، حتى يكون قدوة بعمله لا بقوله فحسب ، والقدوة العملية تترك فى النفوس أثرا صالحا ، تؤثر فيهـــا ما لا تؤثره الاقوال ، والشعائر الدينية فى جملتها من أكبر الوسائل لطمأنينة النفس والتحلى بالاخلاق الفاضلة ، وهى التى توجد الصلة بين العبد وربه ، وتقوى صلات الافراد ، وتحسن حال الجماعات ، ويصاحب هذا ملازمة الاخلاق النبوية ، والتبصر فى هدى القرآن والسنة ، ومجاهدة النفس ورياضتها على احتمال الاذى والمكروه فى سبيل العمل بالاخلاق الدينية وأداء الشعائر الاسلامية ، حتى تصير الفضيلة شعارا وملكة ، وحتى تصدر أعمال الخير من غير تعمل وروية . ومن لوازم الداعى والمرشد أن يكون شجاعا صادقا قوى الايمان بما يدعو إليه يرى فى الاقدام لذة ، وحقا للنفس الخيرة يؤديه احتسابا لله لا على أنه مكلف به يؤديه للأجر وزيادة الدرجات والمرتبات ، ومن حق الداعى أن يكون بصيرا بالوسط الذى يعيش فيه ، خبيرا بأحوال النفوس ، واسع الحيلة فى التنقل من طريق إلى طريق ، يقصد إلى الهداية المطلوبة من طريقها النافع . وليس أفعل فى النفوس من جلال تسكبه التقوى وملازمة حدود الله ، ومن جمال يلقيه العلم الناضج على صاحبه ، ومن هيبة يوجدها الاعراض عن الدنيا وعدم الحرص عليها ، وقد شاهدنا فقراء ليس لهم جاه رسمى ، ولا عزة عصبية ، يهابهم أصحاب المقامات الرفيعة والاموال المكنوزة ، وينكمشون أمام هيبتهم التى بسطتها التقوى وزانهم بها العزيز الحكيم .

والحرص على الدنيا يفسد على العالم لذة العلم ، ويفسد عليه الغاية التى يطلبها ، وهى الهداية ، والناس لاشك زاهدون فى العلماء إذا رأوهم مقبلين عليها معرضين عن الآخرة . فلتكن الدنيـــا مطلوبة بالقدر الذى تستحقه ، وفى الدرجة التالية لدراسة العلم وتحصيله واللذة به نفسه ، وباعتباره وسيلة من وسائل الآخرة ، وطريقا لرضى الله ورسوله . ولقد كانت للأزهريين تقاليد متوارثة محمودة ، وهى

عطف الكبير على الصغير ، وتوقير الصغير الكبير ، واحترام الأسلاف ، والصبر على الدرس والتحصيل ، وتفهم المسائل بعللها وأسبابها وما يتفرع عنها ويتولد منها ، لايبالون فى سبيل ذلك بالوقت والجهد ويرونه أكبر لذة للنفس وأكبر متاع للعقل ، ويرونه واسطة المجد وطريق الشرف والكرامة ، وكان طالب العلم إذا لم يفهم كتابا أعاده ، وإذا لم يفهم مسألة فتش عمن يفهمها منه ، وكانت اجتماعاتهم لاتخلو من المذاكرة فى مسألة من مسائل العلم ، وقد رأينا منهم من كان أهلا للتدريس وللتقدم للامتحان وكان يحجم لانه يريد الاستزادة وتكميل النفس ، فالعلم نفسه تفوق لذته لذة الحصول على الدرجة ، والدخول فى مضمار الحياة . كانوا يجيدون تحضير الدروس قبل القائها على التلاميذ بقدر مايسمح به الجهد . وكان الطلبة يجيدون تحضير الدروس وفهمها قبل تلقيها عن الشيوخ بل كان نوابغ الطلبة لايذهبون إلى تلقى الدروس إلا لحل مشكلة عرضت لهم . أو انتظار لتحقيق مسألة من مسائلها .. كانوا يفعلون هذا مع الطمأنينة واللذة وسعة الصدر ، لاللنجاح فى الامتحان ، ولا لطلب الرزق . وكانت القناعة تجمل فقرهم وتزين عليهم ، لا يمكن أن يمر فى خاطر أحدهم أن الفقر نقيصة ، وأن الاسراف فى البحث مضيعة للوقت .

ولا ننكر مع هذا أن ملازمة بعض المؤلفات المختصرة ، وترك المناهل العذبة من كتب الاسلاف ، وعدم التوسع فى الاطلاع على تراث الأقدمين ، ضيق دائرة التفكير ، وأوجد إسرافا فى تحليل الالفاظ وإبداء ما تحتمله من الوجوه ، وأوجد انحرافاً عن الجادة القويمة فى طلب العلم وبحث مسائله وتحقيقها ، وبعداعن أساليب اللغة العربية الصحيحة ، وإعراضاعن مسايرة الناس فى الحياة وإدراك ما تتطلبه الحياة بل وشغلهم عن القرآن والسنة من ناحية الهداية التى جاء لها القرآن ، إلى نواح أخرى متكلفة . وتلك هى الادواء التى ألم منها الناس وسعوا لازالتها .

لكن فى الوقت الذى نريد فيه إزالة هذه الادواء ، لايصح أن ينسى الازهرى جوهر تقاليده ، بل يجب عليه أن يحافظ عليها ، وأن يصرفها إلى وجوه الخير ، وما يعود على دينه وأمته وملته بالصلاح والفلاح .

الباب السادس

آراء للأزهر فى مشكلاتنا الفكرية

— ١ —

أصدر الاستاذ على عبد الرازق العالم الأزهرى ، والقاضى الشرعى ، عام ١٩٢٥ كتابه « الاسلام وأصول الحكم » ، وكان على رأس الوزارة فى ذلك الحين زيور باشا يسنده حزب الأحرار الدستوريين برئاسة عبد العزيز فهمى باشا وحزب الاتحاد برئاسة يحيى باشا إبراهيم . . وكان الوفد فى المعارضة برئاسة سعد .

وقد أثار الكتاب معركة اشترك فيها كل صاحب رأى أو قلم . . وقبل أن نعرض للصراع الذى دار حول هذا الكتاب نوضح فكرته الأساسية التى ذهب إليها المؤلف . . . وفكرته هى : أن الاسلام لم يقرر نظاما معينا للحكومة ، ولم يفرض على المسلمين نظاما خاصا يجب أن يحكموا بمقتضاه . بل ترك لنا مطلق الحرية فى أن ننظم الدولة طبقا للأحوال الفكرية والاجتماعية والاقتصادية التى توجد فيها ، مع مراعاة تطورنا الاجتماعى ومقتضيات الزمن . وأن الاسلام برىء من نظام الخلافة ، والأدواء التى عصفت به . فإن الخلافة شلت كل تطور فى شكل الحكومة عند المسلمين نحو النظم الحرة ، خصوصا بسبب العسف الذى أنزله بعض الخلفاء بتقدم العلوم السياسية والاجتماعية ، إذ صاغوها فى قالب يتفق مع مصالحهم .

وقد أثار الكتاب ضجة كبرى فى محيط الأحزاب والشعب ورجال الأزهر ، فجمع شيخ الازهر الشيخ أبو الفضل الجيزاوى هيئة كبار العلماء وقررت أن ما فى الكتاب من آراء هى كفر وإلحاد وخروج على الدين ، كما قررت استدعاء الشيخ على عبد الرازق - باعتباره من العلماء لمحاكمته ، عن تهم سبع وجهتها إليه ، وانعقدت الجلسة فى ٥ أغسطس سنة ١٩٢٥ . وجلس العلماء على مائدة كبيرة ، واستدعى الشيخ على عبد الرازق ، فدخل الحجرة ، وأشار إليه شيخ الأزهر بالجلوس .

ودفع المؤلف دفعا فرعيا ، هو أنه لا يعتبر نفسه أمام هيئة تأديبية وطلب من الهيئة أن لا تعتبر حضوره أمامها اعترافا منه بأن لها حقا قانونيا فى محاكمته .

وفى ٢٥ أغسطس ، أصدرت هيئة العلماء حكمها ، « بتجريد الشيخ على عبد الرازق من العالمية ، لأنه أتى بأمور تخالف الدين والقرآن الكريم والسنة النبوية وأجماع الأمة ! . وقد تساءلت « الأخبار » عن موقف عبد العزيز فهمى وحزبه بعد أن

أحرجته جريدته بدفاعها عن الكتاب . وأما « السياسة » فقد نشرت كلمة للشيخ على عبد الرازق يقول فيها : « لاجرم أننا تقبلنا مسرورين أخراجنا من زمرة العلماء ، وقلنا كما يقول القوم الذين إذا خلصوا من الاذى قالوا « الحمد لله الذى أذهب عنا الأذى وعافانا » : . ومن هذا اليوم ، هجر على عبد الرازق ملابس الشيوخ ، وأصبح « أفنديا » ! . .

أيه أيها الطريد من الأزهر ، تعالى إلى نتحدث عن هذه القصة المضحكة ، قصة كتابك والحكم عليه وعليك وطردك من الأزهر . ما بال رجال الأزهر لم يقضوا على كتابك بالتمزيق ، فقد كان يلذ لنا أن نرى نسخة فى صحن الأزهر أو أمام « باب المزينين » أو فى ناحية من هـذه الانحاء التى لا يأتيها الباطل ولا يصل اليها المنكر ، ولا يسعى اليها ألا الأخيار والأبرار ثم تضرم فيها النار . ! دعنا نتحدث فى حرية ولا تكن أزهريا ، فقد أخرجت من الأزهر ! .

وجاء فى قرار هيئة كبار العلماء فى محاكمته :

من حيث أن الشيخ عليا جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لاعلاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا فقد قال فى ص ٧٨ و ٧٩ والدنيا من أولها لآخرها وجمع مافيها من أغراض وغايات أهون عند الله من أن يقيم على تدبيرها غير ماركب فينا من عقول وحبانا من عواطف وشهوات وعلمنا من أسماء ومسميات هى أهون عند الله من أن يبعث لها رسولا وأهون عند رجل الله من أن يشغلوا بها وينصبوا لتدبيرها » ، وقال فى ص ٨٥ أن كل ماجاء به الاسلام من عقائد ومعاملات وأداب وعقوبات فانما هو شرع دينى خالص لله تعالى ولمصلحة البشر الدينية لاغير . واوضح من كلامه أن الشريعة الاسلامية عنده شريعة روحية محضه جاءت لتنظيم العلاقة بين الانسان وربه فقط أما مابين الانسان من المعاملات الدنيويه وتدبير الشؤون العامة فلا شأن للشريعة به وليس من مقاصدها . وهل فيه استطاعة الشيخ على يشطر الدين الاسلامى شطرين يلغى منـــه شطر الاحكام المتعلقة بامور الدنيا ويضرب بايات الكتاب العزيز وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض الحائط ؟ وماذا يعمل الشيخ على فى مثل قوله تعالى « إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » وقوله تعالى . « وان أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم » ، وقوله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ،

وقوله تعالى . لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن راض منكم» وقوله تعالى : « فإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » . وقوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » . وماذا يعمل الشيخ على فى مارواه البخارى ومسلم فى صحيحهما أن ابنة النضر أخت الربيع لطمت جارية فكسر سنها فاختصموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص . فقالت أم الربيع يارسول الله أنقص من فلانه ؟ لا والله . فسبحان الله . ياأم الربيع كتاب الله القصاص ومثل مارواه البخارى فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال . قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة فى كل مالم يقسم ، فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة . وما رواه أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قضى النبى صلى الله عليه وسلم إذا تشاجروا فى الطريق اذرع ـ وما رواه مسلم فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين على المدعى عليه وما رواه أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين وشاهد .

ومن حيث أنه زعم أن الدين لايمنع من أن جهاد النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سبيل الملك لافى سبيل الدين ولا لابلاغ الدعوة إلى العالمين . فقد قال فى ص ٥٣ وظاهر أول وهلة أن الجهاد لا يكون لمجرد الدعوة إلى الدين ولا لحمل الناس على الايمان بالله ورسوله . . ثم قال فى ص ٥٣ وإذا كان صلى الله عليه وسلم قد لجأ إلى القوة والرهبة فذلك لايكون فى سبيل الدعوة إلى الدين وابلاغ رسالته إلى العالمين وما يكون لنا أن نفهم إلا أنه كان فى سبيل الملك ، فالشيخ على فى كلامه هذا يقطع بأن جهاد النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سبيل الملك لا فى سبيل الدين ولا لابلاغ الدعوة إلى العالمين ، وفى كلامه يزعم أن الدين لايمنع من أن جهاده كان فى سبيل الملك فعلم من كلامه هذا أن الدين لايمنع من أن جهاد النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سبيل الدين ولا لابلاغ الدعوة إلى العالمين وهذا أقل مايؤخذ عليه فى مجموعة نصوصه . على أنه لم يقف عند هذا الحد بل كما جوز أن يكون الجهاد فى سبيل الملك ومن الشئون الملكية جوز أن تكون الزكاة والجزية والغنائم ونحو ذلك فى سبيل الملك أيضا وجعل كل ذلك على هذا خارجا عن حدود رسالة النبى صلى الله عليه وسلم لم ينزل به وحى ولم يأمر به الله تعالى .

ومن حيث انه زعم أن نظام الحكم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم كان موضع غموض أو ابهام أو اضطراب و نقض ، وموجبا للحيرة فقد قال فى ص ٤٠ « لاحظنا أن حال القضاء زمن النبى صلى الله عليه وسلم غامضة ومبهمة من كل جانب » .

وإذا كان قد اعترف ببعض انظمة للحكم فى الشريعة الاسلامية فانه نقض الاعتراف وقرر أن هذه الانظمة ملحقة بالعدم .

وما زعمه الشيخ على مصادم لصريح القرآن الكريم .

ومن حيث انه زعم أن مهمة النبى صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشريعة مجردا عن الحكم والتنفيذ ، فقد قال الشيخ على فى ص ٧١ : ظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له شأن فى الملك السياسى وآياته متضافرة على أن عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معانى السلطان . ثم عاد فأكد ذلك فقال ص ٧٣ « القرآن كما رأيت صريح فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن من عمله شىء غير ابلاغ رسالة الله تعالى إلى الناس وأنه لم يكلف شيئا غير ذلك البلاغ وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه . . ولو كان الأمر كما زعم هو كان ذلك رفضا لجميع آيات الأحكام الكثيرة فى القرآن الكريم . ودون ذلك خرط القتاد .

وقد قال الشيخ على فى دفاعه : « إنه قرر فى مكان أخر من الكتاب بصراحة لا مواربة فيها أن للنبى صلى الله عليه وسلم سلطانا عاما وأنه ناضل فى سبيل الدعوة بلسانه وسنانه . وهذا دفاع لايجدى اذ لو كان معنى الذى قرره فى ص ٦٦ و ٧٠ كما أشار اليه أن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السماوى يتجاوز حدود البلاغ المجرد عن كل معانى السلطان لما كان سائغا أن يقول بعد ذلك فى صفحة ٧١ إن آيات الكتاب متضافرة على أن عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معانى السلطان ، وأن يقول بعد ذلك فى صفحة ٧٣ إن القرآن صريح فى أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن معه شىء غير بلاغ رسالة الله إلى الناس ولم يكلف شيئا غير ذلك البلاغ ، وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه . والواقع أن السلطان الذى أثبته إنما هو السلطان الروحى . كما صرح به فى مذكرة دفاعه حيث قال فيها : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستولى على كل ذلك السلطان لا من طريق القوة المادية وإخضاع الجسم كما هو شأن الملوك والحكام ولكن من طريق

الإيمان له إيمانا قلبيا والخضوع له خضوعا روحيا » ، لكان دفاعه اثباتا للتهمة لانفيالها ، على أنه قد نسب فى ص ٦٥ و ٦٦ السلطان إلى عوامل أخرى من نحو الكمال الخلقى والتميز الاجتماعى لا إلى وحى الله وآيات كتابه الكريم ، كما أنه جعل الجهاد فى موضع آخر من كتابه وسيلة كان على النبى صلى الله عليه وسلم ان يلجأ إليها لتأييد الدعوة ولم ينسبه إلى وحى له ، وكلام الشيخ على مخالف لصريح كتاب الله تعالى الذى يرد عليه زعمه ويثبت ان مهمته صلى الله عليه وسلم تجاوزت البلاغ إلى غيره من الحكم والتنفيذ فقد قال الله تعالى : « إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » وقال تعالى « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » .

وروى عن ابن سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب فقال اضربوه . وروى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت وقالوا من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترىء عليه الا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتشفع فى حد من من حدود الله . ثم قام فخطب فقال : يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم انهم إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها . فهل يجوز أن يقال بعد ذلك فى محمد صلى الله عليه وسلم إن عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معانى السلطان وانه لم يكلف أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه ؟

وهل يجوز أن يقال بعد ذلك فى القرآن الكريم إنه صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن من عمله شىء غير إبلاغ رسالة الله إلى الناس وليس عليه ان يأخذ الناس بما جاءهم به ولا ان يحملهم عليه .

ومن حيث انه أنكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى أنه لابد للأمة ممن يقوم بأمرها فى الدين والدنيا فقد قال فى ص ٢٢ « أما دعوى الاجماع فى هذه المسألة — وجوب نصب الامام — فلا تجد مساغا لقبولها بأى حال ومحال إذا طالبناهم بالدليل أن يظفروا بدليل ، على اننا مثبتون لك ان دعوى الاجماع هنا غير صحيحة ولا مسموعة سواء أرادوا بها اجماع الصحابة وحدهم أم الصحابة والتابعين أم علماء المسلمين أم المسلمين كلهم » . ادعى الشيخ على

أن حظ العلوم السياسية فى العصر الاسلامى كان سيئا على الرغم من توافر الدواعى التى حمل على البحث فيها ، وأهمها أن مقام الخلافة منذ زمن الخليفة الاول كان عرضة للخارجين عليه ، غير ان حركة المعارضة كانت تضعف وتقوى ، ثم ساق بعد أمثلة يؤيد بها مايدعيه من أن الخلافة كانت قائمة على السيف والقوة لا على البيعة والرضا ولو سلم للشيخ على ذلك جدلا لما تم له مايزعمه من إنكار اجماع الصحابة على وجوب نصب إمام للمسلمين . فان إجماعهم على ذلك شيء وإجماعهم بيعة إمام معين شيء آخر واختلافهم فى بيعة امام معين لايقدح فى اتفاقهم على وجوب نصب الامام ، أى امام كان . وقد ثبت اجماع المسلمين على امتناع خلو الوقت من امام . ونقل الينا ذلك بطريق التواتر فلا سبيل الى الانكار .

ومن حيث انه أنكر ان القضاء وظيفة شرعية فقد قال فى ص ١٠٣ « والخلافة ليست فى شيء من الخطط الدينية ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة ، وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة لاشأن للدين بها فهو لم يعرفها ، ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها ، وإنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الامم وقواعد السياسية » . وكلام الشيخ على فى دفاعه يقضى بأن الذين ذهبوا إلى ان القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعا عن الخلافة فمن أنكر الخلافة أنكر القضاء .

وقال الشيخ على فى دفاعه : « ان الذى أنكر أنه خطة شرعية إنما هو جعل القضاء وظيفة معينة من وظائف الحكم ومراكز الدولة واتخاذه مقاما ذا أنظمة معينة وأساليب خاصة » .

وما زعمه الشيخ على من انكار أن القضاء وظيفة شرعية وخطة دينية باطل ومصادم لآيات الكتاب العزيز ، قال الله تعالى : « فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وقال تعالى : « فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » وقال تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » وقال تعالى « إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

ومن حيث إنه يزعم أن حكومة أبى بكر والخلفاء الراشدين من بعده رضى الله عنهم كانت لادينية فقد قال فى ص ٩ : « طبيعى معقول إلى درجة البداهة ألا توجد بعد النبى صلى الله عليه وسلم زعامة دينية . وأما الذى يمكن أن يتصور وجوده فانما هو نوع من الزعامة جديد ليس متصلا بالرسالة ولا قائما على الدين ، هو إذاً نوع لادينى » . وهذه جرأة لادينية فإن الطبيعى والمعقول عند المسلمين إلى درجة البداهة أن زعامة

أبى بكر رضى الله عنه كانت دينية يعرف ذلك المسلمون سلفهم وخلفهم جيلا بعد جيل!.

ومن حيث ان التهمة الموجهة ضد الشيخ على عبد الرازق ثابتة عليه وهى مما لايناسب وصف العالمية وفاقا للمادة (١٠١) من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ ، فبناء على هذه الأسباب حكمنا نحن شيخ الجامع الأزهر باجماع أربعة وعشرين عالما معنا من هيئة كبار العلماء باخراج الشيخ على عبد الرازق أحد علماء الجامع الازهر والقاضى الشرعى بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب « الاسلام وأصول الحكم » من زمرة العلماء .

— ٢ —

وكانت الثورة الثانية عندما أخرج الدكتور طه حسين عام ١٩٢٦ كتابه « الشعر الجاهلى » فأحدث ضجة هائلة فى مصر وبين رجال الدين ، استمر صداها أمدا طويلا. وكان أول أثر لهذا الصدى هو مصادرة الكتاب ، وقد حققت النيابة العامة مع الدكتور واتخذت النيابة أخيرا قرارا بحفظ أوراق التحقيق إداريا لأن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتعدى على الدين ، بل أن العبارات الماسة بالدين التى أوردها فى بعض المواضع من كتابه إنما قد أوردها فى سبيل البحث العلمى مع اعتقاده ان بحثه يقتضيها » .

وقد أخرج الدكتور طه كتابه بعنوان جديد هو « فى الأدب الجاهلى » وحذف منه بعض الفقرات التى كانت سببا لثورة الجماهير ورجال الدين على الكتاب ، وقد بسطت المسائل الأدبية التى أوردها الدكتور فى كتابه (الشعر الجاهلى) ، وناقشتها مناقشة تحليلية فى كتابى (الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى) ، فلا داعى للعودة إليها فى هذا الكتاب .

— ٣ —

وفى عهد الشيخ المراغى فكر فى ترجمة القرآن سنة ١٩٣٦ ، وقد ثار الكثير على الشيخ المراغى وعارضوا مشروع الترجمة ، وقدم الشيخ إلى رئيس مجلس الوزراء مذكرة بشأن المشروع جاء فيها :

اشتغل الناس قديما وحديثا بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة وتولى

ترجمته أفراد يجيدون لغاتهم ولكنهم لا يجدون اللغة العربية ولا يفهمون الاصطلاحات الاسلامية الفهم الذى يمكنهم من أداء معانى القرآن على وجه صحيح ، لذلك وجدت فى التراجم أخطاء كثيرة وانتشرت تلك التراجم ولم يجد الناس غيرها فاعتمدوا عليها فى فهم أغراض القرآن الكريم وفهم قواعد الشريعة الاسلامية فأصبح لزاما على أمة اسلامية كالأمة المصرية لها المكان الرفيع فى العالم الاسلامى أن تبادر إلى ازاحة هذه الاخطاء وإلى اظهار معانى القرآن الكريم نقية فى اللغات الحية لدى العالم ، ولهذا العمل أثر بعيد فى نشر هداية الاسلام بين الأمم التى لا تدين بالاسلام ذلك أن أساس الدعوة إلى الدين الاسلامى إنما هو الادلاء بالحجة الناصعة والبرهان المستقيم ، وفى القرآن الكريم من الحجج الباهرة والادلة الدامغة ما يدعو الرجل المنصف إلى التسليم بالدين والاذعان له . وفائدة أخرى للأمم الاسلامية التى لا تعرف العربية وتشرئب أعناقها إلى اقتطاف ثمرات الدين من مصدرها الرفيع فلا تجد أمامها إلا تراجم قد ملئت بالاخطاء ، فاذا ما قدمت لها ترجمة صحيحة تصدرها هيئة لها مكانتها الدينية فى العالم اطمأنت اليها وركنت إلى أنها تعبر عن الوحى الالهى تعبيرا دقيقا .

لذلك أقترح أن يقرر مجلس الوزراء ترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة رسمية على أن تقوم بذلك مشيخة الأزهر بمساعدة وزارة المعارف وأن يقرر مجلس الوزراء الاعتماد اللازم لذلك المشروع الجليل ، فأرجو النظر فى هذا .

وقد أرفق المراغى بمذكرته نص فتوى كبار العلماء ، وقد وجه إليهم سؤالا جاء فيه .

ما قول السادة حضرات أصحاب الفضيلة جماعة كبار العلماء فى السؤال الآتى بعد ملاحظة المقدمات الآتية :

١ — لا شبهة فى أن القرآن الكريم اسم للنظم العربى الذى نزل على سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلى آله .

ولا شبهة أيضاً فى انه إذا عبر عن معانى القرآن الكريم بعد فهمها من النص العربى بأية لغة من اللغات لا تسمى هذه المعانى ولا العبارات التى تؤدى هذه المعانى قرآناً .

٢ — ومما لا محل للخلاف فيه أيضاً أن الترجمة اللفظية بمعنى نقل المعانى مع خصائص النظم العربى المعجز مستحيلة .

٣ — وضع الناس تراجم للقرآن الكريم بلغات مختلفة اشتملت على أخطاء كثيرة واعتمد على هذه التراجم بعض المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية ، وبعض العلماء من غير المسلمين ممن يريد الوقوف على معانى القرآن الكريم .

٤ — وقد دعا هذا إلى التفكير فى نقل معانى القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى على الوجه الآتى :

يراد أولا فهم معانى القرآن الكريم بوساطة رجال من خيرة علماء الأزهر الشريف بعد الرجوع لآراء كبار أئمة المفسرين وصوغ هذه المعانى بعبارات دقيقة محدودة ، ثم نقل هذه المعانى التى فهمها العلماء إلى اللغات الأخرى بوساطة رجال موثوق بأمانتهم واقتدارهم فى تلك اللغات بحيث يكون ما يفهم فى تلك اللغات من المعانى هو ما تؤديه العبارات العربية التى يضعها العلماء ، فهل الاقدام على هذا العمل جائز شرعا أو غير جائز .

هذا مع العلم بأنه سيوضع تعريف شامل يتضمن أن الترجمة ليست قرآنا وليس لها خصائص القرآن وليست هى ترجمة كل المعانى التى يحتملها النظم العربى وإنما هى ترجمة للمعانى التى فهمها العلماء وأنه ستوضع الترجمة وحدها بجوار النص العربى للقرآن الكريم .

وقد أجاب السادة العلماء على ذلك بالفتوى الشرعية الآتى نصها : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد فقد اطلعنا على جميع ما ذكر بالاستفتاء المدون بباطن هذا ونفيد بأن الاقدام على الترجمة على الوجه المذكور تفصيلا فى السؤال جائز شرعاً والله سبحانه وتعالى أعلم .

امضاءات : محمود الدينارى عضو جماعة كبار العلماء وشيخ معهد طنطا ، عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين وعضو جماعة كبار العلماء ، ابراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية وعضو جماعة كبار العلماء ، محمد مأمون الشناوى شيخ كلية الشريعة وعضو جماعة كبار العلماء ، عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء ، محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر وعضو جماعة كبار العلماء ، دسوقى عبد الله البدوى عضو جماعة كبار العلماء ، أحمد الدلبشانى عضو جماعة كبار العلماء ، يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء ، محمد سبع الذهبى شيخ الحنابلة وعضو جماعة كبار العلماء ، عبد المعطى الشرشيمى عضو جماعة كبار العلماء ، عبد الرحمن قراعة عضو هيئة كبار العلماء ، أحمد نصر عضو جماعة كبار العلماء ، محمد الشافعى الظواهرى عضو جماعة كبار العلماء :

حيث ان الترجمة المرادة هى ترجمة لمعانى التفسير الذى يضعه العلماء فهى جائزة شرعا بشرط طبع التفسير المذكور بجوار الترجمة المذكورة ، كتبه بيده الفانية :

عبد الرحمن عليش الحنفى من جماعة كبار العلماء .

ولما تلقى المراغى هذه الفتوى الشرعية أرفقها بكتاب منه هـذا نصه : بسم الله الرحمن الرحيم . وجهت هذا السؤال إلى حضرات أصحاب الفضيلة جماعة كبار العلماء وأنا أوافقهم على ما رأوه ولا أرى داعياً للحفظ الذى أبداه فضيلة الشيخ عبد الرحمن عليش وهو طبع التفسير مع الترجمة لعدم الحاجة إلى ذلك بعد مراعاة الشروط المدونة فى السؤال . رئيس جماعة كبار العلماء : محمد مصطفى المراغى .

ومع ذلك فقد بدأت لجنة فى عهد الشيخ المراغى فى ترجمة القرآن ، ثم توقفت عن العمل ، ولم تنجز شيئاً من مهمتها .

ولما تولى المشيخة الأستاذ الأكبر الشيخ ابراهيم حمروش فكر فى طبع رسائل إسلامية للتعريف بالاسلام بشتى اللغات ، ومع ذلك لم ينجز شىء من هذا العمل .

وفى اكتوبر عام ١٩٥٤ كتب الدكتور طه حسين يطالب بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات الحية ، وأجابت مشيخة الأزهر على تساؤله بأن المشيخة تفكر فى وضع وطبع رسائل إسلامية تكتب بشتى اللغات العالمية الحية .

— ٤ —

وفى عام ١٩٤٧ ألف الأستاذ محمد أحمد خلف الله رسالة سماها « الفن القصصى من القرآن الكريم » وقدمها إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول للحصول على الدكتوراه

وقد ثار على هذه الرسالة علماء الأزهر ، وفى مقدمتهم الشيخ عبد المجيد سليم ، والمرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى الأستاذ بكلية اللغة العربية سابقاً ، والشيخ شلتوت وكان معهم أحمد أمين ، وبعضهم أساتذة الجامعة .

ووقف الأستاذ أمين الخولى وصاحب الرسالة يدافعان عن الكتاب . . وقد كانت أخبار اليوم وبعض الصحف والمجلات تنشر بين الحين والحين أنباء المعركة حول هذه الرسالة ، وقد قررت الجامعة عدم صلاحية الرسالة ، وطالبت المؤلف بتقديم رسالة أخرى ، وقد نشر كتابه بعد ذلك .

— ٥ —

وفى عام ١٩٥٠ اخرج الدكتور طه حسين كتابه (الوعد الحق) ، واتفقت معه بعض شركات السينما على إخراجه فى (فيلم سينمائى) . .

فوافق على ذلك بعض العلماء ، وثار آخرون على هذا الفيلم الذى تعرض فيه للصحابة على الشاشة البيضاء ، ومنهم المرحوم الشيخ محمود أحمد الغمراوى عضو جماعة

كبار العلماء الذى كتب فى الأهرام يوم ١٠ / ٨ / ١٩٥٠ يقول :

قرأت ماأملاه الدكتور طه حسين وزير المعارف على مندوب الأهرام جوابا عن سؤاله الخاص بوضع سيادته سيناريو عن الدين الاسلامى عند ظهوره ، وقد جاء فيما أملاه الدكتور على المندوب انه اصدر فى شهر يناير الماضى كتابا عنوانه « الوعد الحق » وان هذا الكتاب يصور الاضطهاد الذى لقيه المسلمون عند ظهور الاسلام ، وكيف ثبت المسلمون لهذا الاضطهاد وصبروا عليه وانتصروا على الذين كانوا يضطهدونهم . وان هذا الكتاب ظهر وتلقاه القراء لقاء حسنا ، ثم تص ماعرضه عليه الأستاذ عز الدين من رجائه للدكتور ان يأذن له فى أن يستق من هـذا الكتاب سيناريو لفيلم سينمائى ، فاستغرب الدكتور الأمر واستبعد ان يكون تحقيقه ممكنا ولكنه لما كلمه فيه مرة ومرة اقتنع بامكان ذلك ، وطلب اليه ان يستأذن من رجال الدين شيخين عينهما ، فلما جاءه منهما كتابان اذنا فيهما بهذا العمل واظهرا استحسانا شديدا له ، اخذ الدكتور فى مراجعة السيناريو الذى كان قد وضعه المخرج ، وانتهيا اخيراً إلى اقراره بعد جهد طويل .

تلك هى قصة وضع ذلك السيناريو الذى اعتزم الدكتور طه حسين أن يبرز به نبى المسلمين وخلفاءه الراشدين وأصحابه الأبرار المجاهدين مصورين فى فيلم سينمائى ، فيزلزل إيمان العامة ، ويفتن جماهير المسلمين إذ يكون النظارة من الدهماء وغيرهم عند عرض هذا الفيلم عليهم بين أمرين لا ثالث لهما : فإما أن يستقبلوه كعادتهم عند عرض ما يستغرب عليهم فيتلقوه بالصفير والنعير ، ولازمة ذلك الاستهزاء والتحقير وذلك هو الاثم البواح والكفر الصراح .

أو يتلقوا هذه الصور الكريمة بما يليق لأصحابها من احترام وتوقير ، وتعظيم وتقدير ، فيدخلوا فى باب من أبواب التشبه بعبدة الصور ، وحينئذ يلجون على الشرك أو يلج عليهم الشرك من باب أمرنا الإسلام بسده ، ونهى الدين عن ولوجه ، أو أن يحوم المسلمون حوله بتحريم التصوير ولعن المصورين وحظره اتخاذ الصور . هـذا إلى أن تصوير النبى وصحبه وخلفائه (وهم الذين يحرمون التصوير ويحظرون اتخاذ الصور) مؤذن باستخفاف المصور وكل من يقره أو يرضى عن عمله بأصحاب هذه الصور .

فمن أبرز إنساناً على هيئة أو صورة يكره اتخاذها لغيره ، بله أن يكون قد جاء

بدين يحرم اتخاذ الصور فهو مزدر بصاحب هذا الدين ومستخف به . ولو أن انسانا رسم الدكتور طه حسين الآن فى زى : فوق رأسه عمامة وعليه قفطان وجبة وبيده مسبحة ، فانى أحكم بأن الذى فعل ذلك مستخف بالدكتور مستهزىء به ، ذلك بأنى أعلم أن الدكتور طه نبذ هذا الزى منذ أعوام وحرمه على نفسه ، فمن يصور النبى وهو يعلم أن النبى قد حرم التصوير ونهى عن اتخاذ الصور ، فقد اقترف اثما مبينا ، واقترب من الكفر بهذا النبى وشريعته ودينه . إن للدكتور طه أن يكتب للناس ويخلبهم بسحر بيانه وأن يعرض على القراء من صفحات التاريخ الاسلامى صفحات رائعات يبين لهم فيها أن المسلمين فى أول ظهور الاسلام لم يكسبوا حريتهم الا بالجهد والصبر والمقاومة والثبات ، تلك الخلال المجيدة التى كسبهم إياها أيمانهم ومكنها من قلوبهم صدقهم فى الإيمان ، وأن يصور لهم فى ذلك مايشاء بأسلوبه الطلى وبيانه الساحر الوحى ، لعلهم يرجعون إلى نفوسهم ، ويتعرفون مكامن الداء فى قلوبهم فيداووها ، فان الله ليشكر له ويجزل ثوابه على ما يقدم من عمل على حسب نيته . غير أنى أربأ بالدكتور عن أن يخرج عن طبيعته ويعدل عن صنعته وأن يحاول أن يجحد بيانه ويبدل سحره واحسانه ، ويجعل من ذلك صورا ميتة ورسوما جامدة لا فائدة من ورائها ، فان ابى لنفسه إلا ذلك فانى انصح له ألا يسىء إلى المسلمين والا يمتهن قداسة النبيين والصديقين يروج الوزير لمشروعه الخطير بانه سيكون له أثر حسن جدا من ناحيتين ذكرهما ! فاما عن الناحية الأولى فقد قدمنا ماسيكون من النظارة عندما يعرض عليهم هذا الفيلم وذكرنا ماينجم عنه من خطر على عقيدتهم ودينهم .

وإذا كنا نئن ونتوجع مما تأتيه الجماهير من الآهات المكررة والأصوات المنكرة حين سماعها للقرآن وهو الذى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله فتراهم حين يسمعون القرآن من قارىء متكسر فى تلاوته يصيحون ويكثرون من التاوه تأثرا بالنغمة واستحسانا للوحدة ذاهلين عن معانى الآيات التى تقرع اسماعهم فلا تخشع لها جوارحهم أو تلين قلوبهم — فكيف يكون الحال عندما يشاهدون أبطال المسلمين ونبى الاسلام فى ثياب بالية مهلهلة وفى هيئة تنبو عنها أبصارهم وتنفر منها اذواقهم ، وهل يبقى لواحد من هؤلاء الدهماء دينه ، أو يثبت معه أيمانه ويقينه عندما يهجم على قلبه الاشمئزاز والنفور من تلك الهيئة البدوية والصورة العربية الوحشية التى ينكرها ذوقه ويشمئز منها حسه ، أيظن معالى الدكتور أن يكون الدهماء فلاسفة عندما يشاهدون السيناريو الذى يعده معاليه لهم فتقتحم

أبصارهم تلك الصور وتتخطى ما يحيط بها من الأستار ويطفرون بعقولهم ويشبون بأفكارهم إلى ماوراء هذه الصور الشوهاء الملخبطة فيدركون ما تخفى ورائها من المعانى والأسرار .

أما الناحية الثانية التى يروج بها الدكتور لمشروعه وهى الناحية الفنية وغض صاحبه بها وتقدمه فيها فانا نتمنى لصاحبه ما يتمناه هو له من النبوغ والتقدم ، وأن يكون فى فنه من العبقريين على أن لا يجرى ريشته فى رءوس المسلمين .

أما بعد فان عهدى بالدكتور طه حسين انه من أولئك الرجال الذين لا يستفتون غيرهم وانما يستفتون قلوبهم وان أفتاهم المفتون لا يدفعه إلى أمر دافع ، ولا يرجعه أو يثنيه عن رغيبة أرادها راجع ، فما باله اليوم ينزل عن مطيته ، ولا يمضى لطيته حتى يجيزه اثنان ارتضاهما من بين رجال الدين . ثم أقول لحضرتى الشيخين اللذين أجازا فى كتابيهما هذا العمل وأظهرا استحسانهما الشديد له : على أى أساس بنيتما هذا الاذن وكيف كان هذا الاستحسان ؟ فهل غاب عنكما وأنتما من أعرف الناس بروح هذا العصر ، وما يغلب على أهله من التمرد على الدين والالحاد فيه — ما يترتب على هذا العمل من خطر ، وما ينشأ عنه من فتن تفتح أبوابها وتفغر أفواهها ، وهل نسيتما سد الذرائع ؟ عسى أن تعدا فى العصريين ، وألا تكونا مثلنا عن ركب الحياة متخلفين !

خدعوها بقولهم حسناء والغوانى يغرهن الثناء

ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا يا أرحم الراحمين .

— ٦ —

حول كتاب من هنا نبدأ :

وقد أخرج الشيخ خالد محمد خالد من العلماء كتابا عام ١٩٥٠ سماه « من هنا نبدأ » . . وقد ثار العلماء على هذا الكتاب ، وكثرت حركة النقد حوله مما هو مشهور ومعروف .

وقد صودر الكتاب ونظرت قضية مصادرته أمام القضاء ، فحكم بإلغاء أمر مصادرته ، لأن حرية الرأى مكفولة فى حدود القانون ، والكتاب لا ينطوى على جريمة ما ، وقد كتب خالد محمد خالد مقالة فى المصرى بعنوان « شموع لا حراب » قال فى آخرها : « لقد احتكم الأزهر إلى القضاء ، وقال القضاء كلمته ، فلننحن لها فى خشوع وإعجاب ، فإنها كضوء الفجر منيرة هادية » .

— ٧ —

وطالبت الهيئات النسائية بإعطاء المرأة حقوقها السياسية ، وأيدها فى ذلك بعض الأفراد ، فنشر مفتى الديار المصرية الشيخ مخلوف عام ١٩٥٢ فتوى جاء فيها :

عنى الإسلام أتم عناية بإعداد المرأة الصالحة للمساهمة مع الرجل فى بناء المجتمع على أساس من الدين والفضيلة والخلق القويم وفى حدود الخصائص الطبيعية لكل من الجنسين فرفع شأنها وكون شخصيتها وقرر حريتها وفرض عليها كالرجل طلب العلم والمعرفة ، ثم ناط بها من شئون الحياة ما تهيؤها لها طبيعة الأنوثة وما تحسنه حتى إذا نهضت بأعبائها كانت زوجة صالحة وأما مربية وربة منزل مدبرة وكانت دعامة قوية فى بناء الأسرة والمجتمع .

وكان من رعاية الإسلام لها حق الرعاية أن حاط عزتها وكرامتها بسياج منيع من تعاليمه الحكيمة وحمى أنوثتها الظاهرة من العبث والعدوان وباعد بينها وبين مظان الزيف وبواعث الافتتان فحرم على الرجل الأجنبى الخلوة بها ، والنظرة العارمة إليها ، وحرم عليها أن تبدى زينتها إلى ما ظهر منها ، وأن تخالط الرجال فى مجامعهم ، وأن تتشبه بهم فيما هو من خواص شئونهم ، وأعفاها من وجوب صلاة الجمعة والعيدين مع ما عرف عن الشارع من شديد الحرص على اجتماع المسلمين وتواصلهم ، وأعفاها فى الحج من التجرد للاحرام ، ومنعها الإسلام من الأذان العام ، وإمامة الرجال للصلاة ، والإمامة العامة للمسلمين ، وولاية القضاء بين الناس ، وأثم من يوليها ، بل حكم ببطلان قضائها على ما ذهب إليه جمهور الأئمة ، ومنع المرأة من ولاية الحروب وقيادة الجيوش ولم يبح لها من معونة الجيش إلا ما يتفق وحرمة أنوثتها .

وقد قال تعالى للمؤمنين بعد ان امرهم بطاعة الله وطاعة رسوله وأولى الامر (فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) والرد إلى الله والرسول هو الرد إلى القرآن والسنة ، وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فليس للمرأة المؤمنة ان تترك ما حدده لها الشارع الحكيم وتأخذ بما نهاها عنه ، وقد قال تعالى لنساء نبيه صلى الله عليه وسلم ونساء الامة تبع لهن (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) عن أنس رضى الله عنه ان بعض النساء قلن يارسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد فى سبيل الله فما لنا من عمل ندرك به عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قعدت منكن فى بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى والجهاد سنام الاسلام وعموده وما دونه لا يدانيه فضلا واجرا) ، وقال تعالى (وإذا سألتموهن

متاعا فاسالوهن من وراء حجاب) . قال القرطبي ويدخل فى ذلك جميع النساء بالمعنى وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة بدنها وصوتها فلا يجوز كشف ذلك إلا للضرورة القصوى وفى الحديث (المرأة عورة وإذا خرجت استشرفها الشيطان وإنها تكون أقرب إلى الله منه فى بيتها) ، وفى الحديث الصحيح (لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى رحم) وفيه (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) — وفيه (لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) وفيه (صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يها الناس ونساء كاسيات عاريات ممیلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها) وهذا من أعلام النبوة التى وقعت . ولا سبيل إلى استقصاء الايات والأحاديث الواردة فى ذلك لكثرتها ، بل ما كنا فى حاجة إلى ذكرها وهى من بديهيات التشريع وفيها الدلالة القاطعة على أن الشريعة الاسلامية لا تبيح للمرأة ما تطالب به الان مما سمته حقوقاً لها وهو اعتداء منها على الحقوق التى خص بها الرجال . وكل ما أباحه لها الشارع ومامنعها منه إنما هو لخيرها وصونها وسد ذرائع الفتنة منها والافتتان بها حذرا من أن يحيق بالمجتمع ما يفضى إلى انحلاله وانهيار بنائه والله أعلم بما للطبائع البشرية من سلطان ودوافع وبما للنفوس من ميول ونوازع والناس يعلمون والحوادث تصدق . ولقد بلغ من أمر الحيطة للمرأة أن أمر الله تعالى نساء نبيه صلى الله عليه وسلم بالحجاب وهن أمهات المؤمنين حرمة واحتراما وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم تمس يده وهو المعصوم أيدى النساء اللاتى بايعنه — وأن المرأة لم تول ولاية من الولايات الاسلامية فى عهده ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ولا فى عهود من بعدهم من الملوك والأمراء ولا حضرت مجالس تشاوره صلى الله عليه وسلم مع أصحابه من المهاجرين والأنصار .

ذلك شأن المرأة فى الإسلام ومبلغ تحصينها بالوسائل الواقية ، فهل تريد المرأة الآن أن تخترق آخر الأسوار وتقتحم على الرجال قاعة البرلمان فتزاحم فى الانتخاب والدعاية والجلسات واللجان والحفلات والتردد على الوزارات والسفر إلى المؤتمرات والجذب والدفع وما إلى ذلك مما هو أكبر إثماً وأعظم خطراً من ولاية القضاء بين خصمين وقد حرمت عليها واتفق أئمة المسلمين على تأثيم من يوليها تاركة زوجها وأطفالها وبيتها وديعة فى يد من لا يرحم . إن ذلك لا يرضاه أحد ولا يقره الإسلام بل ولا الأكثرية الساحقة من النساء اللهم إلا من يدفعه تملق المرأة أو الخوف من غضبتها إلى مخالفة الضمير والدين ومجاراة الأهواء ولا حسبان فى ميزان الحق لهؤلاء . على المسلمين عامة

ان يتعرفوا حكم الاسلام فيما يعتزمون الاقدام عليه من عمل ، فهو مقطع الحق وفصل الخطاب ، ولاخفاء فى ان دخول المراة فى معمعة الانتخاب والنيابة غير جائز لما بيناه.

وإننا ننتظر من السيدات الفضليات أن يعملن بجد وصدق لرفعة شأن المرأة من النواحى الدينية والأخلاقية والاجتماعية والعلمية الصحيحة فى حدود طبيعة الأنوثة والتعاليم الاسلامية قبل أن يحرصن على خوض غمار الانتخاب والنيابة — وان نسمع منهن صيحة مدوية للدعوة إلى وجوب تمسك النساء عامة بأهداب الدين والفضيلة فى الأزياء والمظاهر والاجتماعات النسائية وغير ذلك مما هو كمال وجمال للمرأة المهذبة الفاضلة .

وأصدرت لجنة الفتوى فى الأزهر حول هذا الموضوع هذه الفتوى :

إن لجنة الفتوى تتوخى جهدها هذه الأصول والمبادىء — فى بحث ما يعرض لها من المسائل — وتسير على هذا النهج فى بحث المسألة الحاضرة : مسألة حق المرأة فى الانتخاب . وهى تقرر أن هذه المسألة ذات شقين :

الأول : أن تكون المرأة عضوا فى البرلمان .

الثانى : أن تشترك فى انتخاب من يكون عضوا فيه .

ولمعرفة الحكم فى هذين الأمرين اللذين يتضمن أولهما نوعاً من ولاية التصرف فى شئون عامة ، يلزم بيان أن الولاية نوعان . ولاية عامة وولاية خاصة .

فالولاية العامة : هى السلطة الملزمة فى شأن من شئون الجماعة ، كولاية من القوانين والفصل فى الخصومات ، وتنفيذ الأحكام ، والهيمنة على القائمين بذلك .

والولاية الخاصة : هى السلطة التى يملك بها صاحبها التصرف فى شأن من الشئون الخاصة بغيره كالوصاية على الصغار ، والولاية على المال ، والنظارة على الأوقاف . وقد فسحت الشريعة للمراة فى هذا النوع الثانى من الولاية فهى تملك منها ما يملكه الرجل كما تملك التصرف فى شئون نفسها الخاصة بها . فلها حق التصرف فى أموالها بالبيع والهبة والرهن والاجارة وغيرها من التصرفات وليس لزوجها ولا لأحد من أهلها حق معها فى ذلك . ملكتها الشريعة ذلك كله مع إرشادها إلى ما يحفظ كرامتها وحياطتها بما فيه ضمان شرفها ومكانتها .

أما الولاية العامة — ومن أهمها مهمة عضو البرلمان وهى ولاية سن القوانين

والهيمنة على تنفيذها - فقد قصرتها الشريعة الاسلامية على الرجال إذا توافرت فيهم شروط معينة .

وقد جرى التطبيق العملى على هذا من فجر الاسلام إلى الآن . فانه لم يثبت أن شيئا من هذه الولايات العامة قد أسند إلى المرأة ، لا مستقلة ولا مع غيرها من الرجال وقد كان فى نساء الصدر الأول مثقفات فضليات ، وفيهن من تفضل كثيرا من الرجال كأمهات المؤمنين .

ومع أن الدواعى لاشتراك النساء مع الرجال فى الشئون العامة كانت متوافرة لم تطلب المرأة أن تشترك فى شىء من تلك الولايات ولم يطلب منها هذا الاشتراك ، ولو كان لذلك مسوغ من كتاب أو سنة لما أهملت مراعاته من جانب الرجال والنساء باطراد . وهذه قصة سقيفة بنى ساعدة فى اختيار الخليفة الأول بعد الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ فيها الخلاف أشده ثم استقر الأمر لأبى بكر وبويع بعد ذلك البيعة العامة فى المسجد ، ولم تشترك امرأة مع الرجال فى مداولة الرأى فى السقيفة ولم تدع لذلك ، كما أنها لم تدع ولم تشترك فى تلك البيعة العامة .

وكم من اجتماعات شورية من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ومن الخلفاء وإخوانهم فى شئون عامة لم تدع اليها المرأة ولم تشترك فيها .

والدليل الشرعى على هذا المنع هو ما رواه البخارى فى صحيحه وأخرجه أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه والترمذى فى جامعه - قال البخارى : حدثنا عثمان بن الهيثم قال حدثنا عوف عن الحسن البصرى عن أبى بكر قال « لقد نفعنى الله بكلمة أيام الجمل ، لما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن فارس ملكوا ابنة كسرى قال « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . وظاهر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقصد بهذا الحديث مجرد الاخبار عن عدم فلاح القوم الذين يولون المرأة أمرهم ، لأن وظيفته عليه الصلاة والسلام بيان ما يجوز لأمته أن تفعله حتى تصل إلى الخير والفلاح . وما لا يجوز لها أن تفعله حتى تسلم من الشر والخسار ، وإنما يقصد نهى أمته عن مجاراة الفرس فى اسناد شىء من الأمور العامة إلى المرأة . وقد ساق ذلك بأسلوب من شأنه أن يبعث القوم الحريصين على فلاحهم وانتظام شملهم على الامتثال . وهو أسلوب القطع بأن عدم الفلاح ملازم لتولية المرأة أمراً من أمورهم . ولا شك أن النهى المستفاد من الحديث يمنع كل امرأة فى أى عصر من العصور أن تتولى أى شىء من الولايات العامة وهذا العموم تفيده صيغة الحديث وأسلوبه كما يفيده

المعنى الذى من أجله كان هذا المنع ، وهذا هو ما فهمه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع أئمة السلف لم يستثنوا من ذلك امرأة ولا قوما ولا شأنا من الشئون العامة . فهم جميعا يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولى المرأة الامامة الكبرى والقضاء وقيادة الجيوش وما اليها من سائر الولايات العامة : هذا الحكم المستفاد من الحديث وهو منع المرأة من الولايات العامة ليس حكما تعبديا يقصد مجرد امتثاله دون أن تعلم حكمته وانما هو من الأحكام المعللة بمعان واعتبارات لايجهلها الواقفون على الفروق الطبيعية بين نوعى الانسان : « الرجل والمرأة » . ذلك أن هذا الحكم لم ينط بشىء وراء « الانوثة » التى جاءت كلمة « امرأة » فى الحديث عنوانا لها . واذن فالانوثة وحدها هى العلة فيه .

وواضح أن الانوثة ليس من مقتضاها الطبيعى عدم العلم والمعرفة ولا عدم الذكاء والفطنة حتى يكون شىء من ذلك هو العلة ، لأن الواقع يدل على أن للمرأة علما وقدرة على أن تعلم كالرجل بل قد تفوق الرجل فى العلم والذكاء والفهم ؟ فلا بد ان يكون الموجب لهذا الحكم شيئا وراء ذلك كله .

ان المرأة بمقتضى الخلق والتكوين مطبوعة على غرائز تناسب المهمة التى خلقت لأجلها ، وهى مهمة الأمومة وحضانة النشء وتربيته وهذه قد جعلتها ذات تأثر خاص بدواعى العاطفة وهى مع هذا تعرض لها عوارض طبيعية تتكرر عليها فى الأشهر والأعوام من شأنها أن تضعف قوتها المعنوية وتوهن من عزيمتها فى تكوين الرأى والتمسك به والقدرة على الكفاح والمقاومة فى سبيله وهذا شأن لا تنكره المرأة من نفسها . ولا تعوزنا الأمثلة الواقعية التى تدل على أن شدة الانفعال والميل مع العاطفة من خصائص المرأة فى جميع أطوارها وعصورها . فقد دفعت هذه الغرائز المراة فى اسمى بيئة نسوية إلى تغليب العاطفة على مقتضى العقل والحكمة ، وآيات من سورة الأحزاب : تشير إلى ما كان من نساء النبى صلى الله عليه وسلم وتطبعهن إلى زينة الدنيا ومتعتها ومطالبتهن الرسول أن يغدق عليهن مما أفاء الله به عليه من الغنائم حتى يعشن كما تعيش زوجات الملوك ورؤساء الأمم . لكن القرآن قد ردهن إلى مقتضى العقل والحكمة فى ذلك « يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » ، وآية أخرى من سورة التحريم تحدث عن غيرة بعض نسائه عليه الصلاة والسلام وما كان لها من الأثر فى تغليبهن العاطفة

على العقل ، بما جعلهن يدبرن ما يتظاهرن به على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد ردهن القرآن إلى الجادة « ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه ، وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير » .

هذه هى المرأة فى أسمى البيئات النسوية لم تسلم من التأثر الشديد بدواعى العاطفة ولم تنهض قوتها المعنوية على مغالبة نوازع الغيرة مع كمال إيمانها ونشأتها فى بيت النبوة والوحى ، فكيف بامرأة غيرها لم تؤمن إيمانها ولم تنشأ نشأتها وليس لها ما تطمع به أن تبلغ شأوها أو تقارب منزلتها ؟ !

فالحق ان المرأة بأنوثتها عرضة للانحراف عن مقتضى الحكمة والاعتدال فى الحكم ، وهذا هو ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بنقصان العقل ورتب عليه — كما جاء فى القرآن الكريم — ان شهادة المراة على النصف من شهادة الرجل وقد بنت الشريعة على هذا الفرق الطبيعى بين الرجل والمرأة التفريق بينهما فى كثير من الأحكام :

جعلت القوامة على النساء للرجال ؟ « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » ، وجعلت حتى طلاق المرأة للرجل دونها ومنعتها السفر دون محرم أو زوج او رفقة مأمونة ولو كان سفرها لأداء فريضة الحج . وجعلت لها حق الحضانة للصغار دون الرجل ، وأوجبت على الرجل حضور الجمعة والجماعات والجهاد ولم توجب عليها شيئا من ذلك . وإذا كان الفرق الطبيعى بين الرجل والمرأة قد أدى فى نظر الشريعة إلى التفرقة بينهما فى هذه الاحكام التى لا تتعلق بالشئون العامه للأمة فان التفرقه بينهما بمقتضاه فى الولايات العامه — التى يجب أن تكون بمنأى عن مظان التأثر بدواعى العاطفة — تكون فى نظر الحكمة أحق وأوجب .

ومن هنا تقرر لجنة الفتوى ، أن الشريعة الاسلامية تمنع المرأة — كما جاء فى الحديث الشريف — أن تلى شيئا من هذه الولايات ، وفى مقدمتها ولاية سن القوانين التى هى مهمة أعضاء البرلمان . ، هذا — وليس من الولايات العامة التى تمنع منها المرأة ما يعهد به إلى بعض النساء من الوظائف والاعمال كالتدريس للبنات وعمل الطبيبة والممرضة فى علاج المرضى من النساء وتمريضهن ، فان هذه الاعمال وما شابهها ليس فيها معنى الولاية العامة ، الذى هو سلطان الحكم وقوة الالزام ، وقد استندت دعاة حق المرأة فى الانتخاب إلى بعض وقائع حسبوها من الولاية العامة التى تولتها المراة على حين أنها ليست من هذه الولاية فى شىء ، فقد قالوا ان السيدة عائشة رضى الله عنها

تولت قيادة الجيش فى واقعة الجمل لمقاتلة حزب على رضى الله عنه ، وايراد هذه الواقعة على هذا الوجه ليس فيه إنصاف للحقيقة والتاريخ . فان السيدة عائشة لم تخرج محاربة ولا قائدة لجيش محارب ، وانما خرجت داعية للمطالبة بدم عثمان رضى الله عنه ، وقد دفعها إلى ذلك أنها كانت ساخطة — كغيرها من أهل عثمان وأشياعهم — على خطة التريث والتمهل وعدم المبادرة بالبحث قبل كل شىء عن قتلة عثمان والاقتصاص منهم ، وهذا أمر ليس من الولاية العامة فى شىء كما قلنا . على أن صنيع السيدة عائشة هذا ليس فيه دليل شرعى يصح الاستناد اليه ، فانه كان عن اجتهاد منها . وكانت مخطئة فيه . وقد أنكر عليها بعض الصحابة هذا الخروج فاعترفت بخطئها وندمت على خروجها. وفى ذلك يروى الحافظ بن حجر فى شرح صحيح البخارى يقول : أخرج عمر بن شبة من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن أن عائشة أرسلت إلى أبى بكرة — تدعوه إلى الخروج معها — فقال: إنك لأم وان حقك لعظيم . ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لن يفلح قوم تملكهم امرأة » ولم يخرج معها أبو بكرة . وورد كذلك من طريق قيس بن أبى عاصم قال : لما أقبلت عائشة فنزلت ببعض مياه بنى عامر نبحت عليها الكلاب فقالت : أى ماء هذا ؟ فقالوا : الحواب ، فقالت : ما أظننى إلا راجعة فقالت لها بعض من كان معها : بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم . فقالت : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لنسائه ذات يوم : « كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحواب ؟ » وأخرج هذا أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه بن حبان وسنده على شرط الصحيح . وورد عن طريق عصام بن قدامة عن عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه : « أيتكن صاحبة الجمل الأدبب(١) تخرج حتى تنبحها كلاب الحواب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت » ، وأخرج أحمد والبزار بسند حسن من حديث أبى رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب : « انه سيكون بينك وبين عائشة أمر » قال : فأنا أشقاهم يارسول الله ؟ قال : لا ، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها .

من هذه الأحاديث المتعددة الطرق يتضح لمن اشتبه عليهم الأمر ان موقف السيدة عائشة رضى الله عنها فى واقعة الجمل كان عن اجتهاد منها لم يقرها عليه كثير من الصحابة وانها تذكرت ما أنبأ به النبى صلى الله عليه وسلم فندمت على خروجها واعترفت بخطئها .

وقد روى الطبرانى بسند صحيح عن أبى يزيد المدينى قال عمار بن ياسر لعائشة لما فرغوا من الجمل : ما أبعد هذا المسير من العهد الذى عهد الينا — يشير إلى قوله تعالى : « وقرن فى بيوتكن » فقالت : « أبو اليقظان ؟ قال نعم قالت : والله انك ما علمت لقوال بالحق ، قال الحمد لله الذى قضى لى على لسانك » فهى تعترف بخطئها وتقر عمارا على انكاره لصنيعها وتوافقه على أن الخروج لمثل ذلك الشأن لا يجوز للنساء .

ويجدر أن نسوق هنا ما رواه أبو يعلى والبزار عن أنس قال : أتت النساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يارسول الله ذهب الرجال بالفضل بالجهاد فى سبيل الله فما لنا عمل ندرك به عمل الجهاد فى سبيل الله ؟ فقال : « مهنة احداكن فى بيتها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله » ، هذا إلى ماقدمناه من أن خروج السيدة عائشة فى هذه الواقعة ليس من الولاية العامة ، فلا يتصل بموضوع اليوم فى شىء .

وأبعد من ذلك عن الموضوع ما يستدل به أنصار حق المرأة فى الانتخاب من أن الرسول صلى الله عليه وسلم بايع النساء كما بايع الرجال . ومبايعة النساء هذه ، هى التى جاء بها القرآن الكريم فى قول الله تعالى فى سورة الممتحنة : « ياأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » ، هذه هى المبايعة التى يستدل بها أنصار حق المرأة فى الانتخاب وهى عهد من الله ورسوله قد أخذ على النساء ألا يخالفن أحكام الله وأن يتجنبن تلك الموبقات المهلكات التى كان أمرها شائعاً فاشياً فى العرب قبل الاسلام . فأى شىء فى هذا يصلح مستنداً لأنصار هذا الرأى ؟ . انه لم يدع أحد أن المرأة ممنوعة من تلقى دروس العلم والمعرفة أو من حضور مجالس العلم محتشمة لسماع تعاليم الدين والوعظ والارشاد ، بل ان الاسلام يحتم عليها أن تتعلم وتتثقف وتتادب بآداب الدين الصحيحة كما يحتم ذلك على الرجل ، فهذا حق لها وواجب عليها . حق لها على الأمة أن تمكنها من أن تتعلم كل ما يصلح لها فى دينها ودنياها . وواجب عليها أن تبذل جهدها فى سبيل هذه المعرفة ، ولا يجب عليها أن تسأل فى ذلك عما تجهل وأن تناقش فيما لا تقتنع به مما تسمع ومما هى فى حاجة اليه من العلوم والمعارف . ولها فى ذلك أسوة ببعض نساء السلف إذ اعترضت احداهن على عمر وقد كان يخطب الناس فى المسجد ينهاهم عن المغالاة فى المهور فقالت : أيعطينا الله

ويمنعنا عمر ؟ تشير إلى قوله تعالى : (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً) ، وفى هذا يروى ابن أبى يعلى عن مسروق أن عمر لما راجعته تلك المرأة بعد ما نزل من المنبر قال : كل الناس أفقه من عمر ثم صعد المنبر فقال : كنت نهيتكم أن تزيدوا على أربعمائة ، فمن طابت نفسه فليفعل ، كل هذا لائق بالمرأة وهو كما قلنا حق لها وواجب عليها لكنه لا نسبة له بما تطالب به اليوم من الولاية العامة وما تدعيه من حق الاشتراك فى الانتخاب .

وفى رأينا أن مبايعة النساء للرسول صلى الله عليه وسلم إن دلت على شىء يصح التمسك به فى المسألة الحاضرة فذلك هو التفرقة فى الأعمال بين ما ينبغى أن يكون للرجال أو للنساء ، فهى حجة على أنصار دعوى المساواة بين الرجل والمرأة وليست دليلا لهم ، ذلك أن مبايعة النساء هذه كانت عقب فراغ النبى صلى الله عليه وسلم من مبايعة الرجال عند الصفا يوم فتح مكة . فقد بايع هؤلاء الرجال أولا ولكن على ماذا ؟ على الاسلام والجهاد . فان هذا هو الأمر الذى يليق بهم وينتظر منهم . كما بايعهم قبل ذلك فى الحديبية سنة ست من الهجرة على ألا يفروا من الموت ، وكما بايع نقباء الأنصار فى منى قبل الهجرة على السمع والطاعة والنصرة وأن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم .

أما مبايعة النساء فكانت على ما قدمنا مما وردت به الآية الكريمة من صورة الممتحنة . ولله الحكمة البالغة ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . إذا لا شىء مما يستدل به دعاة حق المرأة فى الانتخاب يصح أن يكون دليلا لهم . ولا شىء منه يمكن أن يكون من الولاية العامة .

أما الذى هو من الولايات العامة فهو تولى شجرة الدر ملك مصر . لكنا لا نظن أحداً من أهل الجد فى القول يلجأ إلى هذا الأمر فيجعل منه دليلا شرعياً على ان الاسلام يجيز فى الملك ان تتولاه امراة ، هذا ما رأته اللجنة فى حكم احد الامرين وهو الخاص بانتخاب المرأة لتكون عضواً فى البرلمان .

أما الأمر الثانى وهو اشتراكها فى انتخاب من يكون عضواً فيه ، فاللجنة ترى انه باب تريد المرأة أن تنفذ منه إلى تلك الولاية العامة التى حظرتها عليها الشريعة ذلك ان من يثبت له حق الاشتراك فى الانتخاب فانه يثبت له حق ترشيح نفسه لعضوية البرلمان متى توافرت فيه الشروط القانونية لهذه العضوية . وبعيد أن ينشأ للمراة قانون يبيح لها الاشتراك فى التصويت ثم يمنعها — لانوثتها — من ترشيح نفسها

للعضوية وهى التى لا تقنع بأن الأنوثة تمنعها من شىء ولا ترضى إلا بأن تكون مساوية للرجل فى كل شىء .

وإذاً لا يصح أن يفتح لها باب التصويت عملا بالمبدأ المقرر فى الشريعة والقانون . أن وسيلة الشىء تأخذ حكمه . فالشىء الممنوع بسبب ما يلازمه أو مايترتب عليه من ضرر أو مفسدة تكون الوسيلة اليه ممنوعة لهـذا السبب نفسه ، فانه لا يسوغ فى عقل ولا شرع ان يمنع شىء لما يترتب عليه أو يلازمه من مضار ويسمح فى الوقت نفسه بالوسائل التى يعلم انها تتخذ طريقا اليه ، وبهذا يتبين أن حكم الشريعة فى اشتراك المرأة فى انتخاب عضو البرلمان هو كحكمها فى اختيارها لتكون عضو افيه . كلاهما ممنوع . هذا — ويتبين مما قدمنا أن الحكم فى المسألة بشقيها على هذا الوجه لم ينظر فيه إلى شىء آخر وراء طبيعة هذين الأمرين ، أما إذا نظرنا إلى مايلازم عملية الانتخاب المعروفة والترشيح لعضوية البرلمان من مبدأ التفكير فيه إلى نهايته . فانا نجد سلسلة من الاجتماعات والاختلاطات والأسفار للدعاية والمقابلات وما إلى ذلك مما تتعرض المرأة فيه لأنواع من الشر والأذى ، ويتعرض لها فيه أرباب القلوب المريضة الذين ترتاح أهواؤهم وتطمئن أنفسهم لمثل هذا الاختلاط بين الرجال والنساء فهذه مواقف لا ينبغى للمرأة أن تزج بنفسها فى معتركها غير المأمون . ويجب عليها أن تنادى بنفسها عنها حفظا لكرامتها وصونا لسمعتها . وهذا واقع لا ينبغى اغفاله أو التغافل عنه ويجب تقدير الأمور وتقرير الأحكام على أساسه ، وقد تكفى هذه الاشارة فى التنبيه إلى مضار الاختـــلاط فى اجتماعات الرجال بالنساء ، وآيات من الكتاب العزيز ترسم لنا الطرق الصالحة فى التربية الاجتماعية والتهذيب الخلقى والأدب الدينى الصحيح ، فعلينا أن نعتبر بها ونقيس بتعاليمها ما هو واقع فى اجتماعاتنا لنعرف مدى قربنا أو بعدنا من هـذه التعاليم : « يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » ، « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم

مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون »
بامضاء : محمد عبد الفتاح العنانى رئيس لجنة الفتوى بالأزهر .

وقد كتب الدكتور أحمد زكى بك والأستاذ إسماعيل مظهر بؤيدان قضية المرأة ، ورد عليهما علماء الوعظ بالأزهر بآيات واحاديث شريفة ، مغزاها خلاف ماذهب اليه الدكتور زكى والأستاذ مظهر .

وقد نشر الشيخ علام نصار المفتى آراء له حول : تعدد الزوجات ، والطلاق وسواها . . وقد قامت معركة حول هذه الآراء ، واشتركت فى مناقشتها والرد عليها « جبهة علماء الأزهر » فى كتاب نشرته .

— ٨ —

فكرة توحيد التعليم :

هذه الفكرة أيدها الدكتور طه حسين فى كتابه « مستقبل الثقافة » ، فرأى أن يكون التعليم موحداً فى الدولة وأن تكون المعاهد الثانوية مدارس ثانوية خاضعة لوزارة المعارف ، وتستقل كليات الأزهر بالدراسات الدينية .

وقد كتب الدكتور محمد يوسف موسى فى ٦ أغسطس ١٩٥٠ كلمة فى الاهرام يؤيد فيها هذا الرأى ، ورد عليه الأستاذ الشيخ الطيب النجار عضو جماعة كبار العلماء وغيره من أساتذة الأزهر .

— ٩ —

لمناسبة الاحتفال بسفر المحمل والكسوة الشريفة عام ١٩٥٢ وما يلازم هذا الاحتفال عادة من التقاليد والطقوس بعث على ماهر رئيس الوزراء سابقا إلى فضيلة مفتى الديار المصرية بكتاب يستفتيه فى حكم الشريعة فى هذه التقاليد والطقوس وقد جاء فيه : جرت العادة فى حفلة المحمل السنوية على نظم وتقاليد وطقوس نرجو التفضل ببيان الحكم الشرعى فيها قبل الموعد المحدد للحفلة فى هذا العام ، مع الاحاطة بأننا نعتبر هذه لاتعدو أن تكون إيذانا بافتتاح موسم الحج ، وإذا رأيتم فضيلتكم الاتصال بصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وصاحب الفضيلة رئيس المحكمة الشرعية ليكون الرأى إجماعيا نكون لكم من الشاكرين .

وقد قدم حضرة صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية فتواه فى الرد على

رئيس الوزراء مؤيدة برأى فضيلة شيخ الجامع الأزهر وفضيلة رئيس المحكمة العليا الشرعية إلى الرئيس على ماهر ، وجاء فيها مايلى بعد الديباجة : تشرفت اليوم بتلقى كتابكم المؤرخ فى ١٨ / ٨ / ١٩٥٢ الذى تطلبون فيه الرأى الشرعى فى النظم والتقاليد والطقوس التى تجرى فى الحفلة السنوية للمحمل ، ونفيد أننا منذ مدة قد بينا الحكم فى ذلك بيانا واضحا واستنكرنا بعض هذه التقاليد استنكارا صريحا لمخالفتها لتعاليم الإسلام ، وقد جرت العادة على إقامة هذه الحفلة كل عام عند سفر المحمل وعند عودته بما فى ذلك هذه التقاليد التى ينكرها الشرع والتى هى بدع سيئة لا أصل لها فى الدين ويجب إزالتها والقضاء عليها ، من ذلك :

١ - الطواف بالمحمل سبع مرات حول الدائرة التى ترسم له أمام السرادق المعد للاجتماع الرسمى رمزا إلى الطواف حول الكعبة سبعة أشواط مع أن الطواف لم يشرع إلا حول الكعبة فى مناسك الحج والعمرة ، ولا يجوز الرمز إلى ذلك بأى حال .

٢ - دوران عدة من الجمال حول هذه الدائرة وعليها رجال يطبلون ويزمرون بملابس خاصة وصورة مزرية .

٣ - تقبيل أمير الحج والعظماء المدعوين إلى الحفلة مقود الجمل الذى يحمل الهودج المرموز به الى هودج شجرة الدر حين حجت فى عهد دولة المماليك وليس لهذا أصل فى الدين فضلا عن أنه مما تأباه النفوس الكريمة . فالتقبيل لم يؤذن به شرعا فى المناسك أو غيرها إلا فى الحجر الأسود وفيه قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك »

٤ - وقوف جماعة من مشايخ الطرق وأتباعهم أمام السرادق يقرأون الفاتحة ويبتهلون بأصوات صاخبة مزعجة وما كانت تلاوة القرآن لذلك وعلى هذا الوجه .

وقد تأصلت هذه الأعمال فى النفوس حتى ظن عامة الناس أنها من الدين أو على الأقل من البدع الحسنة ، والدين يأباها ويرشد إلى أنها من السوء بمكان وفى إقراره تضليل للعامة باعتقادهم أنها من الدين وهى ليست من الدين فى شىء . وبما أن الواجب شرعا رد المسلمين إلى الحق والهدى وإرشاد العامة إلى ترك المعتقدات الباطلة والبدع السيئة وقد صح من المأثور أن من أمات بدعة فقد أحيا سنة .

لهذا كله نرجو أن يفتتح هذا العهد الاصلاحى بتطهير العقائد والأعمال من شوائب المنكرات ، والله يوفقكم ويصلح بكم ويسدد خطاكم .

الباب التاسع

ألوان ثقافية فى حياة الأزهر العلمية

- ١ -

كان الأزهر لايعنى كثيراً بالعلوم العقلية فى عهد الانحطاط العثمانى ، ومن شواهد ذلك أن أحمد كور باشا الذى تولى ولاية مصر عام ١١٦١ هـ فى عهد مشيخة الشيخ عبدالله الشبراوى ، ناقش شيخ الأزهر الشيخ الشبراوى ، فى اهمال الأزهر ومصر للعلوم الرياضية (١) .

ومع ذلك فقد كان هناك قلة من العلماء تعنى بهذه العلوم وتدرسها ، ومن هؤلاء الشيخ حسن الجبرتى الذى كان ذا شهرة عظيمة فى العلوم الرياضية ، وقد ذكر ابنه المؤرخ فى حديثه عنه فى تاريخه أنه فى سنة ١١٥٩ هـ - ١٨٠٥ م أتى إليه طلاب من الفرنجة ، وتلقوا عليه علم الهندسة ، وأهدوا إليه من مصنوعاتهم وآلاتهم أشياء نفيسة ، ثم رجعوا إلى بلادهم ونشروا بها ذلك العلم من ذلك الوقت ، وأخرجوه من القوة إلى الفعل ، واستخرجوا به صناعات بديعة ، مثل طواحين الهواء ، وجر الأثقال ، واستنباط المياه ، وما إلى هذا من الصناعات ، فأى شىء بعد هذا يحتاج إليه فى إثبات فضل الأزهر على العلم ؟ وأية يد أثيمة بعد هذا تحاول أن تناله بسوء ، وأن تقابل فضله بالجحود ؟ وقد تلقى الشيخ حسن الجبرتى هذه العلوم الرياضية فى الأزهر ، وكذلك غيرها من العلوم الدينية والعربية ، وهو فى الأصل من أهل الحبشة الذين رحلوا إلى الأزهر لطلب العلم ، ولهم رواق فيه يسمى رواق الجبرتية ، وقد تلقى العلوم الدينية والعربية على السيد محمد البنوفرى والشيخ عمر الأسقاطى والشيخ أحمد الجوهرى وغيرهم ، وبدأ تلقى العلوم الرياضية على الشيخ محمد النجاحى ، ثم قدم الشيخ حسام الدين الهندى إلى الأزهر ، وكان بارعاً فى العلوم الرياضية والفلسفية ، فتلقاها عليه بعض طلاب الأزهر ، مثل الشيخ الوسيمى ، والشيخ أحمد الدمنهورى ، فذهب إليه الشيخ حسن الجبرتى ولازمه ، وتلقى عليه كتباً نفيسة فى هذه العلوم ، مثل أشكال التأسيس فى الهندسة ، وتحرير أقليدس ، والمتوسطات

---

(١) ١٩٢ و ٩٣ ج ١ الجبرتى .

والمبادىء والغايات ، والأكر ، وعلم الأرتماطيقى ، والجغرافيا ، وعلم المساحة ، ولم يزل يطلب هذه العلوم حتى برع فيها ، وطارت شهرته بها ، وكان يعرف اللغة التركية والفارسية ، ويتكلم بهما كأهلهما ، ثم اشتغل بالتدريس فى الأزهر ، وتلقى عليه فيه الشيخ أحمد الشيخ عبد الرحمان البنان والشيخ محمد الصبان والشيخ محمد عرفة الدسوقى والشيخ محمد الأمير ، وغيرهم من أفاضل علماء الأزهر . وكان يقتنى كثيرا من الكتب النفيسة فى العربية والفارسية والتركية ، ومما كان يقتنيه من الكتب الفارسية كتاب الكلستان ، وديوان حافظ ، وشاه نامه ، وكان بها من الصور العجيبة مايكسبها رونقا وبهاء ، وكان عنده كثير من الآلات الفلكية ، والكرات النحاسية ، والآلات الارتفاعية ، والميالات ، وحلق الأرصاد ، والأسطرلابات ، والعدد الهندسية ، وآلات أكثر الصناعات كالنجارة وغيرها ، وآلات الرسم والتقاسيم ، وكان كل ماهر فى صناعته يجتمع به ليستفيد منه ، وكان مع هذا يعرف صناعة التراكيب والتقاطير واستخراج المياه ، وقد رسم فى أيام اشتغاله مالا يحصى من المنحرفات والمزاول ، وفى سنة ١١٧٢ هـ — ١٧٥٨ م ، وقع الخلل فى الموازين فتحركت همته لتصحيحها ، وأحضر الحدادين والسباكين ، وحرر المثاقيل والصنج الكبار والصغار ، ورسمها بطريق الاستخراج على أصل العلم العملى والوضع الهندسى ، ولم ينقص هذا من إلمامه بالعلوم الدينية ، بل كان حجة فى الفقه وغيره من هذه العلوم ، حتى إن القضاة لم يكونوا يثقون إلا بفتواه ، وكانت وفاة هذا العالم الأزهرى سنة ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م .

— ٢ —

وقد نعى الشيخ حسن العطار على الأزهر إهماله هذه العلوم وسواها وذلك فى حاشيته على شرح جمع الجوامع فى أصول الفقه (١) وكان من تلامذة العطار رفاعة رافع الطهطاوى الأزهرى ، الذى سافر مع بعثات محمد على إلى باريس ، وله كتاب « الملخص الابريز فى تلخيص باريز » ، وكتاب مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية » ، الذى يقول فيه عن محمد على وعهده (٢) : إنه جدد دروس العلوم بعد اندراسها ، وأوجدت بعد العدم رؤساء العلماء والفضلاء نتيجة قياسها ، لقصد انتشار العلم والزيادة فى الفضائل ، فاتى من ذلك بما لم تستطعه الأوائل ، غير أنه — حفظه

(١) ٢ / ٤٦١

(٢) ٢٨ تاريخ الاصلاح فى الازهر للصعيدى ، ٢٤٧ — ٢٥٠ مناهج الالباب المصرية لرفاعة .

الله وأبقاه — ولو أنه أعلى منار الوطن ورقاه . لم يستطع إلى الان أن يعمم انوار هذه المعارف المتنوعة بالجامع الازهر الأنور ، ولم يجذب طلابه إلى تكميل عقولهم بالعلوم الحكمية التى كبير نفعها فى الوطن ليس ينكر ، نعم إن لهم اليد البيضاء فى إتقان الاحكام الشرعية العملية والاعتقادية ، ومايجب من العلوم الالية كعلوم العربية الاثنى عشر ، وكالمنطق والوضع وآداب البحث والمقولات وعلم الاصول المعتبر ، غير أن هـــذا وحده لايفى للوطن بقضاء الوطر ، والكامل يقبل الكمال كما هو متعارف عنـد أهل النظر ، ومدار سلوك جادة الرشاد والاصابة ، منوط بعدول الامر ، بهذه العصابة ، التى ينبغى أن تضيف إلى مايجب عليها من نشر السنة الشريفة ، ورفع أعلام الشريعة المنيفة ، معرفة سائر المعارف البشرية المدنية ، التى لها مدخل فى تقديم الوطنية ، من كل مايحمد على تعلمه وتعليمه علماء الأمة المحمدية ، فانه بانضمامه إلى علوم الشريعة والأحكام ، يكون من الأعمال الباقية على الدوام ، ويقتدى بهم فى اتباعه الخاص والعام ، حتى إذا دخلوا فى أمور الدولة ، يحسن كل منهم فى إبداء المحاسن المدنية قوله ، فان سلوك طريق العلم النافع من حيث هو مستقيم ، ومنهجه الابهج هو القويم ، يكون بالنسبة للعلماء سلوكه أقوم ، وتلقيه من أفواههم أتم وأنظم ، لاسيما وان هذه العلوم الحكمية العملية التى يظهر الان أنها أجنبية هى علوم إسلامية نقلها الاجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية ، ولم تزل كتبها إلى الان فى خزائن ملوك الاسلام كالذخيرة ، بل لازال يتشبث بقراءتها ودراستها من أهل أوربا حكماء الازمنة الاخيرة ، فان من اطلع على سند شيخ الجامع الازهر الشيخ أحمـــد الدمنهورى (١١٠١-١١٩٢هـ) — الذى كانت مشيخته قبل شيخ الإسلام الشيخ أحمد العروسى الكبير (١١٣٢ - ١٢٠٨ هـ) جد شيخ شيوخ الجامع الأزهر ، السيد المصطفوى العلم الشهير (١) رأى أنه قد أحاط من دوائر هذه العلوم بكثير ، وأنه له فيها المؤلفات الجمة ، وأن تلقيها إلى أيامه كان عند الجامع الأزهر من الأمور المهمة ، فإنه يقول فيه بعد سرد ما تلقاه من العلوم الشرعية وآلاتها معقولا ومنقولا :

أخذت عن أستاذنا الشيخ المعمر الشيخ على الزعترى . خاتمة العارفين بعلم الحساب واستخراج المجهولات وبما توقف عليها . كالفرائض والميقات ، وسـيلة ابن الهائم ومعونته — كلاهما فى الحساب — والمقنع لابن الهائم ، ومنظومة الياسمينى فى الجبر والمقابلة ، ودقائق الحقائق فى حساب الدرج والدقائق لسبط المارديني فى علم حساب

(١) يعنى بذلك الشيخ مصطفى العروسى (١٢١٣-١٢٩٣ هـ) .

الأزياج ، ورسالتين إحداهما على ربع المقنطرات وأخراهما على ربع المجيب — كلاهما للشيخ عبد الله المارديني جد السبط — ونتيجة الشيخ اللاذقي المحسوبة لعرض مصر ، والمنخرقات لسبط المارديني في علم وضع المزاول ، وبعض اللمعة في التقويم . وأخذت عن سيدي أحمد القرافي الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب الموجز واللمحة العفيفية في أسباب الأمراض وعلاماتها بشرح الأمشاطي ، وبعضاً من قانون ابن سينا ، وبعضا من كامل الصناعة ، وبعضا من منظومة ابن سينا الكبرى — والجميع في الطب — وقرأت على أستاذنا الشيخ عبد الفتاح الدمياطي كتاب لقط الجواهر في الحدود والدوائر لسبط المارديني في الهيئة السماوية ، ورسالة ابن الشاطر في علم الاضطراب ، ورسالة قسطا بن لوقا في العمل بالكرة وكيفية أخذ الوقت منها ، والدر لابن المجدي في علم الزيج . وقرأت على أستاذنا الشيخ سلامة الفيومي أشكال التأسيس في الهندسة ، وبعضاً من الجغميني في علم الهيئة ، وبعضاً من رفع الإشكال عن مساحة الأشكال في علم المساحة . وقرأت على الشيخ عبد الجواد المرحومي جملة كتب ، منها رسالة في علم الأرتماطيق للشيخ سلطان المزاحي . وقرأت على الشيخ الشهير بالسحيمي منظومة الحكيم درمقاش المشتملة على علم التكسير وعلم الأوفاق وعلم الاستنطاقات وعلم التكعيب ، ورسالة أخرى في رسم ربع المقنطرات والمنحرفات لسبط المارديني ، وعلم المزاول ومنظومة في علم الأعمال الرصدية وروضة العلوم وبهجة المنطوق والمفهوم لمحمد بن صاعد الأنصاري ، وهي كتاب يشتمل على سبعة وسبعين علما ، أولها علم الحرف وآخرها علم الطلاسم ، ورسالة للإسرائيلي ، ورسالة للسيد الطحان — كلاهما في علم الطالع — ورسالة للخازن في علم المواليد — أعني الممالك الطبيعية وهي الحيوانات والنباتات والمعادن — وأخذت عن شيخنا الشيخ حسام الدين الهندي شرح الهداية في علم الحكمة ، ومتن الجغميني في علم الهيئة — بمراجعة قاضي زاده ومطالعة السيد عليه — وأخذت عن سيدي أحمد الشرفي شيخ المغاربة بالجامع الأزهر كتاب اللمعة في تقويم الكواكب السبعة . ولما ذكر ما تلقاه من هذه العلوم أعقبه بما طالعه بنفسه بدون الأخذ عن شيخ فقال : طالعت كتاب إحياء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد في علم الأرتماطيقي ، في نحو كراسين ، وكتاب عين الحياة في علم استنباط المياه ، ورسالة الكلام اليسير في علاج البواسير ، في نحو كراسين ، ورسالة التصريح بخلاصة القول الصريح في علم التشريح ، في نحو كراسين ، وكتاب إتحاف البرية بمعرفة الأمور الضرورية في علم الطب ، في نحو خمسة كراريس ، ورسالة القول الأقرب في علاج

لسع العقرب ، فى نحو كراس ، وكتاب منهج السلوك فى نصيحة الملوك ، فى نحو عشرة كراريس ، وكتاب بلوغ الأرب فى أسماء سلاطين العجم والعرب - معنونا باسم السلطان مصطفى خان ابن السلطان أحمد خان ، المولود فى رابع عشر شهر صفر سنة تسع وعشرين ومائة وألف يوم الأربعاء أول النهار فى الساعة الأولى بعد الشمس ، الجالس على سرير الملك فى سابع عشر صفر الخير سنة إحدى وسبعين ومائة وألف يوم الأحد قبل الشمس . ويقول رفاعة : فانظر إلى هذا الإمام الذى كان شيخ مشايخ الجامع الأزهر ، وكان له فى العلوم الطبية والرياضية وعلم الهيئة الحظ الأوفر ، مما تلقاه عن أشياخه الأعلام ، فضلا عن كون أشياخه كانوا أزهرية ، ولم يفتهم الوقوف على حقائق هذه العلوم النافعة فى الوطنية ، وفضل العلامة الجبرتى المتوفى فى أثناء هذا القرن فى هذه العلوم ، وفى فن التاريخ أمر معلوم ، وكذلك العلامة الشيخ عثمان الوردانى الفلكى ، وكان للمرحوم العلامة الشيخ حسن العطار شيخ الأزهر أيضا مشاركة فى كثير من هذه العلوم ، حتى فى العلوم الجغرافية ، فقد وجدت بخطه هوامش جليلة على تقويم البلدان لإسماعيل أبى الفداء سلطان حماة ، المشهور أيضا بالملك المؤيد ، وللشيخ المذكور هوامش أيضا وجدتها بأكثر التواريخ ، وعلى طبقات الأطباء وغيرها ، كان يطلع دائما على الكتب المعربة من تواريخ وغيرها ، وكان له ولوع شديد بسائر المعارف البشرية ، مع غاية الديانة والصيانة ، وله بعض تآليف فى الطب وغيره ، زيادة عن تآليفه المشهورة ، فلو تشبث من الآن فصاعدا نجباء أهل العلم الأزهريين بالعلوم العصرية التى جددها الخديو بمصر ، بإنفاقه عليها أوفر أموال مملكته ، لفازوا بدرجة الكمال ، وانتظموا فى سلك الأقدمين من فحول الرجال ، وربما يتعللون بالاحتياج إلى مساعدة الحكومة ، والحال أن الحكومة إنما تساعد من يلوح عليه علامات الرغبة والغيرة والاجتهاد ، فعمل كل من الطرفين متوقف على عمل الآخر ، فترجع المسألة دورية ، والجواب عنها أن الحكومة قد ساعدت بتسهيل الوسائط والوسائل ، ليغتنم فرصة ذلك كل طالب وسائل ، وكل من سار على الدرب وصل ، وإنما المكافأة على تمام العمل .

— ٣ —

وقد ازدهر القرن التاسع عشر بكوكبة من المصلحين ، من أمثال الأفغانى (١٨٣٩ - ١٨٩٧ م) وعلى مبارك (١٨٢٣ - ١٨٩٣ م) والسيد عبد الرحمن الكواكبى (١٨٤٨ - ١٩٠٢ م) والشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) ، وكان

هؤلاء المصلحون يتجهون أول مايتجهون إلى إيقاظ الفكر المصرى والعربى ، وإلى تجديد النهضة الدينية .

ولما حضر جمال الدين الأفغانى إلى مصر لأول مرة سنة ١٢٨٦ هـ أقام فى القاهرة أربعين يوماً ، تردد فيها على الجامع الأزهر ، واتصل به كثير من العظماء والطلاب ، ثم ترك القاهرة إلى الاستانة ، فوصل اليها فى سنة ١٢٨٧ هـ ، ولكن الدسائس أحاطت من كل جانب ، ومن أجل ذلك عاد جمال الدين إلى القاهرة فى أوائل سنة ١٢٨٨ هـ ، فأكرمه إسماعيل ، وأجرى عليه راتباً يليق به ، فجعل من بيته مدرسة يقصدها النابهون من طلاب العلم فى الأزهر وغيره ، وكان يدرس لهم أمهات الكتب فى علم الكلام والحكمة والهيئة والتصوف وأصول الفقه ، ولم يكن يقصد من دروسه التعليم فقط ، بل كان يقصد منها الدعوى الى الاصلاح ، وفتح باب الاجتهاد فى الدين والعلم وبث الأخلاق العالية فى النفوس ، وكان إلى هذا يرشد الطلاب إلى مطالعة كتب الأدب ، ليتعلموا منها حسن الكتابة والانشاء ، ويستطيعوا أن ينهضوا بالأمة بالكتابة فى الجرائد وغيرها ، فأيقظ النفوس من غفلتها ، وفتح عيون الطلاب فى الازهر لضعف التعليم فيه ، حتى ألفوا من بينهم جماعة تسعى فى إصلاحه ، وكان أول ماعملوه كتابة منشور علقوه على أعمدة الازهر فى سواد الليل ، وبينوا فيه مواضع الخلل فى التعليم بالأزهر ، وشرحوا الوسائل التى تؤدى إلى إصلاحه ، فبدأ جمال الدين بدروسه فى الاصلاح الجهاد فى إصلاح الازهر ، وأوجد من أبنائه وغيرهم من يعمل فيه بكل مايمكنه من الوسائل التى توصل اليه .

وكان نشاطه التعليمى ذا شعبتين : دروس علمية منظمة يلقيها فى بيته (فى خان الخليلى) ، وكان يتلقاها أمثال الشيخ محمد عبده ، والشيخ عبدالكريم سلمان ، والشيخ سعد زغلول ، والشيخ إبراهيم الهلباوى من مجاورى الأزهر وعلمائه ، وكان يدرس لهم كتب منطق وفلسفة وتصوف وهيئة ، ويظهر أن هذه الكتب لم تكن لها قيمة فى ذاتها ، وإنما قيمتها كانت فيما يضيفه عليها الشيخ فى شرح آرائه وأفكاره ، والتبسط فى مناحى الفكر ، والتطبيق على الحياة الواقعية ، بربط الحياة العملية بالعلمية ، هذا إلى أنه كان يأخذ بيد تلاميذه ، فيجعلهم يسيطرون على الكتاب ، ويسمون عن قيود الألفاظ والجمل إلى معرفة الحقائق ذاتها ، يحدد لهم موضوع الدرس من الكتاب ، ويفيض عليهم فى شرحه من عنده حتى يحيطوا به ، ويتفهموه من جميع أطرافه .

وكانت مدرسته الثانية غير النظامية أكبر أثرا وأعم نفعا ، وكان تلاميذه فيها زواره فى بيته أو فى بيوتهم حين يزورهم ، ومن يلتقى بهم فى (قهوة البوستة) وفى المجتمعات من أمثال : محمود سامى البارودى ، وعبد السلام المويلحى وأخيه إبراهيم المويلحى وسعد زغلول ، ومحمد عبده وعلى مظهر ، وأديب إسحق وغيرهم . وفى هذه المدرسة حول مجرى الأدب ونقله من حال إلى حال ، كان الأدب عند الحكام لاهم له إلا مدح الملوك والأمراء ، والتغنى بأفعالهم وصفاتهم ، فأتى جمال الدين وسخر الادب فى خدمة الشعب ، يطالب بحقوقه ، ويدافع عنه من ظلمه ، يبين للناس سوء حالتهم ، ويبصرهم بمن كان سبب فقرهم ، ويحرضهم أن يخرجوا من بؤسهم وضلالهم وألا يخشوا بأس الحاكم فليست قوته إلا بهم ، فكان أدبه ينظر للشعب أكثر ما ينظر إلى الحاكم ، وينشد الحرية ويفيض فى حقوق الناس وواجبات الحاكم ، ويجعل من الاديب مشرفا على الأمراء ، لا سائلا يمد يده للأغنياء ، كنت تتصفح آثار الادباء أمثال : السيد على أبى النصر ، والشيخ على الليثى وعبدالله باشا فكرى ، فلا ترى موضوعاتهم غير غزل فى حبيب ، أو رسالة إلى صديق ، أو مدح لامير ، أو استعطاف له ، أو اعتذار اليه ، أو وصف سفينة ، أو شكر على هدية . أما مصر وحال شعبها ، وبؤس أهلها ، وظلم حكامها ، وحقوق الناس ، وواجبات الحكام ، فلا ترى لذلك أثرا . فقلب جمال الدين هذا الوضع وفتح للادباء منافذ القول ، وكانت خطته فى ذلك ما ياتى :

١ — كون جماعة حبب اليهم الكتابة ، ورسم لها خطتها وأوحى إليهم بالمعانى وشجعهم على إنشاء الجرائد ، يكتب فيها ، ويستكتب القادر منهم ، فانشأ أديب إسحق جريدة « مصر » فى القاهرة ، و« التجارة » بالاسكندرية ، وكان جمال يكتب فيها أحيانا باسم مستعار أو باسمه الحقيقى وقد كتب مقالين : أحدهما فى الحكومات الشرقية وأنواعها ، والثانى سماه « روح البيان فى الانجليز والافغان » كان لهما صدى بعيد ، ولقيت الصحيفتان رواجا كبيرا ، ثم أغلقهما رياض باشا وكذلك وجه الكتاب فى « الوقائع المصرية » وغيرها ، وبذلك ربى طائفة من الكتاب تحسن الكتابة ، واختيار الموضوعات ، ووضع النواة الاولى للصحافة الشرقية والكتاب الذين يعالجون شئون وطنهم وحالة شعوبهم ، والذى ساعده على النجاح فى ذلك حال مصر المالية والسياسية وتدخل الاجنبى فيهما وجزع الشعب والحاكم معا لذلك

فشجعوا هذا النقد من الصحافة ، ولولا ذلك لخابت دعوة جمال الدين فى مصر كما خابت فى غيرها .

٢ — أحاديثه فى المقهى وفى المحافل وبيوت الزيارة ، تواتيه المعانى ، ويطاوعه اللسان ، فيخلق أمتع الاحاديث ، ويحدث كل من بمجلسه بلسان عربى مبين ، فيدهش السامعين ، ويفحم السائلين ، ويبكم المعترضين ، وبذلك خرج مدرسة عجيبة تحسن السمر والحديث والاستطراد ، وتملك على السامع لبه من أمثال محمد عبده ، وسعد زغلول ، والهلباوى ، ولطفى السيد ، وغيرهم .

وهكذا بدأ جمال الدين تعليمه فى حجرة ثم فى مقهى أو مجتمع ، ثم فى محفل يريد توسيع العقول ، وتعليم الحرية فى البحث والنقد ، وتبصير الشعب بحقوقه وواجبات الحاكم نحوه ، ويضع يده فى صميم السياسة فيريد أن يسيطر على الوزارات والحكومة بمحفله ، ورأى أول أمره أن لاقيمة لمجلس النواب مادام الشعب غافلا جاهلا ، فلما نضجت الأمة واستبد الحكام ، غير رأيه وألح فى طلب الحكم النيابى وحرض عليه . وكان يلتقى بالأمير توفيق فى المحفل فيقدره ويدين بمبادئه ، ولكنه لما تولى الحكم بعد إسماعيل دس له الدساسون ، فاجتمع مجلس الوزراء وقرر نفى جمال الدين فقبض عليه فى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧١ ، ونفى إلى بمباى فى الهند ، وكان ذلك آخر عهده بمصر .

وسافر الأفغانى إلى لندن عام ١٨٨٣ ومنها إلى فرنسا ، ووافاه اليها تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده وكان منفيا فى بيروت . وأخذا يتشاوران فيما يعملان من وجوه الاصلاح ، وكان من رأى الشيخ محمد عبده بعدما رأى من غدر الناس فى ثورة عرابى أن يذهبا إلى مكان بعيد ، ينشئان فيه مدرسة للزعماء يختاران لها أنجب التلاميذ من الأقطار الإسلامية ، ويعدانهم للزعامة ونشر الاصلاح . ولكن لم يعجب السيد هذا الرأى ، ورأى فيه خورا وضعفا ويأسا ، ووضع خطته بإنشاء جريدة فى باريس للعالم الاسلامى تبصره بحقوقه وواجباته ووطنيته ، وكانت جريدة « العروة الوثقى » للسيد فيها الأفكار والمعانى ، وللشيخ التحرير والصياغة ، وميرزا محمد باقر يعرب لها عن الصحف الأجنبية ما يهم الشرق ، وكان وراءها جمعية سرية فى جميع أقطار الاسلام . ولها فروع فى بلدانه يجتمعون للمذاكرة ، ويتبرعون بالمال ينفق منه على الجريدة والقائمين بها ، فقد كانت ترسل بالمجان أكثر أعدادها ، وكان الأعضاء يقسمون اليمين لاحياء الاخوة الاسلامية ، وتقوية الاسلام بقدر ما يستطيعون . وكان أهم أغراض الجريدة كما لخصت هى ذلك فى أول عدد لها :

١ - بيان الواجب على الشرقيين ، وأسباب فساد حالهم .
٢ - إشراب النفوس عقيدة الأمل وترك اليأس .
٣ - الدعوة إلى التمسك بالأصول التى كان عليهم أسلافهم وعزوا بها .
٤ - الدفاع عما يتهم به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من أنهم لن يتقدموا ما داموا متمسكين بدينهم .
٥ - إخبارهم بما يهمهم من حوادث السياسة العامة والخاصة .
٦ - تقوية الصلات بين الامم الاسلامية ، ومناصرة من لايجحف بحقوقهم من أمم الخارج .

وأخذ يكتب فى ذلك فى الجريدة ويفصل هذه الاسباب فى مقالات ، وكان مثله الاعلى حكومة إسلامية موحدة للجميع ، ولما رأى عدم إمكان ذلك دعا إلى أن تحكم الاقطار الاسلامية بحكومات إمامها القرآن ، وأساسها العدل والشورى وترتبط جميعا بروابط محكمة .

وقد قاده هذا التفكير فى الحكومة الاسلامية وأخلاق الشعب التى يجب أن يكون عليها إلى أن يناهض فى الجريدة الاحتلال الاجنبى فى الاقطار الاسلامية وخاصة فى مصر ، وشغل هذا حيزا كبيرا منها باسلوب مهيج وعبارات شديدة ، كما استخدم بجانبها رسلا متخفين إلى الاقطار المختلفة ينشرون التعاليم التى لايستطيع نشرها فى الجريدة ، وكان منهم الشيخ محمد عبده - وهو محكوم عليه بالنفى - فجاء إلى مصر وتونس وكان من نتائج هذا أن روقبت الجريدة من أصحاب السيادة على حكومات الهند ومصر ، فمنعت من دخولها ، واستحال وصولها إلى أصحابها وقرائها فاحتجبت عن أداء رسالتها .

وقد كان يدعو إلى الاجتهاد وترك التقليد فى الدين ، فان الائمة اجتهدوا وأحسنوا ولكن لايصح أن نعتقد أنهم أحاطوا بكل أسرار القرآن ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء . ويرى أن التفرقة بين أهل السنة والشيعة سببها مطامع الملوك ، فالفريقان يؤمنان بالقرآن ورسالة محمد ، ففيم الخلاف والقتال ؟ . ويرى أن الاشتراكية فى الإسلام ملتحمة مع الدين ، ملتصقة مع الخلق ، يبعث عليها حب الخير ، على النقيض من اشتراكية الغرب التى يبعث عليها جور الحكام وعوامل الحسد فى العمال لأرباب الغنى . كما يرى أن المرأة تساوى الرجل فى تكوينها العقلى والتفاوت بينهما أتى من التربية وإطلاق السراح للرجل ، وتقييد المرأة فى البيت .

ومهمتها فى هذا أسمى ، ولاتقل عن مهمة الرجل ، ومن يطلب مساواتها فهو مخطىء ، ولامانع من أن تعمل فى الخارج إذا فقدت عائلها ، واضطرتها ظروفها ولكن بطهارة . كما أنه لامانع عنده من رفع الحجاب إذا لم يتخذ وسيلة للفجور . ويرى كذلك أن الدين لايخالف الحقائق العلمية ، وإذا ظهر غير ذلك وجب تأويله ، فالقرآن أعظم من أن يخالف العلم الحقيقى خصوصا فى الكليات .

وقد أجمع معاصروه ومن درسوا تاريخ حياته على أن له غرضين واضحين :

١ - بث الروح فى الشرق لينهض بثقافته وعلمه وتربيته ، وتنقية عقيدته من الخرافات واستعادة عزه ومكانته .

٢ - مناهضة الاحتلال الأجنبى حتى تعود الاقطار الشرقية إلى استقلالها مرتبطة بروابط على أى شكل ، لتلق مايحيط بها من أخطار .

ولما مات حمل المصلحون بعده لواء هذين الغرضين متفرقين وقد كان يحمل لواءهما معا ، فحمل الشيخ محمد عبده لواء الاصلاح الثقافى ، فان الواجب الأول على المصلح فى رأيه تثقيف الشعب وتهذيبه ، ثم الاستقلال يكون الخاتمة . وقد رفع العلم الآخر وهو العلم السياسى لمناهضة الحكم الأجنبى عبد الله نديم ، ثم مصطفى كامل وفريد ، ثم سعد زغلول . وكذلك كان فى غير مصر من أقطار الشرق من حملوا لواء الاصلاحين وساروا على هداه ولكن فى بطء لايعجبه فقد كان طموحا إلى مقصده ، شجاعا مقداما لايهاب الموت ، حديد المزاج ، لايريد الحق إلا من طريق الحق ، يريده غاية ويريده وسيلة ، ولكن سياسة الدنيا غير ذلك تقوم على المصالحة ، وأخذ شىء بترك شىء ، ومن أراد الحق كاملا فليطلب ذلك فى المثل الأعلى للخلق لافى السياسة أو فلينتظر حتى تخضع السيادة للخلق ولن يكون .

— ٤ —

ويقول - فى إهمال العلوم الرياضية والفلسفية فى الازهر - الاستاذ مصطفى بيرم من رسالة له عن الازهر قدمها لمؤتمر علماء اللغات الشرقية المنعقد بمدينة همبورج بالمانيا عام ١٩٠٢ : إن تلك العلوم الرياضية والجغرافية والعقلية والفلسفية مهجورة من الازهر ينظر إليها بعين السخط ، ويفر من سماعها فرار الصحيح من الاجرب ، ولكن بفضل الله وكرمه لم يطل الامر على ذلك كثيرا ، حتى قيض الله لنا علماءنا الاعلام من تنبه لاسباب تأخرنا العلمى ، وأخذوا فى السعى لاعادة تدريس تلك العلوم النافعة المقوية للملكة الذهنية ، ولخشية المفاجأة بإعادة تدريسها للجامع بعد ما رسخ فى أذهان الكثير من أن بها مايعدو على الدين ، رأى ولاة الامور أن يمهدوا السبيل لادخالها فى

الجامع الازهر بأخذ آراء أفاضل العلماء الازهريين ، فكلفوا والدى المرحوم السيد محمد بيرم بهاته المهمة العلمية ، وبعد أخذ وعطاء بينه وبين المرحومين : العلامة الشيخ محمد الأنبابى شيخ الاسلام بمصر وشيخ الجامع الأزهر ، والشيخ محمد البنا مفتى الديار المصرية فى ذلك العهد ، استقر الرأى ان يكتب لهما استفتاء صورته ، بعد الديباجة : « ماقولكم رضى الله عنكم ؟ هل يجوز تعلم المسلمين للعلوم الرياضية ؟ مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الأجزاء المعبر عنها بالكيمياء ، وغيرها من سائر المعارف ، لاسيما ماينبنى عليه منها من زيادة القوة فى الامة ، بما تجارى به الامم المعاصرين لها فى كل ما يشمله الأمر بالاستعداد بل هل يجب بعض تلك العلوم على طائفة من الأمة بمعنى أن يكون واجباً وجوبا كفائيا على نحو التفصيل الذى ذكره فيها الامام حجة الاسلام الغزالى فى إحياء العلوم ، ونقله علماء الحنفية أيضا وأقروه ، وإذا كان الحكم فيها كذلك ، فهل يجوز قراءتها مثل ماتجوز قراءة العلوم الآلية من نحو وغيره الرائجة الآن بالجامع الأزهر وجامع الزيتونة والقرويين ؟ أفيدوا الجواب ، لازلتم مقصداً لأولى الألباب : فاجابه العلامة الشيخ محمد الأنبابى بالفتوى الآتية بعد الديباجة : يجوز تعلم العلوم الرياضية مثل الحساب والهندسة والجغرافيا ، لأنه لاتعرض فيها شىء من الأمور الدينية ، بل يجب منها ما تتوقف عليه مصلحة دينية أودنيوية وجوبا كفائيا ، كما يجب علم الطب لذلك ، كما أفاده الغزالى فى مواضع من الاحياء ، وإن مازاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل به زيادة التمكن فى القدر الواجب فتعلمه فضيلة ، ولا يدخل فى علم الهيئة الباحث عن أشكال الأفلاك والكواكب وسيرها علم التنجيم المسمى بعلم أحكام النجوم ، وهو الباحث عن الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية ، فإنه حرام كما قال الغزالى ، وعلل ذلك بما محصله أنه يخشى من ممارسته نسبة التأثير للكواكب ، والتعرض للإخبار بالمغيبات ، مع كون الناظر قد يخطىء لخفاء بعض الشروط ، وأما الطبيعيات وهى الباحثة عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغييرها — كما فى الاحياء فى الباب الثانى من كتاب العلم — فإن كان ذلك البحث على طريق أهل الشرع فلا منع منها ، كما أفاده العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى فى جزء الفتاوى الجامع للمسائل المنتشرة بل لها حينئذ أهمية بحسب أهمية ثمرتها ، كالوقوف على خواص المعدن والنبات المحصل للتمكن فى علم الطب ، وكمعرفة عمل الآلات النافعة فى مصلحة العباد ، وإن كان على طريقة الفلاسفة فالاشتغال

بها حرام ، لأنه يؤدى للوقوع فى العقائد المخالفة للشرع ، كما أفاده العلامة المذكور ، نعم يظهر تجويزه لكامل القريحة الممارس للكتاب والسنة ، للأمن عليه مما ذكرنا ، قياسا على المنطق المختلط بالفلسفة ، على ماهو المعتمد فيه من أقوال ثلاثة ، ثانيها الجواز مطلقا ، ونسبه الملوى فى شرح السلم للجمهور ، وثالثها المنع مطلقا ، ونسبه صاحب السلم لابن الصلاح والنووى ، قال الملوى : ووافقهما على ذلك كثير من العلماء . ولما كان الامام النووى ممن يقول فى المنطق بالمنع مطلقاً مشى على نظير ذلك فى الطبيعة ، فعد فى كتاب السير من الروضة من العلوم المحرمة علوم الطبيعيات بدون أن يفصل ، لكن حيث يعتمد التفصيل هناك فلنعتمده هنا ، إذ لافرق فى ذلك ، فإن مظنة الضرر والنفع موجودة فى كل منهما ، والظاهر أن موضوع كلام الروضة ما كان على طريقة الفلاسفة ، إذ غيره لامحظور فيه اتفاقاً كالمنطق الخالص ، كما يشعر بذلك تعبيرها بعلوم الطبائعيين دون علوم الطبيعة . وأما علم تركيب الأجزاء المعبر عنه بالكيمياء فإن كان المراد به البحث عن التركيب والتحليل بدون تعرض لما يخشى منه على العقيدة الاسلامية . فلا بأس به ، بل له أهمية حسب ثمرته ، وإلا جرت فيه الأقوال الثلاثة المتقدمة ، وأما العلم المعروف بعلم جابر ، ويسمى أيضاً علم الصنعة وعلم الكاف ، وهو الذى ينصرف إليه علم الكيمياء عند غالب الناس ، فقد أفاد العلامة ابن حجر فى شرحه على المنهاج أنه إن قلنا بالمعتمد من جواز انقلاب الجسم عن حقيقته وكان العلم الموصل لذلك يقينا جاز تعلمه والعمل به ، وإلا حرم ، ولفقد هذا الشرط لم يتحصل المشتغلون به فيما رأينا إلا على ضياع الأموال ، وتشتت البال ، وتغيير الأحوال — فعلم أن العلوم الرياضية لا بأس من قراءتها كما تقرأ علوم الآلات ، وكذا الطبيعيات وعلم تركيب الأجزاء ، حيث كانت تقرأ على طريقة لايفهم منها منابذة الشرع بحال ، كبقية العلوم العقلية مثل المنطق والكلام والجدل ، بل يجب كفاية من هذه الثلاثة مايحتاج اليه فى الحجاج عن العقائد الدينية .

وكتب الشيخ محمد البنا مفتى الديار المصرية فى ذلك العهد هذه الفتوى: «ما أفاده حضرة شيخ الاسلام موافق لمذهبنا ، وما استظهروه من أن الخلاف الجارى فى علم المنطق يجرى فى علم الطبيعة أيضاً وجيه . والله سبحانه وتعالى أعلم» . وكانت فتوى الشيخ الأنبابى فى غرة ذى الحجة سنة ١٣٠٥ هـ ، وكانت فتوى الشيخ البنا فى ١٧ من هذا الشهر (١) .

---

(١) ٣٩ تاريخ الإصلاح فى الأزهر .

— ٥ —

كانت العلوم والكتب التى تدرس بالأزهر فى القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين كما جاء بيانها فى رسالة مقدمة من شيخ الأزهر إلى الخديو فى سنة ١٣١٠هـ، هى كما اشتملت عليه هذه الرسالة (١) :

١ — علم التوحيد ، والكتب التى تدرس فيه هى أم البراهين الصغرى للشيخ محمد يوسف السنوسى بشرح المؤلف والهدهدى والباجورى ، وأم البراهين الكبرى للسنوسى ، وجوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقانى بشرح عبد السلام اللقانى ، والعقائد النسفية بشرح السعد التفتازانى ، والخريدة للشيخ أحمد الدردير ، والمقاصد لسعد الدين التفتازانى ، والمواقف للشيخ عبد الرحمن العضد بشرح الجرجانى ، وطوالع الأنوار للبيضاوى بشرح الأصفهانى ، ومتن السباعى بشرح الباجورى .

٢ — التصوف ، والكتب التى تدرس فيه هى الإبريز للشيخ عبد العزيز ، والأنوار القدسية للشيخ عبد الوهاب الشعرانى ، وبستان العارفين للشيخ نصر السمرقندى ، وتاج العروس لابن عطاء الله السكندرى ، والتجليات الإلهية للشيخ محيى الدين بن عربى ، وتحفة الإخوان للشيخ الدردير ، وتفليس إبليس لعز الدين بن عبد السلام ، وتنبيه الغافلين للشيخ نصر السمرقندى ، والتنوير فى إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندرى ، والاحياء للغزالى ، وقوت القلوب لأبى طالب المكى ، والمنن الكبرى للشيخ الشعرانى .

٣ — التفسير ، والكتب التى تدرس فيه هى الكشاف للزمخشرى ، وتفسير الجلالين بحاشية الشيخ الجمل ، وتفسير الخطيب الشربينى ، وتفسير عبد الله بن عمر البيضاوى ، وتفسير أبى السعود ، وتفسير الفخر الرازى ، وتفسير الخازن ، وتفسير النسفى ، والاتقان للسيوطى .

٤ — التجويد والقراءات ، والكتب التى تدرس فيه هى تحفة الأطفال للشيخ سليمان الجنزورى ، والجزرية للشيخ محمد الجزرى ، والتمهيد له أيضاً ، وجهد المقل للشيخ على زاده ، وإرشاد الرحمان للشيخ عطية الأجهورى ، والشاطبية للشاطبى ، والوقف والابتداء للشيخ الأشمونى .

---

(١) ص ٥٠ تاريخ الاصلاح فى الأزهر .

٥ — الحديث ، والكتب التى تدرس فيه هى صحيح البخارى بشرح القسطلانى والعسقلانى والعينى وزكريا الانصارى ، ومختصر البخارى للشيخ ابن أبى جمرة ، وصحيح مسلم بشرح النووى ، والشفاء للقاضى عياض بشرح الخزرجى ومنلا على قارى ، وموطأ الامام مالك بشرح الزرقانى وابن عبد البر ، والجامع الصغير للسيوطى بشرح العزيزى والمناوى والأبيارى ، والأذكار للنووى بشرح ابن علان ، والتجريد للزبيدى ، والشمائل المحمدية للترمذى بشرح الجمل ، والترغيب والترهيب للمنذرى ، والأربعين للنووى ، وصحيح الترمذى ، وصحيح النسائى ، وصحيح الاشعث وصحيح ابن ماجه ، والمواهب اللدنية للقسطلانى ، والسيرة الحلبية للحلبى .

٦ — مصطلح الحديث ، والكتب التى تدرس فيه هى ألفية الحافظ العراقى بشرح شيخ الاسلام العدوى . وتقريب النووى بشرح الجلال السيوطى ، والنخبة لابن حجر العسقلانى ، والبيقونية للشيخ عمر البيقونى بشرح الزرقانى ومنظومة الصبان .

٧ — فقه الحنفية ، والكتب التى تدرس فيه هى نور الايضاح بشرح الشرنبلالى ، والكنز للنسفى بشرح الطائى وابن نجيم والزيلعى والعينى ومثلا ، وتنوير الأبصار للتمرتاش بشرح الحصفكى ، والبداية للمرغينانى ، والهداية ، والغاية ، وفتح القدير ، والأشباه والنظائر لابن نجيم ، والخراج للإمام أبى يوسف ، وملتقى الأبحر للحلبى بشرح الحصفكى ، ومجمع البحرين لابن الساعاتى ، ومتن القدورى للبغدادى ، وجامع الفصولين ، والسراجية للسجاوندى .

٨ — فقه المالكية ، والكتب التى تدرس فيه هى العشماوية للشيخ العشماوى بشرح ابن تركى ، والعزية لأبى الحسن على الشاذلى بشرح الزرقانى ، ورسالة ابن أبى زيد القيروانى بشرح الحسن الصعيدى ، وأقرب المسالك للدردير ، ومختصر خليل بشرح الدردير والخرشى والزرقانى والحطاب والشبراخيتى ، والمجموع للشيخ الأمير ، والعاصمية ، والتبصرة لابن فرحون ، والقلصاوى للقرشى .

٩ — فقه الشافعية ، والكتب التى تدرس فيه هى التقريب لأبى شجاع بشرح ابن قاسم والخطيب الشربينى ، والأشباه والنظائر للسيوطى ، والتحرير للشيخ زكريا الأنصارى ، ومنهج الطلاب له أيضاً ، والروض لابن المقرى ، ومنهاج الطالبين للنووى ، والعباب لابن المدحجى ، ونهج الطلاب للجوهرى ، والبهجة لابن الوردى ، والوجيز للغزالى ، والروض للنووى ، والارشاد لابن المقرى ، وكشف النقاب للونائى ، وفتاوى ابن حجر ، وفتاوى الرملى ، والرحبية ، والترتيب للماردينى ، وكشف الغوامض للسبط ، وألفية ابن الهائم .

١٠ - فقه الحنبلية ، والكتب الذى تدرس فيه هى الدليل للشيخ مرعى ، وزاد المستقنع للبهوتى ، والمنتهى للفتوحى ، والاقناع للحجاوى ، والمقنع لابن قدامة ، ومختصر المقنع للحجاوى ، والانصاف للمرداوى ، ومختصر الشطى .

١١ - أصول الفقه ، والكتب التى تدرس فيه هى جمع الجوامع للسبكى بشرح المحلى ، ومختصر ابن الحاجب بشرح العضد . ومنار الأنوار للنسفى بشرح بن مالك والحصفكى وابن نجيم ، والتنقيح لصدر الشريعة ، وتنقيح الفصول للقرافى ، والورقات لامام الحرمين بشرح المحلى وابن القاسم ، والورقات للحطاب ، والتحرير للكمال ابن الهمام ، وفصول البدائع ، والمرآة .

١٢ - اللغة ، والكتب التى تدرس فيها هى القاموس للفيروزبادى بشرح السيد مرتضى ، والصحاح للجوهرى ، ومختار الصحاح للرازى ، والمصباح المنير للفيومى ، وفقه اللغة للثعالبى ، والأساس للزمخشرى ، والمزهر للسيوطى ، ولسان العرب للأنصارى .

١٣ - النحو ، والكتب التى تدرس فيه هى الأجرومية للصنهاجى بشرح الكفراوى . والشيخ خالد ، والأزهرية وشرحها للشيخ خالد ، وقطر الندى لابن هشام ، وشذور الذهب له أيضا ، وألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل والأشمونى ، ومغنى اللبيب لابن هشام ، والكافية لابن الحاجب ، والتسهيل لابن مالك .

١٤ - الصرف ، والكتب التى تدرس فيه هى المراح لاحمد بن على بن مسعود ، الشافية لابن الحاجب بشرح شيخ الاسلام والرضى ، والتصريف للعزى بشرح السعد التفتازانى ، والترصيف للأخضرى ، ونظم العقود للطحاوى بشرح الشيخ عليش ، ولامية الافعال لابن مالك ، ورسالة الجوهرى فى الاشتقاق .

١٥ - علوم البلاغة ، والكتب التى تدرس فيها هى التلخيص للخطيب القزوينى بشرح السعد ، والمفتاح للسكاكى بشرح السعد والسيد ، والجوهر المكنون للأخضرى بشرح الدمنهورى ، وعقود الجمان وشرحه للسيوطى ، ومنظومة ابن الشحنة ، والرسالة البيانية للصبان ، والسمرقندية .

١٦ - العروض والقوافى ، والكتب التى تدرس فيه هى الكافى للقنائى ، والخزرجية ومنظومة الصبان .

١٧ - الوضع والكتب التى تدرس فيه هى: الرسالة العضدية بشرح السمرقندى ، وعنقود الزواهر .

١٨ - المنطق والكتب التى تدرس فيه هى السلم للأخضرى بشرح المؤلف والقويسنى والملوى والباجورى، وإيساغوجى الابهرى بشرح الشيخ زكريا الانصارى، والتهذيب للسعد التفتازانى بشرح الخبيصى، والشمسية للكاتبى بشرح القطب الرازى والمختصر للسنوسى، والمطالع للارموى بشرح الرازى.

١٩ - أدب البحث والمناظرة، والكتب التى تدرس فيه هى آداب الكلنبوى بشرح حسن باشا زاده، وآداب السمرقندى بشرح الشيروانى وشيخ الاسلام، وآداب الساجقلى للمرعشى، وآداب الجرجانى.

٢٠ - التاريخ والكتب الذى تدرس فيه هى تاريخ الخميس للقاضى حسين الديار بكرى، وإسعاف الراغبين للصبان، ومقدمة ابن خلدون، وتاريخه العبر وديوان المبتدأ والخبر، والكامل لابن الاثير، والخطط للمقريزى، ونفح الطيب للمقرى، وتحفة الناظرين للشرقاوى، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والطبقات الصغرى لابن السبكى، وطبقات الشعرانى، ولواقح الانوار له أيضا، وخلاصة الاثر للحلبى، وأخبار الاول للاسحاقى.

٢١ - الحساب والجبر، والكتب التى تدرس فيهما هى الوسيلة لابن الهائم، والتحفة السنيه للسبط، والسخاوية للسخاوى، والياسيمينية لابن الهائم، ومنظومة فى الحساب للاخضرى، ونزهة النظار لابن الهائم، والدرة البيضاء للاخضرى، والخلاصة للعاملى، والتلخيص للدمياطى، واللمعة لابن الهائم.

٢٢ - الميقات والهيئة، والكتب التى تدرس فيهما هى دقائق الحقائق للسبط، وخلاصة المختصرات لابن عائشة، ورسالة فى العمل بالربع للجبرتى، والمقدمة لمحمد المجدى، وتحفة الاخوان لابن قاسم، والوضع على الجهات للمالكى الاندلسى، وهداية الحائر للسبط، ورسالة الوقت والقبلة للقليوبى، ورسالة فى معرفة التواريخ لابن مهدى، ودستور علم الميقات لرضوان افندى، وزاد المسافرين لاحمد بن المجدى، وتسهيل الدقائق لخليل الفرازى، ورسالة المنحرفات له أيضا، والتذكرة للطوسى، والمطلع السعيد لحسين زائد.

٢٣ - الحكمة، والكتب التى تدرس فيها هى الاشارات لابن سينا، والهداية لاثير الدين الابهرى، وحكمة العين للكاتبى، ومقولات السجاعى، ومقولات البليدى، ومقولات المرصفى، وغالية النشر لعبد الجواد القبانى.

٢٤ - الرسم والكتب التى تدرس فيه هى منظومة فى الرسم العثمانى - رسم مصحف عثمان - ومنظومة فى الرسم القياسى.

من صحائف الذكرى

فى سنة ١٢٨٠ هـ (١) - ١٨٦٣ م ، أراد السلطان عبد العزيز أن يزور الديار المصرية ، وكان هذا فى عهد اسماعيل باشا خديو مصر ، فلما وصل إلى القاهرة اختار إسماعيل باشا أربعة من علماء الأزهر ، ليذهبوا إلى تهنئته نيابة عن إخوانهم ، وهم السيد مصطفى العروسى شيخ الجامع الأزهر ، والشيخ السقا ، والشيخ عليش ، والشيخ حسن العدوى ، وكان لمقابلة سلاطين آل عثمان آداب لا يعرفها علماء الأزهر فطلب إسماعيل باشا من قاضى قضاة مصر - وكان يختار من علماء دولة آل عثمان - أن يعلمهم آداب المثول بين يدى السلطان ، فذكر لهم أن المقابلة ستكون فى حجرة يقف السلطان فى صدرها على منصة مرتفعة ، وأنه يجب إذا ماوصلوا إلى باب الحجرة ووقعت أعينهم على السلطان أن ينحنوا انحناء عظيما ، ثم يلقوا عليه السلام ، ثم يكرروا الانحناء والتسليم إلى أن يرد السلطان عليهم تحيتهم ، فينحنوا ويسلموا مرة أخرى ، ويرجعوا متقهقرين إلى الوراء إلى أن يصلوا إلى باب الحجرة ، فينحنوا مرة أخرى ، ثم ينصرفوا إلى خارج الحجرة . وقد وقعت هذه الآداب من العلماء الأربعة موقع الاستغراب ، فقال لهم قاضى القضاة : إن هذا لابد منه ، فقالوا قد فهمنا . ثم ذهبوا إلى مقابلة السلطان ، فدخل الشيخ العروسى أولا ، وأدى المقابلة بالشكل الذى ذكره قاضى القضاة ، ثم أداها مثله الشيخ السقا والشيخ عليش ، وكان الخديو إسماعيل واقفا وراء السلطان وعينه ترقب حركاتهم ، فسر لإتقانهم آداب المقابلة ، وظهورهم بهذا المظهر الذى كان موقع استغراب منهم ، ثم دخل بعدهم الشيخ العدوى وكان عالما شجاعا لا يخشى إلا الله ، ولا يقيم وزنا لعظمة سواه ، فانحنى انحناءة خفيفة عند الباب ، ثم أقبل نحو السلطان منتصب القامة ، ولم يكرر الانحناء أمامه ، فخفق قلب إسماعيل باشا لما فعل ، ولاسيما حين رآه يجاوز الحاجز ويصل إلى السلطان ، ثم يقول له : السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله . فيبتسم السلطان له ويرد عليه تحيته ، وينحنى له انحناء خفيفاً ، فيكلمه الشيخ العدوى فيما يجب على السلطان لرعيته ، ويبين له عظم المسئولية الملقاة على عاتقه ، وأن ثوابه عند الله سيكون بقدر تلك المسئولية وحسن قيامه بها ، وأن عقابه عنده سيكون بقدر تقصيره فيها . فلما رأى ذلك إسماعيل باشا اصفر لونه ، وأخذ يتوقع غضب السلطان عليه لهذه المقابلة ،

---

(١) ص ١٥٥ تاريخ الاصلاح فى الأزهر .

ولكن وجد السلطان لم يبد عليه اى أثر للغضب ، بل وجده مرتاحا للكلام الذى سمعه . وقد خرج الشيخ العدوى بعد أن انتهى من موعظته ، ولم يخرج بظهره كما خرج غيره ، بل ولى وجهه نحو الباب وخرج ، فوجد العلماء الثلاثة ينتظرونه أمام الباب فأخبرهم بما فعل مع السلطان ، فأخذوا يلومونه على مافعل ، ويخوفونه عاقبة هذا الأمر ، فقال لهم : أما أنا فقد قابلت أمير المؤمنين ، وأما أنتم فكأنكم قابلتم صنما ، وكأنكم عبدتم وثنا ، ولما انصرف الشيخ العدوى سأل السلطان عبد العزيز إسماعيل باشا عنه ، فقال له : هـــذا شيخ من أفاضل العلماء ، ولكنه مجذوب ، وأستميح جلالتكم عفواً عن سقطته ، فقال له السلطان : كلا ، بل إنى لم أنشرح لمقابلة أحد انشراحى لمقابلته . ثم أمر له بخلعة سنية ، وألف جنيه .

شعلة لاتنطفىء

لما استولى صلاح الدين على مصر ، وأبطل منها مذهب الشيعة الفاطمية أبطل الخطبة فى الجامع الازهر ، وأقرها بالجامع الحاكمى لسعته وبقى الازهر معطلا من إقامة الجمعة فيه زمن الدولة الايوبية ، وبعضاً من عصر المماليك البحرية ـ أى نحو مائة سنة ـ . وأهمل أمره مدة تعطيل الجمعة فيه ، وأنشئت مدارس أخرى لتدريس فقه الشافعية والتفسير والحديث وغيرها .

ولما ولى ملك مصر الظاهر بيبرس البندقدارى كان من أمراء دولته الامير عز الدين أيدمر الحلى . وكانت داره بالقرب من الازهر ، فرعى فيه حرمة الجوار ، واستعان بماله وجاهه عند السلطان فى عمارته ، فجمع بعض مابددته أيدى الفاطميين من أوقافه ، وأمده السلطان بالمساعدة ، فعمر الواهى من أركانه ، ورفع سقوفه ، وبلطه ، وفرشه ، وأثر فيه آثارا حسنة ، حتى عاد حرما آمناً فى وسط المدينة . وأنشأ بيلبك الخازندار مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء ، ومحدثاً يتلو الحديث النبوى ويلقى المواعظ ، ومقرئين للقرآن ، ووقف على ذلك الغلات الدارة .

ولما كانت الدراسة معطلة فى الازهر من بدء الدولة الايوبية فقد أريد إعادة الخطبة فيه ، فامتنع قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز من إقامة خطبتين للجمعة ، فيه وفى للجامع الحاكمى ، وفقاً لمذهبه ، وهو مذهب الامام الشافعى . فولى السلطان قاضياً حنفياً فاذن فى إعادتها ، وأخذ بذلك خطوط العلماء . وأعيدت إقامة الجمعة فيه باحتفال عظيم حضره أكابر الدولة ، وعاد مسجداً جامعاً ، ومدرسة عظيمة .

وكان هذا الاذن أساساً اعتمد عليه سلاطين المماليك وكبراؤهم فى صحة بناء مساجد جامعة كثيرة فى القاهرة وغيرها . وعظمت عناية المماليك بالازهر فجددوه مراراً ، ورفعوا حواليه المنارات السامية ، وأضافوا إليه بضع عشرة مدرسة ، حبست عليها الحبوس الجليلة ، وفتحوا أبوابه للعلم ، وأجروا على قاصديه الجرايات من الطعام والحلوى ، فقصده الطلاب والعباد من أقاصى البلاد . وبلغ عدد طالبى العلم به سنة ٨١٨ هـ نحو سبعمائة وخمسين طالبا من مصريين ومغاربة وأعاجم ، وهم عدد عظيم بالاضافة إلى ما كان ينافسه فى الشهرة وينازعه هذه المكرمة ، من نحو مائة مدرسة وجامع أنشأها سلاطين المماليك وأمراؤهم ، ووقفوا عليها أضعاف ما وقف على الازهر.

وكانت الدراسة فيه مقصورة أول الأمر على علوم اللغة والدين ، ثم أدخلت فيه بعض علوم الرياضة والنجوم والطبيعة ، ولكنها لم تعش طويلا ، وعادت الدراسة فيه سيرتها الأولى . وظل كذلك تتوالى عليه أحوال عسر ويسر ، إلى أن نهض المصلحون لأخذ طلابه بقسط من علوم الحياة : كالتاريخ ، وتقويم البلدان ، والعلوم الرياضية ، فلقوا شيئا من المعارضة . على أن الأزهريين لم يلبثوا أن اطمأنوا إلى هذه العلوم ، وأقبلوا جاهدين على دراستها طالبين المزيد منها ، والاصلاح فى جميع أنواع التعليم بمعهدهم الجليل فعولج الاصلاح بعدة مشروعات ، وتم لهم ما أرادوا وسن للأزهر قانون جعل التعليم فيه على ثلاث مراحل : هى مراحل التعليم الابتدائى ثم الثانوى ، ثم العالى ، وأنشىء للمرحلة الأخيرة ثلاث كليات ، بكل منها أقسام للتخصص . واقتضى النظام الجديد أن يختص كل مدرس بنوع من العلم لطائفة من الطلاب محدودة العدد من طبقة واحدة ، فضاق نطاق الأزهر عن فرق الدراسة ، فوزعت على كثير من الأمكنة . وألحق بالأزهر فى نظامه وإدارته العليا كثير من المعاهد العلمية ، كمعهد الاسكندرية ، والجامع الاحمدى ، والجامع الدسوقى ، ومعهد دمياط ، ومعهد أسيوط ، ومعهد شبين الكوم ، ومعهد الزقازيق .

وللأزهر الفضل الذى لا يجحد فى حفظ علوم الدين واللغة فى تلك الحقبة الطويلة ، التى ابتليت فيها مصر بالفقر والجهل وسائر ألوان الفساد . وكان ملاذ القاصدين من أبناء اللغة العربية ، وغياث المتعطشين لورود مناهلها من سائر الممالك الاسلامية ، ومصباحاً ينبعث منه نور الهداية إلى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، وله عظيم الاثر فى النهضة الحديثة ، إذ كان الملجأ الذى لجأ إليه محمد على فى نهضته ، فاختار من بين طلابه بعوثه إلى البلاد الاوربية للتوسع فى العلوم والفنون ، فعادوا وكانوا أئمة المصلحين.

واستعان بعلمائه فى القيام بكثير من شؤون مملكته ، كتعليم اللغة والدين بالمدارس التى أنشأها ، والاشراف على طبع الكتب وتصحيحها ، وتحرير الوقائع المصرية ، والمشاركة فى وضع مصطلحات العلوم المترجمة . ومن الازهر استمدت مدرسة القضاء الشرعى ودار العلوم طلابها ، وتخرج من المدرسة الاولى طائفة من رجال الشريعة ، نهضوا بأعباء القضاء فى المحاكم الشرعية ، وأعمالها الكتابية ، كما تخرج من الثانية كثير من مدرسى المدارس المصرية فى العصر الحديث ، وإلى الازهر يرجع الفضل فى توسيع نطاق التعليم . فقد أمد مدارس المعلمين الاولية بما تحتاج إليه من التلاميذ ، وساعد المدارس الحكومية والاهلية برجاله ، وعمل طلابه على إزالة الامية ، ونشر الثقافة العامة فى قرى القطر المختلفة لانبثاثهم بها ، وإقامتهم فيها ، وبه أصبحت مصر مركز الثقافة العربية ، والمثابة الأخيرة لعلوم الدين واللغة .

علماء من الأزهر القديم والحديث

— ١ —

ليس فى وسعى فى هذا الكتاب إحصاء جميع العلماء الذين تخرجوا من الأزهر أو درسوا فيه أو تولوا مناصبه الدينية والعلمية الكبرى ، فذلك شىء لا يمكن أن يحيط به باحث .

وقد ذكرت فى فصول الكتاب أشهر الأعلام فى الأزهر ، خلال عصور التاريخ المختلفة ، ونذكر الآن أسماء عديدة ، بعضهم ممن سبق ذكرهم ، ولكن هنا تحقيق دقيق لتاريخ ميلادهم ووفاتهم ، ومن الأعلام الازهريين :

١ — الشيخ محمد بن عمر الخفاجى المصرى المتوفى عام ١٠١٩ هـ ، وهو والد الشهاب الخفاجى ، وكان من جلة العلماء وله آثار علمية كبيرة ، (١) .

٢ — الشهاب الخفاجى المصرى (٢) (٩٧٥ - ١٠٦٩ هـ - ١٦٥٨ م) وكان

---

(١) ٤١١ ج ٧ دائرة معارف البستانى ، ١١٦ الريحانة للشهاب الخفاجى ، ٥٨ ج ٢ بنو خفاجة .

(٢) الريحانة (٢٧٢ - ٣٠٩) و ٣٢١ - ٣٤٣ ج ١ خلاصة الأثر ، ٤٢٠ - ٤٠٧ سلافة العصر ، وسوى ذلك من المرجع ، كما ترجمت له شتى الكتب المؤلفة فى تاريخ الأدب العربى .

من جلة العلماء والمؤلفين ، وتولى رياسة القضاء فى مصر ، ورحل إلى الحرمين والشام والقسطنطينية ، ومن مؤلفاته : الريحانة ، وطراز المجالس ، وشفاء الغليل وشرح درة الغواص ، وحاشية على الشفاء ، وحاشيته المشهورة على البيضاوى ، وسواها ، كما أن له كثيرا من الكتب المخطوطة(١)

والشهاب اسمه أحمد بن محمد بن شهاب الدين الخفاجى المصرى ، وقد ولد بسرياقوس وتلقى دروسه بالقاهرة ثم رحل مع أبيه إلى الحرمين ، ثم الآستانة ، وعين قاضيا على الروملى ثم فى سلانيك ، وعينه السلطان مراد قاضيا للعسكر بمصر ، ثم استقال وسافر إلى دمشق فحلب فالآستانة ، وتوفى سنة ١٠٦٩ هـ . وكان أديب عصره ، عالما باللغة وعلومها ، كاتبا شاعرا مؤلفا . ومن شعره قوله :

إن وجدى بمصر وجد مقيم ... وحنينى كما ترون حنينى
لم يزل فى خيالى النيل حتى ... زاد عن فكرتى ففاضت عيونى

وقوله :

قديتك يا من بالشجاعة يرتدى ... وليس لغير السمر فى الحرب يغرس
فان عشق الناس المها وعيونها ... من الدل فى روض المحاسن تنعس
فدرعك قد ضمتك ضمة عاشق ... وصارت جميعا أعينا لك تحرس

وقوله مضمنا :

يا صاح إن وافيت روضة نرجس ... إياك فيـــــا المشى فهو محرم
حاكت عيون معذبى بذبولهـــا ... (ولأجل عين ألف عين تكرم)

وقال يتغزل ويتطرق إلى مدح محمد بن القاسم الحلبى:

حتام يغزونى صدوده ... والصبر قد كثرت جنوده(٢)
لم أدر : فاتر جفنـــه ... والخصر، أسقم أم عهوده(٣)
نشوان يعبث بى كما ... عبثت بآمالى وعوده(٤)

---

(١) راجع ترجمته بتفصيل فى ٥٨ — ٧٢ ج٢ بنو خفاجة

(٢) حتام أصلها (حتى ما) فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يغزونى : يسير إلى قتالى وانتهابى . والصدود : الاعراض .

(٣) جفن فاتر : غير حاد النظر . والخصر : وسط الانسان . والعهود : المواعيد

(٤) النشوان : السكران . ويعبث بى : يلعب بى .

لولا مياه الحسن جا لت فيه لاحترقت خدوده
كالصب لولا دمعه يهمى لأحرقه وقوده(١)
يخفى الهوى وعيونه بغرامه المضنى شهوده
فسقى رياض الحسن من دمعى حيا يهمى مديده(٢)
زمن بجيد اللهو قد نظمت على نسق عقوده(٣)
إذ دوح أنسى يانع بكئوسنا انفتحت وروده(٤)
والكأس نجم لاح فى فلك المسرة لى سعوده
يصفو فيحلو ذكرمن قد زين الدنيا وجوده
ذاك ابن قاسم الذى مازال فى تعب حسوده

٣ — الشيخ محمد الأمير الكبير (١١٥٤ - ١٢٣٢هـ - ١٧٤١ - ١٨١٧م) ، وقد تولى مشيخة السادة المالكية فى الأزهر

٤ — الشيخ محمد بن عرفة الدسوقى صاحب حاشية البلاغة المشهورة على شرح التلخيص وتوفى سنة ١٢٣٠هـ

٥ — الشيخ عبدالله الشرقاوى (١١٥٠ - ٢ شوال سنة ١٢٢٧ هـ - ١٧٣٧ - ١٨١٢م) وقد تولى مشيخة الأزهر الشريف

٦ - الشيخ مصطفى بن أحمد الصاوى من الأزهريين الذين اشتهر ذكرهم أيام غزو نابليون لمصر وكان من أدباء الأزهريين(٥) .

٧ - الشيخ محمد الخالدى المعروف بابن الجوهرى قرأ الدروس فى الأزهر وطار صيته ، وتوفى فى ١١ ذى القعدة سنة ١٢١٥هـ - ١٨٠١م .

٨ - الشيخ حسن العطار (١١٨٠ - ٢ ذى القعدة ١٢٥٠هـ - ١٧٦٦ - ١٨٣٥م)

٩ - الشيخ حسن قويدر (١٢٠٤ - ١٢٦٢ هـ - ١٧٨٥ - ١٨٤٦م)

---

(١) الصب : المشتاق الذى يكابد حرارة الشوق . يهمى : يسيل . وقوده : اتقاده واشتعاله .

(٢) الحيا : المطر . المديد : الممدود المتصل .

(٣) نسق : نظام واحد .

(٤) الدوح : الأشجار العظيمة . الورود : جمع ورد .

(٥) ٣١٣ - ٣١٥ ج ٣ الجبرتى .

١٠ - الشيخ شهاب الدين الشاعر المصرى (١٢١٨ - ١٢٧٤هـ - ١٨٠٣ - ١٨٥٧م) وقد درس فى الأزهر .

١١ - الشيخ إبراهيم البيجورى شيخ الاسلام (١١٩٨ - ١٢٧٧هـ - ١٧٨٤ - ١٨٦٠ م) ، وقد ولد بمديرية المنوفية وطلب العلم فى الأزهر . واشتهر بالنبوغ بين طلابه ، وألف كتبا عديدة ، وتولى التدريس فى الأزهر ، وطار صيته ، وذاعت شهرته ، وله كتب مشهورة فى الفقه الشافعى .

١٢ — الشيخ رفاعة الطهطاوى وقد درس فى الأزهر ، وسافر فى بعثة أرسلها محمد على إلى فرنسا ، وعاد منها وتولى كبريات المناصب فى الدولة (١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ - ١٨٠١ - ١٨٧٣ م) .

١٣ — الشيخ محمد الأنبابى شيخ الأزهر (١٢٤٠ - ١٣١٣ هـ - ١٨٢٤ - ١٨٩٦ م) .

١٤ — الشيخ عليش أحد مشايخ السادة المالكية (١٢٣٧ - ١٢١٩هـ - ١٨٠٢ - ١٨٨٢ م) .

١٥ — الشيخ حسين بن أحمد المرصفى المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م .

وهو العلامة اللغوى الأديب المحقق الشيخ حسين بن أحمد المرصفى . ولد بمصر ونشأ فيها . وبعد أن حفظ القرآن الكريم ، وكان مكفوف البصر ، جىء به إلى الأزهر ، فأخذ العلم عن كبار شيوخه ، حتى أدرك منه قدراً جليلا ، وتصدر للتدريس فيه . وكان شديد الشغف بعلوم العربية وآدابها ، فجد فى دراستها ، وأطال النظر فى وجوه بلاغاتها . ولم يطمئن إلى ذلك الأدب الذى كان شائعاً فى عصره . بل كان من أوائل من تفطنوا فى هذه البلاد إلى قدر الأدب القديم . فأقبل على كتب أعلام البلاغة السابقين ، ودواوين فحول الشعراء المتقدمين . وجعل يقرأ ويحفظ ويتدبر ، ما اتسع له الوقت للقراءة والحفظ والتدبير . كما جعل يروض قلمه على البيان الصحيح المتين ، حتى أصبح الأديب التام الأداة . ودرس الأدب فى دار العلوم للسابقين من طلابها . وكان منهم حفنى ناصف وأترابه . وأخذ عنه كبار المتأدبين فى عصره من أمثال البارودى ، وعبد الله فكرى ، وصاحبوه ولازموه ، وعرضوا عليه بيانهم فى منظومهم ومنثورهم ، فهذب ونقح ، وهدى إلى الأجمل الأصلح . وكتب فى مجلة (روضة المدارس) فعلم الادب علماً ، كما درب بالعمل والقدوة ، على صحيح البيان . وقد ألف فى البلاغة كتاباً جليلا دعاه (الوسيلة الادبية) . فشاع الانتفاع

به ، ولا يزال هذا الكتاب مرجع المتأدبين إلى اليوم . وله كذلك رسالة دعاها (الكلم الثمان) ، تحدث فيها عن معانى : الأمة ، والوطن ، والحكومة ، والعدل ، والنظام ، والسياسة ، والحرية ، والتربية .

وعلى كل حال ، فالشيخ حسين المرصفى ، رحمه الله ، يعد من أقوى الدعائم التى قامت عليها النهضة الحديثة فى اللغة والأدب .

٦ — الشيخ عبد الهادى نجا الأبيارى الأديب الازهرى المؤلف النابه (١٢٣٦ - ١٣٠٦ هـ - ١٨٢١ - ١٨٨٨ م) .

— ٢ —

ويذكر أحمد أمين هذه الأغنية الشعبية المصرية ، وهى بعد حذف ديباجتها : « حصانى فى الخزانه ، والخزانه « عاوزة » سلم ، والسلم عند النجار ، والنجار عاوز مسمار ، والمسمار عند الحداد ، والحداد عاوز بيضة ، والبيضة فى بطن الفرخة ، والفرخة عاوزه قمحة ، والقمحة عند القماح ، والقماح عاوز فلوس ، والفلوس عند الصريف ، والصريف عاوز عصافير ، والعصافير فى الجنة ، والجنة عاوزه حنا » الخ . . .

ويقول عنها : أنها أغنية لطيفة حقا ، لا يزال أطفالنا إلى الآن يتغنون بها بتوقيعهم الظريف ، وصوتهم الشجى ، وهم إذ ينشدونها لم يدروا أنهم يتغنون بفلسفة عالية ، وفكرة سامية ، قد يلاحظ عليها أن الربط فى بعضها محكم كحاجة السلم إلى النجار والنجار إلى المسمار ، وبعضها غير محكم كحاجة الحداد إلى البيضة ، وحاجة الصريف إلى العصافير ، ولكن أظن أن تحكيم المنطق الدقيق الحاد فى الأدب كالشعر والأغانى وسائر الفنون مجاوزة للحد ، فالأغنية لطيفة رغم المنطق ، ومن أسباب جمالها هذا النوع البديع الذى يصح أن أسميه « جمال الدوران » أو جمال التسلسل ، مثل قولهم « لا سلطان إلا بالرجال ، ولا رجال إلا بالمال ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل » .

وقولهم : الحجر يكسر الزجاج ، والحديد يكسر الحجر ، والنار تذيب الحديد ، والماء يطفى النار ، والريح تلعب بالماء . والانسان يتقى الريح . والخوف يغلب الإنسان . والخمر تزيل الخوف . والنوم يغلب الخمر . والموت يغلب النوم » . ومثل قولهم : « العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلا . والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالماً » الخ . . وبعد فما تاريخ هذه الاغنية ومن واضعها ؟ لابد أن يكون فيلسوفاً أو حكيما بعيد النظر . ومما يؤسف له أن هذه الأغانى والأزجال والمواويل لم يعن

بها عناية الادب الأرستقراطى . فبينما يعنى العلماء والأدباء بنسبة بيت الشعر إلى قائله . والقصيدة إلى منشئها . ويحتدم بينهم القتال على ذلك . إذ بنا لانجد هـذه العناية ولا بعضها فى الاغانى والازجال الشعبية . وهذا نوع مما أصاب الادب الشعبى من الظلم . وكم أصابه من أنواع ! وهاهى ذى الاغانى التى تخترع فى عصرنا نجدها على الافواه ونستعذبها ، وتهش لها نفوسنا . ولا نكلف أنفسنا مؤنة البحث عن منشئها ولكن من حسن حظ هذه الاغنية أو من حسن حظنا نحن ، أننا نجد ظلا لتاريخها فقد ذكرها الجبرتى فى تاريخه فى حوادث سنة ١١٤٣ هجرية . فيكون عمرها أكثر من قرنين وربع وظلت الاجيال تتعاقبها إلى يومنا . ويظهر من كلام الجبرتى أن واضعها عالم كبير جليل من أكابر علماء الازهر فى القرن الثانى عشر . هو الشيخ الحفناوى أو الحفنى ، كان سيد الأزهر فى أيامه ، له حلقات الدروس الحافلة بنوابغ الطلبة ، يقرأ فيها أغوص الكتب وأصعبها ، كجمع الجوامع والاشمونى وحاشية السعد ، وله التآليف الكثيرة فى البلاغة والميراث والجبر والمقابلة ، كما كان بيته ساحة كرم يغشاه أعيان مصر وعلماؤها وأدباؤها ، ويلجأ اليه الفقراء وذوو الحاجات وكان راتب بيته من الخبز كل يوم نحو الاردب ، وطاحون بيته دائر ليل نهار ، ويجتمع على مائدته الاربعون والخمسون والستون ، إلى هيبة ووقار ، حتى يهاب العلماء سؤاله لجلاله . وهو مع هذا كله ظريف أديب ، سمع تلميذا له يوما يقول :

قالوا تحب المدمس ؟ قلت بالزيت حار والعيش الابيض تحبه ؟ قلت والكشكار

فضحك الشيخ وقال أنا لاأحبه بالزيت الحار . وإنما أحبه بالسمن ثم قال :

قالوا تحب المدمس ؟ قلت بالمسلى والبيض مشوى تحبه ؟ قلت والمقلى

وله المواويل الظريفة كقوله :

بحياة ياليـــل قوامك وصوم الحر تحجز لنا الفجر دا فوت الرفاقه حر
لما يجى الفجر يصبح ركبهم منجر أزداد لوعة ولا عمرى بقيت أنسر

إلى غير ذلك ، فيحدث تلميذه أن الشيخ الحفنى قال له يوما « أحدثك حدوته بالزيت ملتوته ، حلفت ما آكلها ، حتى يجى التاجر ، والتاجر فوق السطوح والسطوح عاوز سلم الخ » فحكاية التلميذ ولم يكن يسمعها من قبل وروايته لها عن عن شيخه ، ترجح الظن أنها من عمل الشيخ الحفنى . وقد زاد الشيخ على ذلك فشرح الاغنية على طريقة الصوفية ففسر التاجر بالمرشد الكامل والمربى الواصل ، والتاجر فوق السطوح فى مستوى عال . والسطوح لايمكن صعوده إلا بمعراج الخ وقد كان

للشيخ جانب آخر صوفى عظيم . فالاشمونى وجمع الجوامع ، والحواشى والتقارير كلها لم تمنع الشيخ العالم الازهرى الجليل من أن يكون أديباً وزجالا ، يضع الاغانى والمواويل يتغنى بها الشعب . وهذا يذكرنى بما سمعت عن الاستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعة المفتى الاسبق من أنه واضع الدور المشهور : الله يصون دولة حسنك ،

أموال المسلمين الموقوفة على الازهر

رصد المسلمون على الأزهر أوقافا كثيرة طول العصر الاسلامية .

ولما جاء محمد على اغتصب الكثير من هذه الأوقاف وأهداها لأسرته ـ وقد كان شيخ الأزهر يشرف على هذه الأوقاف ونظارتها ، وفى العهود الأخيرة تولت وزارة الأوقاف المصرية النظارة على هذه الأوقاف ، وقد أنشئت وزارة الأوقاف (وكانت تسمى ديوان الأوقاف) قبل انشاء الأزهر بأكثر من مائتين وأربعين عاما ، ويرجع تاريخ إنشائه إلى عام ١١٨ هـ ، ويروى أن إنشاءه كان فى عهد هشام بن عبد الملك فقد تولى قضاء مصر توبة بن نمر فى زمن هشام بن عبد الملك ، وكانت أوقاف المسلمين فى أيدى أهلها وفى أيدى أوصيائهم ، فقال توبة : ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين ، فأرى أن أضع يدى عليها حفظا لها من الالتواء والتوارث ، وصنع ذلك عام ١١٨ هـ ، فكان ذلك أول إنشاء ديوان الأوقاف فى مصر ولم يمت توبة حتى صارت الاحباس ديوانا عظيما .

وفى العهد الأخير وبعد حل الأوقاف الأهلية صودرت جميع أوقاف الأزهر وحول مصرفها إلى جهات خيرية ، وأبعد عنها العلماء المدرسون بالأزهر ، على خلاف نصوص الواقفين وشروطهم .

بعض آراء فى الإصلاح

الأزهر جامعة دينية كبرى ، يؤمه المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ، وهو أمانة فى يدى مصر ائتمنه عليه الشرق الاسلامى كله ، ومصر مسئولة أمام الله والتاريخ عن هذه الجامعة العتيدة الخالدة ، وعن النهوض بها وتمكينها من أداء رسالتها :

وأول خطوة للاصلاح فى رأيى هى جعل جماعة كبار العلماء ممثلة تمام التمثيل لكبار رجال الدين ، وفى مقدمتهم شيوخ الكليات والمعاهد الثانوية ، وأساتذة الكليات حرفا ، ورئيس المحكمة العليا الشرعية ومفتى الديار المصرية وشيخ الطرق الصوفية

وشيخ الازهر ووكيله ، وشيوخ الازهر السابقين ، وشيوخ المذاهب الاربعة : .

وتكون مهمة الجماعة ما يلى :

(ا) الافتاء فى المسائل الدينية والشرعية ، بتكوين لجنة من بين الجماعة لهذا الغرض ، يساعدها بعض الاساتذة المتخرجين من تخصص المادة والمدرسين فى كلية الشريعة الاسلامية وتحل هذه اللجنة محل - لجنة الفتوى الحالية فى الازهر .

(ب) بحث نظام الاسلام الاجتماعى والاقتصادى بحثا كافيا . . ووضع أصول التشريعات اللازمة للحياة الحاضرة فى مصر والعالم الاسلامى . . ونشر البحوث المتصلة بذلك . . على أن تقوم بذلك لجنة تختار لهذه المهمة من بين أعضاء الجماعة ، ويختار لها أساتذة مساعدون من أساتذة الكليات (حرف ب و ج) .

(ج) بحث نظم التعليم فى الازهر ، ووجوه الاصلاح فيه . . ويقوم بذلك لجنة تختار من أعضاء الجماعة ، ولها أن تختار مساعدين لها من بين أعضاء هيئات التدريس فى الازهر ، أو من كبار الموظفين الاداريين فى الازهر .

(د) الاشراف على الجماعات الدينية الاسلامية فى مصر إشراف توجيه وإصلاح ، ويقوم بهذا الاشراف جماعة تختار من بين أعضاء الجماعة ، يكون من بينها : شيخ الازهر ، والمفتى ، ورئيس المحكمة العليا الشرعية .

ويقوم التعليم فى الازهر الآن على تخريج عالم لا على تخريج رجل دين . وأرى أن يعالج هذا النقص علاجا سريعا بما يلى :

١ - تعميم دراسة أحاديث وآيات قرآنية مختارة فى جميع مراحل الدراسة فى الابتدائى والثانوى . . ودراسة مادة « قصص الانبياء » ، ومادة « التصوف » ، ومادة « الأخلاق الاسلامية » فى جميع سنى الدراسة الابتدائية والثانوية .

ودراسة أصول الاسلام وأهدافه ومناهجه فى الاصلاح الدينى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى والسياسى فى كليات الازهر .

٢ - جعل حفظ القرآن ضروريا للنجاح فى شهادات الازهر ، واحتساب عامين من مدة التعليم الابتدائى فى الازهر لحفظ القرآن الكريم .

٣ - تنظيم طلاب البعوث الاسلامية ، وإعدادها إعدادا يليق بمهمتها الجليلة .

٤ - تنظيم محاضرات أسبوعية فى كل معهد أو كلية أزهرية يلقيها الاساتذة .

٥ - حسن اختيار الكتب الدراسية فى الازهر .

٦ - جعل اختيار شيوخ الكليات الازهرية عن طريق انتخاب هيئات التدريس فى هذه الكليات .

٧ - العناية بدراسة الآثار الاسلامية والتاريخ الاسلامى دراسة كاملة صحيحة :

٨ - الاكثار من بعثات الازهر التعليمية إلى أوربا ، ويختار أعضاؤها للسفر فى بعثات منظمة إلى معاهد التعليم فى أوربا وفق الحاجة .

٩ - فتح أقسام الدراسات العليا فى كليات الازهر التى أغلقت أبوابها منذ عام ١٩٤٠ - إلى غير ذلك من شتى الاصلاحات التعليمية ، ومن بين الاصلاحات الواجبة :

١ - إصلاح مجلة الازهر .

٢ - مساواة أساتذه الكليات بأساتذه الجامعات المصرية ، ومساواة أساتذه المعاهد بنظرائهم فى وزارة المعارف .

٣ - إنشاء اتحاد عام لطلاب الأزهر على غرار اتحاد طلبة الجامعة المصرية .

٤ - التفكير جديا فى الاحتفال بالذكرى الألفية الأزهر .

٥ - قيام الأزهر بنشر أصول كتب الشريعة والحديث واللغة ورسائل المتخصصين من أبنائه ، ونشرها فى العالم الأسلامى .

الأزهر والذكريات القومية

يشارك الأزهر الأمة الفرح بالأعياد القومية ، ومن أول هذه الأعياد عيد الجلاء ، بمناسبة توقيع الاتفاقية المصرية الانجليزية عام ١٩٥٤ الخاصة بجلاء الجيوش الانجليزية عن مصر .

وقد وقعت اتفاقية الجلاء بين مصر وانجلترا الساعة ١٠ مساء يوم الثلاثاء ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ - ٢١ صفر ١٣٧٤ هـ فى البهو الفرعونى بدأ مجلس النواب فى القاهرة ، وقد وقعها بالنيابة عن حكومة مصر الرئيس جمال عبد الناصر ، واحتفلت البلاد احتفالات قومية بتوقيعها ، ومن الطريف أن يوم ١٩ اكتوبر ١٨٠١ وقعت فيه اتفاقية جلاء الجيوش الفرنسية عن مصر .

وقد دعا شيخ الأزهر إلى حفلة ابتهاج باتفاقية الجلاء ، وذلك بقاعة المحاضرات بمبنى الكليات الأزهرية فى الساعة السادسة يوم الاثنين ٢٧ من صفر ١٣٧٤ هـ - ٢٥ اكتوبر ١٩٥٤ ، وقد تحدث فيها شيخ الأزهر ، الشيخ عبد الرحمن تاج والشيخ

عبد اللطيف السبكى مدير التفتيش بالأزهر ، وألقى الأستاذ حسن جاد قصيدة بليغة من عيون الشعر :

قال شيخ الازهر من كلمته

الآن . . وقد مكنتم بحمد الله لمصر أمرها ، وثبتم لها عزتها ، وأزحتم الاجنبى عن ديارها ، وأعدتم اليها كامل استقلالها .

الآن . . وقد حللتم مشكلة مصر الخارجية فعليكم أن تعملوا على حل مشاكلها الداخلية ، وأن تسيروا فى خطة الاصلاح والانشاء الذى بدأتم فيها ، وقطعتم منها شوطا كبيرا . . بنفس العزم والقوة كى تنهض مصر الى المستوى الجدير بها والجديرة به ، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ولينصرن الله من ينصره ، والله قوى عزيز.

وألقى الاستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى مدير التفتيش بالازهر وعضو هيئة كبار العلماء كلمة حيا فيها قادة الثورة ، وقارن بين حياة مصر وشعبها المجيد الذى حكمه أبناؤه بعد أجيال من الاضطهاد والعذاب ، وبين ما كنا عليه فى العصور التى ابتلينا فيها بالغرباء الطغاة ثم قال :

وتهيأ لمصر ، ذلك الوطن الاسلامى الكبير ، نخبة من أبناء جيشها ، وتملكتهم العزة القومية ، وجاشت فى صدورهم الوطنية ، وقوى فيهم الاحساس بما تقاسيه مصر ، فاصبح كل منهم يسمع فى أعماق نفسه هاتفا ينادى : أن أنقذ مصر من عثرتها ، فاتحدت عزائمهم ، واستمدوا من هدى الرسالة المحمدية ما أوضح لهم السبيل ، ودفعهم إلى الغاية النبيلة فصرخوها صرخة مدوية : لبيك لبيك يامصر ، وكان لهم من جانب الله تاييد وتوفيق فبارك الله لمصر يومها العظيم ٢٣ يوليو ، وأبقاهم لشعب مصر حراسا أمناء ، ومصلحين أكفاء .

وهذه هى قصيدة الشاعر حسن جاد :

سنا فجره المأمول لاحت بواكره ... وهزت ربوع المشرقين بشائره
أطل على ليل الحيارى وأشرقت ... على ظلمات اليأس غرا منائره
وخف اليـــه الدهر يرهف سمعه ... ويزحم ركب النور فيمن يسايره
وطالعت النيل الســـعيد بصبحه ... متى طالما جاشت بهن خـــواطره
تزف بها بشرى الجلاء وعيـده ... فترقص فى شطيه نشوى أزاهره
وتعتنق الأرواح فوق ضفافه ... عرائس واد جن بالحسن سامره
على لهوات الطير من صبواتها ... طرائف شـدو أبدعتها حناجره

هو النيل والبشرى استخفت وقاره ... ترنح عطفاه وجاشت هوادره
وما فاض فى شطئانه غير فرحة ... تضيق بها يوم الجلاء سرائره
وما هو ماء مايفيض وإنما ... عواطفه جياشة ومشاعره
ثوى فى قيود الذل سبعين حجة ... يكاتم غيظا أو تثور ثوائره
وصابر الاستعباد مستأسد المنى ... يؤمل يوما أن تقال عواثره
تداركه فجر الخلاص بيمنه ... فصحت أمانيه وقرت نواظره
فمن رام الاستقلال فليشهد الحمى ... تغنت به أريافه وحواضره
ومن ضاق بالأغلال فالقيد حطمت ... سلاسله والغل لانت مكاسره
ومن ضل فى ليل المظالم سعيه ... فقد هتكت أستاره وستائره
ومن سره أن يشهد البعث ماثلا ... فهذى معانيه وتلك مظاهره
ومن شاقه يوم الجلاء وعيده ... فهذى مجاليه وتلك مناظره
كفى يومه أن الزمان بأسره ... أوائله يحسدنه وأواخره
رعى الله للوادى جمالا وصحبه ... أسوا جرح وادى النيل فالتأم ناغره
لقد صيروا حلم الجلاء حقيقة ... وكان سراباً يخدع العين ظاهره
وكان لتجار السياسة مغنما ... على سوقه السوداء قامت متاجره
وكم من ندى كان قصة لهوه ... يرددها مخموره ومقامره
فساد وظلم وانحلال ونكسة ... أصيب بها الوادى فضلت مصائره
وما كحمى الأخلاق حصن لأمة ... إذا نكبت فيه فماذا تحاذره ؟
وقد ينهض الشعب الجريح بروحه ... وليس يقوم الشعب ماتت ضمائره
تدارك رحمن السماء مصيره ... وطاحت بعرش الظالمين مقادره
مضوا يتساقون الندامة علقما ... وباءوا بشؤم طار بالنحس طائره
وأضحى كناس النيل غابا ممنعا ... تهاب بوازيه وتخشى قساوره
صناديد راع الظلم بأس زئيرهم ... فزلزل مغناه ودكت مقاصره
هى الثورة البيضاء ما شابها دم ... ولا فارقت غمد السكى بواتره
فقد بعثوا من رقدة الموت واديا ... أعدت له أكفانه ومقابره
فخل هراء المرجفين فما ثنى ... أخا العزم يوما جاحد الفضل ناكره
وقل للذى تعيشه أضواء نهضة ... مضى ليلك الداجى وولت دياجره

يحث الخطا للمجد موكب نورها ... ويدفعه قلب الحمى ويؤازره
سيبنى فلا يثنيه هدم معوق ... ويمضى فلا يلوى على من يكابره
ومن يجعل الإخلاص رائد عزمه ... إلى رفعة الأوطان فالله ناصره
بنى الشرق هذا الغرب ضل ضلاله ... وأعمته أطماع تظل تساوره
ودان بشرع الغاب بغيا وشرة ... فضلت عن الحق القويم بصائره
يعد أساليب الفناء بعلمه ... هل العلم أن يفنى من الكون عامره ؟
لقد عزه فى الشرق قوة روحه ... فراح بأنواع السلاح يفاخره
إذا العرب الأمجاد فيه توحدت ... صفوفهمو عادت أمانا مخاطره
وهذا زمان ليس فيه لأعزل ... مكان ولا يصغى لشكواه قاهره
فما ينفع المظلوم منطق حقه ... ومنطق سفاك الحقوق بواتره
إذا الذئب لم يسمع لغير ضراعة ... من الحمل الوانى فما هو عاذره
هو الحق لا يعطى لذلة طالب ... ولكن إذا ضجت غضابا كواسره
أسود الحمى حياكم الأزهر الذى ... يكبر للبشرى ويهتف شاعره
به مشعل النور استفاض على الحمى ... سناه وجاب المشرقين مسافره
وفى ساحه شب الجهاد تحوطه ... شريعة حق ما تزال تؤازره
تماثل للبعث الجديد وقد صحت ... أمانيه واهتزت رجاء منابره
ألح عليه السقم من طول يأسه ... وشقت من الحرمان مطلا مرائره
وأوهن عهد الظلم بأس شيوخه ... وكان أعز المالكين يحاذره
وصار يلقى الأمر من كل تابع ... وكانت على الحكام تلقى أوامره
أتنساه مصر وهى تفخر باسمه ... ويذكره بالقول لا الفعل ذاكره
وتمنع دون الجامعات حقوقه ... وتعطى كما شاءت مناها نظائره
إذا ما شكا قالوا عهدناه قانعا ... تقشفه فى العيش تروى مآثره
وإن ضاق بالحرمان قيل له اتئد ... وعلله بالزهد من لا يصابره
أليس لنا حق الحياة كغيرنا ... وأين سبيل العدل إن جار جائره ؟
مضى عهد تفريق الطوائف وانقضى ... وراح زمان الظلم ، لا عاد غابره
وأدركه عهد المساواة منصفا ... فهل يرتجى فى ظله اليوم كادره ؟

متى ينصفوه ينصفوا خير معهد موارده محمودة ومصـــادره
وإن تنهضوه تنهضوا بحماكمو ويزهى على الماضى ، ويعتز حاضره

وقال السيد جمال عبد الناصر بعد انتهاء كلمات المتحدثين : إخوانى رجال الأزهر :

أحييكم . . . وأعبر لكم عن سعادتى فى هذه الفرصة التى جمعتنا للاحتفال بجلاء قوات الاحتلال عن أرض الوطن فى رحبات الأزهر .

وفى هذه المناسبة العظيمة ، لا يسعنى إلا ان أذكر لهذا الأزهر جهاده على مر السنين ، فقد حمل الأزهر دائما الرسالة ولم يتخل مطلقا عن الأمانة ، وكافح كفاحا مريرا فى سبيل الحصول على أهداف الوطن . وكفاح الأزهر أيام الحملة الفرنسية معروف ، وكم قاسى رجاله ، وعذبوا وقتلوا وشردوا ، واقتحم المحتلون الأزهر فلم يتوان عن المطالبة بحقوق الوطن . . . واستمر الأزهر يحمل الرسالة حتى سلمها إلى الجيش ، وإلى عرابى الذى قام متسلحا بروح الأزهر المعنوية إلى جانب القوات المادية ، يطالب بحقوق البلاد . . . وعند ما وطئت أقدام المستعمر أرض مصر ، حاول بكل قواته أن يقضى على رسالة الأزهر ، كما حاولوا القضاء على الجيش وقوته ورسالته ، ورغم هذا ، استمر الأزهر على مر السنين يكافح . . فى ثورة ١٩١٩ حمل الأزهر العلم ، وقام بأداء الرسالة والأمانة مرة أخرى . وعمل المستعمر على تفريق الشعب شيعا وأحزابا وتحطيم الجيش وفصله وفصل الازهر عن الوطن .

واليوم وبعد أن قامت الثورة أقول لكم عليكم حمل الرسالة والامانة مرة أخرى فان أمامنا عملا شاقا طويلا ، وهذا العمل يطالبكم بأن تجاهدوا من أجل الاهداف الكبرى التى كافح من أجلها السابقون . ورجال الازهر على طول السنين .

إنتاج الأزهر العلمى فى العصر الحديث

فى مكتبات كليات الازهر الثلاث مجموعة كبيرة من الرسائل القيمة التى نوقشت فى الازهر ، وقدمها أصحابها للحصول على العالمية من درجة أستاذ ، ونال مقدموها هذه الدرجة العلمية الرفيعة ، وشغل بعضهم مناصب التدريس فى الكليات الازهرية

وكذلك فى مكتبات الكليات توجد طوائف كبيرة من رسائل حاملى شهادة التخصص القديم ، الذين تولى أكثرهم المناصب الادارية فى الازهر ومناصب التدريس فى الكليات والمعاهد الثانوية الازهرية .

وفى مكتب شيخ الازهر يوجد رسائل علمية قدمت لنيل عضوية جماعة كبار العلماء فى الازهر الشريف ، وهذه الرسائل على جانب كبير من الأهمية العلمية والدينية .

ولو عنى الازهر بنشر هذه الرسائل كلها ، أو جلها لسدت فراغاً كبيرا فى الثقافة الاسلامية ، ومثلت إنتاج الازهر العلمى فى العصر الحاضر فى صورة مشرقة زاهية — وهذه الرسائل إلى جانب ما نشره أساتذة كليات الازهر من دراسات وبحوث وكتب ثقافية وعلمية ، تمثل الازهر تمام التمثيل فى فترة من أعجب الفترات التى مر بها فى تاريخه الطويل .

والذين يشككون فى أهمية الازهر الثقافية والعلمية ، عليهم أن يطلعوا على إنتاج شيوخه العلمى قبل أن يحكموا له أو عليه ، وللأسف فان جل إنتاج الازهر العلمى لايزال مخطوطا ، وتحوى مكتبة الازهر على الكثير من المؤلفات المخطوطات التى ألفها علماء الازهر فى العصور السابقة ، وأغلب مؤلفات الازهريين المتقدمين قد ضاع أو بدد ، وما بقى منه يحتوى على كنوز ثمينة عظيمة القيمة العلمية .

وإذا كانت بعض مؤلفات علماء الازهر فى العصور القديمة قد كتبت باسلوب عتيق ، على الرغم مما فيها من ثروة علمية لا تقدر بقيمة ، فإن الامل معقود على أساتذة كليات الازهر ومعاهده لكى ينهضوا لتحقيق هذه الكتب ، وإخراجها فى ثوب علمى جديد ، حتى يتسنى للامة وللعالم الاسلامى الانتفاع بما فيها من ثقافات واسعة ذات قيمة كبيرة ، ولابد أن تقوم مطبعة الازهر الثمينة على نشر تراث الازهر العلمى القديم والحديث بإشراف وتوجيه جماعة من أفذاذ علمائه .

ومن بين رسائل الاستاذية المخطوطة رسالة نفيسة عنوانها : « أثر الازهر فى النهضة الادبية الحديثة » للأستاذ محمد كامل الفقى المدرس فى كلية اللغة العربية . ورسائل فى الادب والبلاغة وأصول النحو ومذاهب النحويين لاساتذة يحملون شهادة العالمية من درجة أساتذة ويتولون التدريس فى كلية اللغة العربية اليوم . . . ورسائل أخرى فى الفلسفة الإسلامية وأصول الدين ، وفى علوم الشريعة الاسلامية .

كلية اللغة العربية تنشىء صحافة أزهرية

أخرج الأديب موسى صالح شرف الطالب بكلية اللغة العربية مجلة باسم صوت لأزهر فى ٣ يناير سنة ١٩٥٣ — الموافق ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ ولا تزال

هذه المجلة توالى الصدور . . . وكتب المؤلف كلمة فى عددها الأول بعنوان « صوت الأزهر الخالد » وكانت المجلة تنشر مقالات وأحاديث للمؤلف أيضاً ، وقد خرج على اثرها مجلة أخرى فى كلية اللغة باسم « النهار » ، وفى الأزهر قبل هذه المجلة « مجلة الأزهر » وهى مجلة رسمية تمثل الأزهر ، وينشر على صفحاتها شيوخ الأزهر وأساتذته المقالات والأحاديث العلمية والدينية ، ويرأس تحرير هـــذه المجلة كبار العلماء فى الأزهر ، وهناك (مجلة نور الإسلام) وهى لسان حال وعاظ الأزهر الشريف وتؤدى رسالتها فى محيط الوعظ والارشاد . . وكونت فى العام الماضى أسرة للصحافة بكلية اللغة العربية وأصدرت جريدة حائط ، وفى هذا العام تخرج مجلة شهرية لأبناء كلية اللغة العربية ، وكونت لجنة للاشراف على هذه المجلة من حضرات الأساتذة أصحاب الفضيلة : الشيخ كامل حسن وكيل الكلية ، ومحمد عبد المنعم خفاجى ، وعبد الخالق سليمان ، وحسن جاد ، ويوسف البيومى . .

وتألفت لجنة من طلاب الكلية لاصدار هـذه المجلة مكونة من الأدباء : موسى صالح شرف وحسن عفيفى ومحمود محجوب ورشيد أبو الفتوح الليثى وعمر عطيه ومنجود محمد وكمال كامل حسن وأحمد الصاوى ، ويصدر العدد الأول من هـذه المجلة فى يناير عام ١٩٥٥ ! !

وقد أخذت المعاهد تسير على ضوء كلية اللغة العربية ، فصدرت مجلات أخرى لمعهد أسيوط ومعهد طنطا ومعهد دمياط .

الباب العاشر

شخصيات ازهرية معاصرة

الشيخ محمد عرفه

هو شيخ جليل ، ومفكر نابه ، له مكانته العلمية فى الأزهر ، وتلاميذه الكثيرون ولا نجد فى تاريخ حياته خيرا مما أرخ به هو لنفسه فى مقالة نشرتها له المصرى بعنوان « الدين والحياة والأزهر » فى يونيو عام ١٩٥٢ وهى من سلسلة مقالاته التى كتبها يرد فيها على الأستاذ أمين الخولى الذى نشر سلسلة مقالات فى « المصرى » ندد فيها بالأزهر وتأخره عن أداء رسالته ، قال الشيخ محمد عرفه :

كنت بصدد أن أثبت أن الأزهر شعر بحقيقة الدين المشرقة المتسامحة التى تدعو إلى الاخاء الانسانى والتعاون البشرى وانه تعدى دائرة الشعور إلى دائرة التنفيذ ، واستدللت ببحث كنت كتبته فى العلة فى مشروعية الجهاد ، أهى الكفر أم عدوان الكافرين على المسلمين ، فاستخلصت من بين الأقوال المختلفة أن العلة هى العدوان ، فالم يعتد المخالفون فى الدين على المسلمين فلا جهاد ولا قتال ، وبذلك كانت العلاقة الخارجية بين المسلمين وأمم الأرض هى السلم لا الحرب ويتبع ذلك ما يتبعه مما يكون بين المسالمين من المحبة والتعاون والاخاء ، وجمعت بين الأدلة المتعارضة الظاهرة على هذا الأساس من كتاب الله وأحاديث رسول الله ، فاستقامت كعكوب الرمح على توال واتساق ، وانى أعتز بهذا البحث وأرانى قد خدمت به المسلمين بخاصة والإنسانية بعامة ، وكنت أذيع هذا البحث فى دروسى ومجالسى .. وانما كنت بهذا الصدد لأرد على من قال ان الأزهر لم يشعر بالدين الاسلامى المنتظر الذى يدعو إلى الاخاء والتعاون ، وقد نبهته فلم يتنبه وهو لا يطمع فى التنفيذ . فكتب الأستاذ الشرقاوى فى « المصرى » يشكك فى قيمة هذا الدليل دون أن يبين الأسباب ، ونقل الكلام إلى أن الأزهر لا يشارك فى المواضيع التى تهم الأمة وليس كغيره من علماء الاديان الاخرى الذين يشاركون مشاركة فعلية وقولية فى كل شأن من الشئون وضرب أمثلة برجال الدين فى جزيرة قبرص حيث خطب أحدهم يطلب الانضمام إلى اليونان ودقت

الكنائس أجراسها احتفالا بالخطيب ، وذكر أن البابا طلب تعاون الاسلام والمسيحية لمقاومة الشيوعية وتحدث بذلك سفير مصر فى الفاتيكان ولم يحرك الازهر ساكنا ، والبعثة التى جاءت إلى الاديرة فى سينا لتحقيق الوثائق التاريخية لم يدرسها معها ولم يشارك فى هذا التحقيق .

وانى أقبل أن ينقل الحوار إلى هذه الناحية وأذكر أن الازهر شارك فى الاحداث الجسام فكان مهد الحركة الوطنية ومنبع الثورة فى سنة ١٩١٩ وظل مدة الثورة يلهب النفوس بالحماسة الوطنية ، وكان منبرا للخطابة وتوجيه الثورة ، وكان أهل الاقاليم يأتون إليه فيعمر قلوبهم بالإيمان الوطنى ، ويزودهم بالرأى الناصح والمشورة النافعة ، وقد نبه إلى ذلك اللورد ملنر فى تقريره . أما مسالة الشيوعية فانى أذكر انى قرأت فى الجرائد أن أساقفة الكنائس اجتمعوا تحت رياسة رئيس أساقفة كانتربرى وقرروا أن الشيوعية تخالف المسيحية لانها تنكر وجود الله والحياة الآخرة وتوقد نار الحرب بين الطبقات الخ . . فما ان قرأت ذلك حتى عرضت مبادئها على قواعد الدين الاسلامى وذكرت مواضع الخلاف ونشرت ذلك بعض الصحف .

وأرى المساجلة ستضطرنى إلى ذكر بعض ما شارك به الازهر فى المسائل التى تهم الامة فى شخص أحد أبنائه كاتب هذه السطور ، ولولا موضع الحجة لما استبحت ان أنطق بكلمة ، وانى أذكرها مع الخجل والاستحياء :

١ ـ رأيت الاسر المصرية كما قلت فى حينها سنة ١٩٢٢ بمدرجة السيول ، ومهب الرياح ، تفوضها الريح إذا هبت ويذهب بها السيل إذا جرى ، يبيع الرجل أو يشترى فيقسم على سلعته بالطلاق كذبا لترويج سلعته فاذا امرأته طالق — يغضب الرجل والغضب غول يغتال العقل فيطلق زوجته ثم يبقى نادما على بيت هدمه وابناء شتتهم — يطلق الرجل امراته ثلاثاً فى لفظ واحد فتبين منه ، ويندم ولات ساعة مندم .

رايت ذلك فنظرت فى الشريعة الاسلامية وأقوال الماضين فرأيت الرسول يقول: لا طلاق فى إغلاق — اى غضب — وإذا من الأئمة من يرى أن يمين الطلاق التى الغرض منها الحث على شىء او النهى عنه لا تقع طلاقا وإذا القرآن يوجب ان تطلق المرأة لعدتها طلقة واحدة وان تبقى فى بيت الزوجية ، فاذا بلغت الاجل فاما ان يعاشرها بالمعروف او يفارقها بالمعروف ، وعلل ذلك بقوله — لعل الله يحدث بعد ذلك امرا — فيعطف قلبه بعد نفور ، فجعل الله له سعة فى مراجعة ما كان منه ،

وكان الطلاق على عهد رسول الله وابى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث طلقة واحدة فامضاه عليهم عمر فكتبت ذلك كله فى مقال ونشرته بامضاء - م . ع فثارت ثائرة بعض المحافظين وردوا على ذلك ، ولكنها كانت حجرا ألقى فى الماء الراقد فنبهت الاذهان وفعلت فعلها حتى صدر قانون المحاكم الشرعية بعد ذلك مطابقا لكل ما اقترحته . . فان كان ذلك قد حفظ الاسرة المصرية من التداعى والانهيار وحفظ الابناء من الشتات والضياع ، فعندالله أحتسب ماصنعت وأدخر ماقدمت .

٢ - كتبت فى فتنة القبعة وكنت أريد أن احفظ على المسلمين شخصيتهم ، ورددت على القائلين أنها لباس المتقدمين فى العلم والحضارة ، فقلت ليس التقدم بتغيير لباس الرأس وإنما هو بتغيير مافى الرأس ، واعمدوا إلى رؤسكم فنظفوها من الخرافات وحلوها بالعلوم والمعارف بذلك وبذلك وحده تتقدمون .

٣ - حاضر الدكتور فخرى فهاجم الاسلام فى أمور كثيرة : منها جعله المرأة على النصف من الرجل فى الميراث ، فدعا الأزهر الشيوخ والنواب ورجالات العلم إلى سماع محاضرة فى قاعة المحاضرات بدار العلوم ، فقمت فالقيت هذه المحاضرة ، وكتب المرحوم الهباوى فى شانها يقول : هذه أول مرة يستمع الناس فيها إلى محاضرة تمكث ساعتين بدون سأم ولاملل .

٤ - زعم مرقص باشا سميكة فى التقويم السنوى للحكومية أن المعز لدين الله الفاطمى تنصر وقضى بقية أيامه فى كنيسة سيفين ، فكتبت أرد هذه الفرية بالادلة التاريخية القاطعة فلم يسع الباشا الا أن يعلن فى الصحف أنه أمام هذه الادلة يرجع عن رأيه .

٥ - كتبت فى تفسير آيات الاحكام وعرضت للوصية وما ثبت من أنه لاوصية لوارث ، وبينت أن صاحب المال قد يكون بعض أبنائه بررة به ، وبعضهم يعقونه ، فيريد أن يوصى للبررة بفضل فى ماله ، وهذه إرادة مشروعة عقلا فكيف يحرم منها وبينت بعض المذاهب التى تجيز ذلك وقد نشرت أمثال هذه البحوث بجريدة البلاغ ، فجاءنى المرحوم أحمد بك قحة - وكيل مدرسة الحقوق وقتئذ - وقال : جئتك على غير معرفة سابقة لأتعرف بك ، وقال لو كتبت الشريعة بهذا القلم لرفع الخلاف بين الشريعة والقانون .

٦ - كتبت كتاب نقض مطاعن فى القرآن الكريم للرد على الافكار التى كانت تذاع فى الجامعة مما تطعن فى القرآن الكريم ، ورددت على كتاب الشعر الجاهلى ،

وكتبت مقالات فى الرد على ضمير الغائب واستعماله اسم إشارة .

٧ ـ أخرجت كتاب « النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة » للرد على كتاب إحياء النحو ، وكتب بعض شيوخ الأزهر السابقين له مقدمة يظهر فيها الاعجاب والتقدير ، وذكر لى بعض أصدقائى أن رحالة من النحويين جاء إلى مصر ، وبحث عنى وقال : جئت إلى مصر وغايتى منها أن أرى صاحب كتاب النحو والنحاة . . .

٨ ـ كتبت السر فى انتشار الاسلام وهى رسالة كلفتنى بها جماعة كبار العلماء لحماية الاسلام وقد طبعها الأزهر وترجمت إلى اللغة الفارسية والصينية .

٩ ـ أخرجت كتاب اللغة العربية ـ لماذا أخفقنا فى تعليمها ـ وكيف نعلمها ـ هديت فيه إلى الطريق الطبيعى لتعليم اللغات عامة واللغة العربية خاصة ـ وقد نشر قبل ذلك مقالات فى مجلة الرسالة ـ وقد لخصه العالم الجليل عبد القادر المغربى ونشره فى مجلة المجمع العلمى بدمشق ، وقدم له بحث المدارس فى بلاد العرب على الاخذ بما فيه ليكسبوا ملكة التكلم والكتابة باللغة العربية . . .

١٠ ـ حملت على الشعر الفاسق حملة شعواء ، لأنه يزين الرذيلة والخمر ويفسد الشباب ، وكان ذلك فى حفل تأبين المرحوم شوقى بك وفى مؤتمر الثقافة العربية المنعقد بلبنان سنة ١٩٤٧ ، وطلبت أن تكون المختارات للطلاب فى دور العلم من الشعر العفيف وكان أيضا فى محاضرات ألقيتها فى مشاكل الشباب فى محطة الشرق الادنى ، وحملت على الأغانى الخليعة والروايات المفسدة للاخلاق والصور العارية فى المجلات والجرائد والنساء الكاسيات العاريات فى النوادى والشوارع ، وناشدت المجتمع أن يرفق بالشباب اذ يعرض أمامه كل هذه المفاتن ويطلب منه الصون والعفاف .

١١ ـ واليت أحداث مصر فكنت أكتب فى كل مناسبة أرى الرأى النافع فأدلى به وأدعو إليه فكتبت فى فتنة الزقازيق ودعوت إلى الصفاء والوئام بين عنصرى الأمة ، وبينت أن الاسلام جعل لهم مالنا من حقوق وعليهم ماعلينا من واجبات ، وكنت أكتب فى المناسبات الدينية كالهجرة والمولد ، وأحث على فضيلة اجعلها نصيحة العام ، وكنت أومن بالوحدة وبمنها وأكره الفرقة والانقسام فكنت أخوف منهما وأحث على التعاون والوحدة ، ولقد قلت فى بعض ما كتبت إنكم لو خسرتم كل شىء وربحتم الوحدة فقد ربحتم كل شىء ، وإذا ربحتم كل شىء وخسرتم الوحدة فقد خسرتم كل شىء

١٢ ـ كتبت رسالة الازهر فى القرن العشرين ودرست فيها الازهر وعلله

ووصفت له أداء رسالته ، وكان فيما عرضت له فيها - إضراب الشباب - فقد رأيت الشباب فى الازهر وفى دور العلم والجامعات قد هجر الدروس واعتاد المظاهرات والاعتداء على الاملاك العامة ، ورايت ان هذه الحالة تخرج جيلا جاهلا اعتاد الفوضى وعدم احترام القانون من حيث تجعل المدارس مكانا للتعليم والتربية والتعود على النظام واحترام حقوق الغير ، فإذا خرج هؤلاء واولئك عن الجادة فمن سنة الله ان يغلب العلم الجهل ، والنظام الفوضى ، والفضيلة الرذيلة ، وبحثت فى سبب ذلك وعلته فإذا هى السياسة الحزبية دخلت دور العلم وأخذ كل حزب فريقا يشغب به إذا اراد الشغب . وعلمت انى بذكر ذلك اغضب الاحزاب والحكومات التى تستند إليها فترفقت وبينت ان ذلك واجب دينى ، وانى اكون من الخائنين للامة وللشباب وممن يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى اذا كتمت هذه النصيحة ، فلم يجد كل ذلك فعزلت من وظيفة مدير الوعظ والارشاد فى سنة ١٩٤٨ لقيامى بهذا الغرض الدينى . النصيحة لله وللرسول ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وقد تبدلت العهود وولى الوزارة حزبيون ومستقلون ولم يغير هذا الظلم حزبى ولا مستقل ، كأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جرم لا تقال عثرته ولا تقبل توبته ، ولست فى ذلك بغاضب ولا متسخط بل ربما كنت راضيا بالقضاء فيه لما أرجو من ثوابه وجليل جزائه :

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

وإنما الذى أريد أن أقدم نصيحة أخرى ولا أدرى ماعاقبة هذه النصيحة أيضا

إن المنافسة كثيرا ما تكون بين أبناء الطائفة الوحيدة وكثيرا ما تكون غير مشروعه فيكيد بعضهم لبعض عند أولى الأمر ، ويصورون الناصح الشفيق بصورة العدو الضار ، ويزعمون الخير الصرف شرا بحتا ، ولو تنبه أولو الأمر لهذا الباب لما أصابوا بريئا .

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرضان من فرائض الاسلام كالصلاة والصوم ، فالعقوبة عليهما كالعقوبة على أداء الصوم والصلاة ، ولا يصح أن يكون ذلك فى بلد إسلامى كمصر .

إن العصر الحاضر لا يحترم شيئا كحرية الرأى ، لأنه يراها السبيل الوحيد لتقدم الانسانية ، وليس أدل على تأخر بلد من الحجر على الحريات ، فإذا شاءت مصر أن تكسب احترام الدول فلتعمل على احترام الآراء فيها . .

إن أولى الأمر فى مصر إذا ظلوا يخنقون الرأى ويضيقون بالنقد ، فان ليل التأخر

باق وطويل وفجر الاصلاح بعيد جد بعيد .

تلك شقشقة هدرت ثم قرت ، وثورة هاجتها الذكرى ثم سكنت فلأرجع إلى ما كنت فيه .

ماذا أريد أن أقول - أريد أن أقول هذه بعض مشاركات شارك بها فرد واحد من أفراد الأزهر فهل ترونها مشاركة عن فهم وإدراك وتبصر وشجاعة حتى إنها عصفت بصاحبها ، ورمت به خارج الأزهر ، هل ترونها حركات إصلاحية تولى صاحبها قيادتها وقام بتوجيهها ، وهل ترون فيها إنتاجا عقليا ينير عقول الناس ويتركهم خيرا مما كانوا ؟

فاذا كان هذا ماقام به أزهري واحد فهل يسوغ أن يقول قائل إن الأزهر لا يشارك الأمة في عواطفها ، ولا يقوم بحركة من حركات الاصلاح فيها ، ولا ينتج إنتاجا عقليا ينير العقول ويرضي النفوس . .

. . .

هذا والشيخ محمد عرفة من أكثر علمائنا نشاطا وإنتاجا وجهاداً وبلاء في سبيل الدين والأزهر

خدم الثقافة في الأزهر مدة طويلة ، ومنذ عام ١٩٣٠ اختير أستاذا للشريعة الاسلامية بكلية الشريعة ، ثم وكيلا للكلية ، ثم عضوا في هيئة كبار العلماء التي ألفت لنشر الدعوة في سبيل الله ولمقاومة التبشير ، ثم اختير أستاذا للفلسفة بكلية اللغة العربية ، ثم أستاذا للبلاغة في تخصص الأستاذية بالكلية نفسها ، واختير عضوا في مجلس إدارتها ، ومنح عضوية جماعة كبار العلماء ، ثم اختير مديرا للوعظ عام ١٩٤٦ وأنعم عليه بكسوة التشريف العلمية من الدرجة الأولى ، ثم اختير مديرا لمجلة الأزهر ثم اختير أستاذا ذا كرسي في كليات الأزهر الشريف .

وله كثير من المؤلفات والبحوث الذائعة ، كنقض مطاعن في القرآن الكريم ، ومؤلف في تفسير آيات الأحكام ، والسر في انتشار الاسلام ، والنحو والنحاة ، الذي منح به عضوية جماعة كبار العلماء ، وآخر كتاب له « مشكلة اللغة العربية » ، هذا إلى كثير من البحوث والمحاضرات والمقالات .

والأستاذ « عرفة » بحق عالم متضلع ، وباحث دقيق ، ومفكر واسع التفكير كثير الاحاطة بآثار القدامى وبشتى الثقافات الحديثة ، وهو من صفوة العلماء الذين يفخر بهم الازهر ، ويعتز بجهادهم العلمي ومكانتهم العلمية الكبيرة ، ويجمع إلى ذلك كله التواضع والنبل وعظمة الخلق وجلال العلماء ووقار المرشدين .

الشيخ صالح شرف

هو الشيخ الأستاذ الكبير صالح موسى حسن احمد شرف عضو جماعة كبار العلماء والسكرتير العام للأزهر الشريف .

ولد فى بنى عديات الوسطانية مركز منفلوط مديرية أسيوط يوم ٤ يوليو سنة ١٨٩٤ ، والتحق فى السابعة من عمره بمكتب الدردير وتعلم القرآن الكريم وحفظه وفهم أحكامه وتجويده وسنه لا تتجاوز الثالثة عشرة ، التحق بالأزهر الشريف فى المحرم ١٣٢٧ الموافق ١٩٠٨ ، وتلقى العلوم الدينية والعربية على أفاضل العلماء ، ومنهم الشيخ عبد الحكم عطا والشيخ حسن الحواتكى والشيخ أحمد هيكل والشيخ محمد حسنين والشيخ حسنين محمد مخلوف والشيخ يوسف الدجوى والشيخ حسن مدكور والشيخ البراد والشيخ عطا المرصفى والشيخ محمد البرادى ، ثم نال الشهادة الأهلية عام ١٣٣٥ هـ ، ونال جوائز مالية كانت تعدها مشيخة الأزهر للمتفوقين فى علوم التوحيد والفقه والأصول والإنشاء ، ونال الشهادة العالمية سنة ١٣٤١ الموافق ١٩٢٤ وكانت لجنة الامتحان مكونة من أصحاب الفضيلة الشيخ عطا المرصفى رئيسا والشيخ محمد السرتى والشيخ البراد والشيخ الغريبى والشيخ المرشدى والشيخ عبد المقصود الفشنى ، وحضر الامتحان الشيخ عبد المجيد اللبان والشيخ صادق عزام وحصل على الشهادة العالمية وكان ترتيبه الثالث من ١٤٣ متخرجا ، وعين إماما ومدرسا وخطيبا فى مسجد بمديرية المنيا ، ثم نقل من هذا المسجد إلى المسجد الأموى بأسيوط فى يناير ١٩٢٦ ودخل مسابقة امتحان فى التاريخ اعلنها الأزهر لاختيار مدرسين بالأزهر ونجح فيها بتفوق ، ثم عين مدرسا بمعهد أسيوط الدينى فى عام ١٩٢٧ ونقل فى عام ١٩٣١ إلى معهد الزقازيق ولكنه لم يمكث به الا شهرا ، ثم عاد إلى معهد أسيوط مرة ثانية ، ومكث مدرسا بمعهد أسيوط منذ تعيينه حتى عام ١٩٣٨ ، ونقل فى عام ١٩٣٨ إلى كلية أصول الدين للتدريس بها ، ثم انتدب وكيلا لمعهد الاسكندرية الدينى فى عام ١٩٤٤ ومكث بالمعهد سنتين ، وعاد إلى كلية أصول الدين مرة ثانية فى ١٩٤٦ ، ثم عين شيخا لرواق الصعايدة فى عام ١٩٤٨ ، وانتدب شيخا لمعهد أسيوط الدينى فى عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٢ ، وعين عضوا فى جماعة كبار العلماء فى عام

١٩٥١ ورجع إلى كلية أصول الدين فى عام ١٩٥٢ .

عين سكرتيرا عاما للجامع الأزهر والمعاهد الدينية فى عام ١٩٥٣ وعين عضوا بالمجلس الأعلى للأزهر فى اكتوبر ١٩٥٤ ، ولا يزال يلقى المحاضرات العلمية على طلبة كلية أصول الدين .

الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد

من كبار الشيوخ الأزهريين ، وأكثرهم إنتاجا وتأليفا ، وأذيعهم شهرة وذكرا فى العالم الاسلامى ، والكتب التى حققها ونشرها وألفها تزيد اليوم على مائة كتاب ومن بينها العديد من الكتب الدراسية فى الأزهر الشريف ، وطائفة من أصول كتب البلاغة والتاريخ والأدب والنقد .

والشيخ محمد محيي الدين يتولى اليوم مشيخة كلية اللغة العربية إحدى كليات الازهر الشريف ، وقد تخرج من الازهر الشريف عام ١٩٢٥ ، وتولى التدريس فى الازهر ثم اختير أستاذاً فى كلية اللغة العربية منذ إنشائها ثم وكيلا لها ، ثم ندب مفتشا بالأزهر الشريف ، فاستاذا لكرسى الشريعة الاسلامية فى كلية غردون بالخرطوم ، ثم أستاذا للفلسفة فى كلية أصول الدين ، ثم رئيسا للتفتيش على العلوم العربية والدينية فى الازهر ، ثم عميدا لكلية اللغة العربية ، وكان والده من خيار الشيوخ الازهريين وتولى قبل وفاته منصب مفتى وزارة الاوقاف وكانت له فى الناحية الدينية والاسلامية آثار عديدة .

وقد مثل الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد الازهر فى كثير من المؤتمرات الأدبية والثقافية والدينية ، وهو فى طليعة الشيوخ الذين لهم فقه باللغة العربية وأصولها وآدابها ، وفى مقدمة الأساتذة الذين شاركوا فى دعم كيان الازهر العلمى فى نهضته الحاضرة .

الشيخ محمود شلتوت

هو أحد أعضاء جماعة كبار العلماء البارزين ، وله الكثير من الانتاج العلمى والدينى القيم ، وطائفة من المقالات والأحاديث الاسلامية الجديدة فى أسلوبها ومنهجها وطريقة تفكيرها . . والشيخ محمود شلتوت من أسير علماء الأزهر ذكرا ، وأذيعهم شهرة ، وأكثرهم تقديراً من شتى البيئات العربية والاسلامية ، وقد تخرج من الازهر من نحو ثلاثين عاما ، وعين مدرسا فيه ، ثم أستاذا فى كلية الشريعة

الإسلامية ، فوكيلا لها ، ففتشا فى الأزهر الشريف ، فعضوا فى جماعة كبار العلماء ، وعضوا فى لجنة الفتوى بالأزهر ، فرافبا عاما للبحوث والثقافة فى الأزهر ، وقد مثل الأزهر فى كثير من المؤتمرات العربية والإسلامية ، وهومن تلامذة الشيخ عبدالمجيد سليم الأوفياء ، وممن درسوا أفكار الامام محمد عبده الاصلاحية التجديدية وتأثروا بها .

الشيخ محمد كامل حسن

فى عام ١٩٣٦ اختير الشيخ أستاذا فى كلية اللغة العربية من بين زملائه أساتذة المعاهد الدينية ، وسمعنا منه الكثير من المحاضرات فى شتى العلوم العربية ، وتلقى عليه كثيرمن الذين تخرجوا فى الكلية والتحقوا بشتى المعاهد والمدارس ، وقد راعنا من الشيخ سعة أفقه ، ودماثة خلقه ، ووداعة نفسه .

وفى عام ١٩٤٨ اختير - ثقة به - للتفتيش فى الازهر فى العلوم الدينية والعربية ،

وفى عام ١٩٤٩ اختير وكيلا لكلية اللغة العربية بعد وفاة وكيلها الخالد الذكر المغفور له الشيخ محمد أبى النجا ، وبعد أن ذهب وفد من أساتذة الكلية وعميدها آنذاك إلى شيخ الازهر المغفور له الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى يطلبون منه اختياره لوكالة الكلية ، وقالوا له : إنه سيكون خير خلف لخير سلف ، فاستجاب شيخ الازهر مسرورا لهذه الرغبة ، وتم ذلك بقرار مجلس الازهر الأعلى الصادر فى مارس سنة ١٩٤٩

وقد وقف الشيخ حياته على خدمة الكلية ، ورفع مستواها العلمى والادبى فى إخلاص ومحبةوصدق وتعاونمع الجميع ، وقد عدلت مناهج الكلية مرارا بإشرافه حتى سايرت أحدث المناهج فى كليات الاداب والتربية الجامعية المختلفة . . وقد مثل الازهر والكلية فى كثير من المناسبات وكثير من اللجان ، فكان يرفع دائما من كرامة الازهرى ، ويعزز الثقة فيه ، مع تواضع المعتز بنفسه . وكثيرا ما يعلل الشيخ فلسفته فىالتواضع بهذه الحكمة : « إنما يتدلى من الشجرة فرعها المثمر » .

وقد ولد الشيخ فى يوم ٦ من يونيه سنة ١٨٩٥ وكان والده أزهرى النشأة ، فعنى بتربيته وتحفيظه القرآن الكريم ليكون طالبا بالازهر ، وأتم تجويد القرآن فى الازهر سنة ١٩١٠

وفى سنة ١٩١١ انتسب إلى الازهر طالبا فى بدء النظام الذى وضع له القانون رقم ١٠ عام ١٩١١ وعرف بنظام الشيخ محمد شاكر ، لأنه الذى وضع أسسه ورسم خططه وبدأ بتنفيذه واختار له المدرسين النابهين النابغين ، وكان لهذا النظام ثلاث مراحل (ابتدائى وثانوى وعال) ومدة كل مرحلة خمس سنوات دراسية ـ لهذا كان أول فوج تخرج فى هذا النظام سنة ١٩٢٥ ، وكان الشيخ من أوائل الناجحين فى جميع سنى دراسته بهذا النظام

وعين مدرسا سنة ١٩٢٥ عقب تخرجه بمعهد طنطا ، ثم نقل إلى معهد دسوق ثم الزقازيق .

وكان فى كل مكان قدوة عالية لرجل الدين المثقف المستنير ، الحريص على أداء رسالته ، وعلى تعزيز ثقة المجتمع به ، ورأس لجان الامتحان للشهادات الازهرية الكبرى ، فكان مثالا عاليا للنزاهة والكفاية وحسن السمعة بين الناس ، ومع أعماله الادارية الكثيرة فهو يشغل اليوم كرسيا علميا فى الكلية ويقوم بنشاط علمى كبير محمود بين الاساتذة والطلبة ، ويعده الطلاب أبا روحيا ، كما يعده الأساتذة زميلا حميما لهم ، وقد حاز ثقة شيوخ الازهر على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم ، ونوهوا بكفايته وأمانته وحرصه على أداء الواجب فى مناسبات كثيرة ، وقد شهدت الكلية منذ عام ١٩٥٣ نشاطا رائعا بفضله وتوجيهه ، وشهدت فى أوائل عام ١٩٥٤ ميلاد صحيفة يومية داخلية كاملة يكتبها الطلبة بايديهم ، وميلاد صحف مطبوعة ، وذلك بفضل يقظته وتوجيهه ورعايته . . . والشيخ من أحب علماء الازهر إلى قلوب الناس والطلاب ، وهو فى ورعه وتقواه قدوة طيبة .

الشيخ حسين خفاجى

كان والده السيد محمد خفاجى (١٢٧٧هـ - ١٩٤٠م) من كبار الصوفيين الزاهدين فى ثغر دمياط ـ وقد ولد الشيخ حسين فى يونيو عام ١٨٩٦ ، وتخرج من الازهر فى فبراير عام ١٩٢٣ بعد أن نال العالمية بتفوق ، وتنقل فى الوظائف الادارية بالازهر الشريف ، وهو اليوم كبير المراقبين فى كلية الشريعة الاسلامية ، التى اختير لها منذ إنشائها ، وله فيها أياد تذكر بالتقدير من جميع شيوخ الازهر الشريف ...

ترجمة المؤلف

فى كتاب بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والادبى التراجم المستفيضة للعلماء والادباء الخفاجيين فى شتى العصور إلى العصر الحديث ، بما فيهم المؤلف ، وقد صدر منه تسعة أجزاء ، وسيطبع باقى الكتاب فى ستة أجزاء أخرى .

ويصدر الاديب الكبير حليم متى كتابا ضافيا واسعا ، يترجم فيه للمؤلف ، ولآثاره العلمية والادبية ، وسيصدر خلال هذا الشهر

الشيخ عبد المتعال الصعيدى

من الشيوخ الثائرين فى الازهر ، ذوى الاراء الاصلاحية التقدمية ، وهو من بينهم يمتاز بميل إلى التجديد ، وعكوف على البحث والتأليف .

ولد(١) فى قرية « كفر النجبا » من أعمال مركز أجا بمديرية الدقهلية عام ١٣١٣ هـ - ١٨٩٤ م ومات والده وهو ابن شهر ، فكفلته والدته ، وتعلم فى كتاب القرية .

ثم انتسب إلى الجامع الاحمدى ، فدرس فيه على النظام الحديث وأظهر تفوقا فى الدراسة ، ويقول فى ترجمته لنفسه فى تاريخ الاصلاح فى الازهر(٢) :

تابعت دراستى فى جد واجتهاد ، حتى كنت أول الناجحين فى أغلب سنى الدراسية ، فإذا لم أكن الأول كنت الثانى أو الثالث ، لأنى كنت على انتقادى الآن لطريقة التدريس القديمة آخذ نفسى بأقصى مانصل إليه فى البحث اللفظى والمعنوى ، حتى كان الدرس يمضى فى عراك علمى بينى وبين المدرس ، ولهذا كنت موضع تقدير أساتذتى وحبهم ، ومن أشهرهم الشيخ محمد الشافعى الظواهرى ، والشيخ محمد الأحمدى الظواهرى . ولكنى كنت مع هذا شديد الشغف بمطالعة كل ماتظهره المطبعة من كتب الأدب والفلسفة وغيرها ، فكنت أطالع كل كتاب قديم أو حديث تظهره المطبعة ، وأطالع المجلات العلمية والأدبية ، وكذلك الجرائد اليومية ، ولاسيما جرائد الحزب الوطنى الذى كان يقوم بالجهاد السياسى فى ذلك الوقت ، فكنت أتلقى فى هذه الجرائد دروس الوطنية ، وكانت تغرس فى نفسى حب الجهاد فى سبيل الوطن ، ولقد

---

(١) ص ٩٠ تاريخ الاصلاح فى الازهر للصعيدى - الطبعة الاولى .

(٢) ص ٩٣

كنت وأنا تلميذ بالكتاب آخذ نفسى بالمطالعة ، فكنت أطالع الكتب القصصية الشائعة فى القرى ، ولا سيما قصة عنترة العبسى ، فقد طالعت فيها كثيراً ، وأعدت قراءتها نحو أربع مرات ، ولعل هذا هو الذى ربى فى حب المطالعة بعد أن صرت طالباً بالجامع الأحمدى ، وقد أخذت شهادة العالمية على النظام الحديث فى سنة ١٩١٨ م (١٣٣٦ ﻫ) ، وعينت فيها مدرساً بالجامع الأحمدى بعد امتحان مسابقة جرى بين أكثر من مائة عالم نظامى فى نحو عشر وظائف ، فنجحت فيه أنا وعالم آخر ، وسقط فيه الباقون لصعوبته .

وألف كتابا سماه « نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف » ، وأهم بحوثه كما يقول الشيخ نفسه :

١ ــ كلمة فى نقد قانون التخصص .

٢ تمهيد فى بيان الحاجة إلى الاصلاح ، وفائدة العلوم الحديثة فى الدفاع عن الدين ، وفى بيان قصور النظام الحديث عن الاصلاح المطلوب .

٣ ــ الموازنة بين العهد القديم والنظام الحديث ، وخلاصتها أن الفرق قليل جداً بينهما ، لأن النظام الحديث لا يزال يعتمد على كتب العهد القديم ، وعلى طريقة التدريس القديمة ، ولا يمتاز النظام الحديث عن العهد القديم إلا بدراسة بعض العلوم الحديثة التى تدرس فى المدارس الابتدائية والثانوية ، وهى دراسة ناقصة لا تناسب المعاهد الدينية ، ولا تحقق الغرض المقصود منها فيها ، وهو استخدامها فى الدفاع عن الدين ، وكان الواجب أن تدرس على نحو ما تدرس فى الجامعات الكبيرة فى أوربا ، لأنها تدس فيها دراسة جامعية ، ولا يصح أن يقصر الأزهر فى دراستها عن هذه الدراسة ، لأنها هى التى تليق بأقدم جامعة علمية دينية .

٤ ــ نقد كتب الدراسة ، وخلاصة نقدها أنها من كتب المتأخرين ذات المتون والشروح والحواشى والتقارير ، ولما كانت متونها غامضة معقدة فدراستها تقوم على أساس فهم عبارات هذه المتون ، فهو الذى يقصد فيها أولا وبالذات ، أما فهم مسائل العلوم والتمرين عليها فلا يهتم بها كما يهتم بفهم عبارات المتون ، وهـــذا إلى أن هذه الكتب تسلك طريقة واحدة فى التأليف ، وخلط مسائل العلوم بعضها ببعض ، فلا تتدرج فى هذا للطلاب بل تأخذ المبتدئين بما تأخذ به المنتهين ، وقد كان لتعقيدها أسوأ أثر فى طلاب المعاهد الدينية ، لأنه يظهر فى أسلوب كتابتهم ، ويحول دون

النهوض به بتعليم الانشاء ومطالعة كتب الأدب ، ولا يراد من هذا أن نرجع إلى كتب المتقدمين ، بل يجب أن نعتمد فى الدارسة على كتب تؤلف فى هذا العصر الحديث ، وتفتح باب الاجتهاد فى الدين والعلم .

٥ — نقد طريقة التدريس ، وخلاصة نقدها أنها طريقة تلقينية تقليدية، لاتعنى بتربية ملكة الفهم الصحيح ، ولا بإعداد الطلاب ليكون منهم علماء وحكماء يرفعون منار العلم فى الدنيا ، ويتحدث العالم بعلمهم ، كما كان يتحدث بعلم أسلافنا فى الماضى ، وكما يتحدث اليوم بعلم أهل أوربا .

٦ — نقد العلوم القديمة ، وخلاصة نقدها أنها علوم جامدة لاتزال على حالها منذ سبعة قرون ، وليس فيها أثر للتجديد الذى تناول كل شىء فى عصرنا ، وقد كان علماؤنا الأولون يجتهدون فيها ويجددون فى كل عصر من عصورهم ، فيجب أن نجتهد فيها ونعمل على تجديدها فى عصرنا .

٧ — نقد نظام التعليم ، وخلاصة نقده أنه لايتدرج بالطلاب فى مراحل التعليم، بل يبدأ بالكتاب الأقل حجماً وإن كان أصعب فهماً ، ويبدأ بالعلوم التى اعتيد البدء بها فى العهد القديم ، وإن كان الواجب تأخيرها والبدء بغيرها ، وكذلك يجعل مدة الدرس واحدة فى كل مراحل التعليم ، ويأخذ المبتدئين فى هذا بما يأخذ به المنتهين .

٨ — إهمال التخصص فى العلوم ، وخلاصة ماجاء فيه أن النظام الحديث اتبع العهد القديم فى تخريج علماء يأخذون كل العلوم التى يدرسونها بنسبة واحدة ، فلم يحاول أن يوزعها فى آخر مراحل التعليم على الطلاب ، ويجعل منها شعباً يتخصص الطلاب فيها ، ليعيدوا عهد التخصص فى علمائنا الأولين ، ويتخرج منهم أئمة نابغون فيما تخصصوا فيه ، ولا يكون هذا على نحو ماجاء فى قانون التخصص السابق ، لأنه لايفيد فى تخريج أولئك العلماء النابغين .

٩ — نقد طريقة الانتساب إلى المعاهد الدينية ، وخلاصة نقدها أنها تجرى على الطريقة القديمة من الاكتفاء بحفظ القرآن ، ومعرفة القراءة والكتابة ولو أقل معرفة ، فيجتمع بها فى السنة الأولى أصناف من الطلاب يتفاوتون تفاوتاً كبيراً فى استعدادهم ، ولا يمكن أن ينتظم سير التعليم بمثلهم .

١٠ — نقد طريقة الامتحان ، وخلاصة نقدها أنه يجرى على طريقة التدريس، فالامتحان الشفوى يقصد منه اختبار الطلاب فى فهم عبارات الكتب ، والامتحان

التحريرى يقصد منه معرفة تحصيلهم لها ، وحفظهم لمسائلها .

١١ — إهمال تعليم اللغات ، وإرسال بعثات إلى أوربا ، وإنشاء ناد ومجلة للأزهر والمعاهد الدينية ، وإنشاء مجمع علمى ولجنة تأليف ، وإنشا مطبعة لطبع كتب الدراسة طبعاً صحيحاً . وهذه هى أهم أبواب ذلك الكتاب ، وهو يقع فى ستين ومائة صفحة ، وقد طبع عام ١٣٤٢ هـ .

وقد سبق الشيخ الأحمدى الظواهرى أن نقد نظام التعليم فى الأزهر فى كتابه « العلم والعلماء ونظام التعليم » ، الذى كان من أهم بحوثه أبواب أربعة :

فالباب الاول فى العلماء ، أخذ المؤلف فيه على العلماء أنهم لايعرفون شيئا سوى مناقشات الفنون والكتب التى يدرسونها ، فلايعنون بمطالعة الجرائد والمجلات العلمية ، ولايعرفون شيئا من اصطلاحات الناس وعاداتهم وغير ذلك من أمورهم ، ولايميلون إلا إلى ماوجدوا عليه من قبلهم ، لانهم لايرون الكمال إلا فى علومهم ومعتقداتهم وكتبهم وطرق تدريسهم وسائر أحوالهم .

والباب الثانى فى المدارس الدينية — الازهر والمدارس الملحقة به — وخلاصة ما جاء فيه أن هذه المدارس صارت لا فائدة فيها ، وأصبحت لاتؤدى وظيفتها للعالم الإسلامى ، لاختلال نظامها ، وفساد طرق التعليم فيها ، فيجب إصلاحها بحمل طلابها على المطالعة ومعرفة نظم الاشياء وحقائقها ، وما فى هذا العالم من شرائع وديانات ، وما إلى هذا من الاصلاحات التى جاءت فى هذا الباب .

والباب الثالث فى العلوم ، وقد عاب فيه طرق دراستها ، ورأى أن يضاف إليها كثير من العلوم الحديثة وتاريخ الملل والمذاهب والآراء واللغات الاجنبية ، ورأى أيضا أن يؤلف فيها كتب حديثة ملائمة لهذا العصر ، وذكر أن الكتب التى تدرس فيها لا تختار من جيد ما ألفه السلف ، وإنما تختار من الردىء القليل الفائدة .

والباب الرابع فى طرق التعليم ، وخلاصة ما جاء فيه أن منتهى الكمال فى هذه الطرق هو التفنن فى فهم عبارات المتون ، وإيراد ما لا يحصى من المعانى فى فهمها ، والاكثار من الاعتراضات والاجوبة عنها ، وهى طريقة معيبة لا تهتم إلا بهذه المباحث اللفظية ، ولا يعنيها تفهيم الطلاب مسائل العلوم فى ذاتها(١) . . وقد تخرج الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى من الأزهر عام ١٩٠٢ وتولى المشيخة عام ١٩٢٩ ، واستقال منها عام ١٩٣٥ ، وتوفى فى ٢٠ جمادى الاولى ١٣٦٣هـ - ١٣ مايو ١٩٤٤ .

---

(١) ١٢٠ تاريخ الأصلاح فى الازهر .

وقد استمر الشيخ عبد المتعال الصعيدى مثابرا على البحث والتأليف ، وأخرج العديد من الكتب ، ولما أنشئت كلية اللغة العربية نقل اليها مدرسا بعد قليل، ومن إنتاجه كتبه هذه .

بغية الايضاح لتلخيص المفتاح ٤ أجزاء ، الكميت بن زيد شاعر العصر المروانى تجديد علم المنطق فى شرح الخبيصى على التهذيب ، شباب قريش فى العهد السرى للاسلام ، الميراث فى الشريعة الاسلامية والشرائع السماوية ، لماذا أنا مسلم ، النحو الجديد ، القضايا الكبرى فى الاسلام ، السياسة الاسلامية فى عهد النبوة ، النظم الفنى فى القرآن ، فى ميدان الاجتهاد ، الوسيط فى تاريخ الفلسفة الاسلامية ، المنطق المنظم فى شرح الملوى على السلم ، تعليقات على شرح السراجية فى الميراث ، دراسات إسلامية ، المجتهدون فى الاسلام ، تاريخ الاصلاح فى الازهر ، الآجرومية العصرية ، زبد العقائد النسفية مع شرحها وحواشيه ، البلاغة العالية فى علوم البلاغة ، أبو العتاهية الشاعر العالمى ، الفقه المصور فى أحكام العبادات ، زعامة الشعر الجاهلى بين امرىء القيس وعدى بن زيد ، روائع النظم والنثر ، نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف .

إلى كتب أخرى مخطوطة لم تقدم للطبع ، وكتب أخرى لم ينته من تأليفها .

السيد حسن القاياتى

من علماء الأزهر الشريف ، ومن الشعراء النابهين فى الشعر العربى الحديث ، وهو(١) حسن بن محمد بن عبد الجواد بن عبد اللطيف ، زعيم بيت القاياتى ، بيت مصر الوسطى : الجيزة ، وبنى سويف ، والمنيا ، والفيوم . وعضو المجمع اللغوى ، وشيخ رواق الفشنية فى الأزهر الشريف ، ينتهى نسبه من جهة أبيه ، إلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبى هريرة رضى الله عنه . ومن جهة الأم إلى الحسن السبط رضى الله عنه . وبيت القاياتى أشبه البيوت الدينية بالزوايا التى كان لها بالأوطان الاسلامية فى العهود المتوسطة شأن مذكور . — وما يزال — محط رجال الوافدين من الواحات ، ومن بلاد المغرب ، ومن أقاليم مصر الوسطى . يلقون فى ربوعه الكريمة ، وفى رحابه الفيح وفى سماحته الطبيعية ، عودة الغريب إلى وطنه

---

(١) من بحث نشر عنه فى مجلة الأزهر بقلم الشيخ عبد الجواد رمضان .

والنازع إلى عطنه ، والطائر إلى فننه . وهو — إلى أنه بيت دين وكرم بيت علم وأدب وسياسة ، فمن أعلام علمائه : السيد أحمد عبدالجواد أحد علماء الأزهر وشيخ الفشنية فى القرن التاسع عشر ، والسيد عبد العظيم محمد زعيمه السابق ، وكل رجاله أدباء ، ولهم فى السياسة المصرية مقام مشهود ، فالسيدان : محمد وأحمد عبد الجواد فى الصف الأول من زعماء الثورة العرابية ، وكان حظهم من آثارها النفى إلى سوريا الشقيقة لمدة أربع سنوات . والشيخ مصطفى القاياتى . وخلفه شقيقه السيد ابراهيم شيخ الفشنية السابق : وعلى الجملة : لم نجد فى مصر حركة وطنية أو دينية ، لم يبذل فيها بيتا القاياتى فى القاهرة وفى « القايات » أوفى قسط من الجهود الأدبية والمادية بذل السخى المسماح . والسيد حسن القاياتى ، من لدات الشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ محمود أبى العيون .

ولقد مضى السيد حسن القاياتى فى شعره بجزالة الأسلوب الشعرى وفخامته ، وشرف المعنى ودقته .

ومن شعر يتناول القاياتى فيه بيت عبد الرازق ، فيقول :

يا مصطفى أمل الحجا فى أمة خطبت حجاها
فطر الملائك ربهـا فى مثل خيمك ، واحتذاها
الشمس بيتك ، والعلا تنهل عارفة وجاها
عرفوا أباك فسدتهم والشمس ما عرفوا أباها
إن تعـل أسرة نابه فتعرفوا : من والداها ؟
للدين بيت ثقافـة للجامعات وما بناها
فى هدى طـه يعتلى ناديك ، أم فى علم طه ؟!

ويعرض القاياتى للازهريين فيقول فى القصيدة نفسها

يا سيدا عصفت به شيم الجلالة وابتناها
فتكت بنفسك عزة كالنار يتلفها لظاها
كرم أحل بربه تلف الأزاهر فى نداها
ضحك الغواة لنبله فبكى الفضيلة وافتداها
أنف الهوان بساحة البدر يشرق فى ذراها

ومن شعره فى الغزل :

إن فى الغادين منى طفلة قام بدع الحسن منهـا وقعـد
صورت من جوهر الشمس فما هى إلا ريق النور جمد

أوقد الحسن على وجنتها ... جمر قلبي ، فتلظى وانقد
يعكف الطرف عليها مغضيا ... قد رأى قبلة حسن فسجد !
لا يراني الله إلا ذاكرا ... ليلة التوديع ، والبين يعد
أقبلت والليل يرنو نجمه ... نظرة الزنجي حقدا أو كمد
لا أذم البين ظلما ، وفم ... من فم دان ، وخد فوق خد
تمسح الدمع غزيرا بيد ... ثم تدنيني إلى الصدر بيد
أرشفتني ريقة قد بردت ... من ثناياها بحبات البرد

ومن وطنياته قوله في حرب طرابلس « من مقصورة » :

أكيدا لنا يا باعثات العدا ؟ ... دعوا البيض مركوزة والقنا
نصحا لكم . لا تهجوا الأسود ... وقد يرسل النصح لا عن هوى
جنيتم وغى ، فاجتنوا صابها ... فان لكل امرىء ما جنى
أبينا سوى خطتي عزة ... فإما المعالي ، وإما الردى
نجود بأرواحنا لائنتين ... غداة الوغى وغداة الندى
زعمتم طرابلس ملكا لكم ... ألا ما أحب حديث المنى !
ترون السماء ، فهل تدنى ... لأيديكمو ؟ هي تلك السما !
أجدتم طعان المواسي الرقاق ... فأما طعان العوالي فلا
وقد تحسنون لقاء الظباء ... ولا تحسنون لقاء الظبا
رويدا عديد الدبى ، تمطروا ... من النبل مثل عديد الدبى
كأن تدارك وقع النبال ... عليكم تدارك وقع الحصا

ومنها :

ألا يضحك الناس من زائغ ... يرى المهتدين سبيل الهدى ؟
ومن مستطيل كفور الفؤاد ... يحاول مسعاة أهل التقى ؟
أللعدل جئتم ؟ معاذ الاباء ... متى عرف العدل فيكم ، متى ؟
أجودا على العرب الطاعمين ... وفي داركم كل بادي الطوى ؟
وبرا بقاصية العالمين ... والبر أولى به من دنا ؟

وما أصدق ما قال السيد ، في أمم الغرب بعامة ، لا في الطليان بخاصة !

والسيد حسن — إلى أنه شاعر مخل — كاتب بليغ ، يتوخى طريقة مزاجا من مذهبي الجاحظ وابن العميد في الكتابة : جزالة فخمة ، مع الترسل حينا ، ومع السجع

المطبوع حينا ، ويبطىء بقلمه عن المرانة والسرعة التى تستدعيها طبيعة العصر، إباؤه على التبذل ، وسموه عن الاتجار فى أسواق الحياة . ولولا ذلك لعد فى العشرة الأوائل من كتاب الشرق العربى .

ويقول فيه الشيخ عبد العزيز البشرى : لو تهيأ للبيان ان يتمثل خلقا ، لما جمع بيان السيد حسن القاياتى ، إلا على صورة صاحبه ، وفى مثل شكله ودله ، سواء بسواء ولو لم يكن قدر لى أن أرى السيد حسنا ، ثم رأيته ، بعد أن نهلت من بيانه ، لخيل إلى أنى أتهدى وحدى إلى أن هذا الانسان ، صاحب هذا البيان ! عرفت السيد من صدر أيام الطلب فى الازهر ، وسرعان ما امتد بيننا حبل المودة فكان من يوم منجمه — وصل الله فى عمره — يرسل الكلام ، ويقرض الشعر ، إذ شعره وإذ نثره صورة صادقة حق الصدق ، لسهولة نفسه ، وجزالة طبعه ، وحلاوة خلقه ، بل إنك لتحس فى بيانه بالحياء الذى تحسه فيه نفسه .

بعد هذا ضع بيان السيد حسن القاياتى ، حيث يحلو لتقديرك . ضعه فى الدرجة الاولى أو ما فوقها ، أو تخلف به عنها ، فلكل من الناس مذهبه فى تقدير أصحاب الفنون ، ولكنك على أى حال تراك مرغما على أن تقضى بأن بيان السيد حسن إنما هو صورة تامة الصدق لما يعتلج فى نفسه ، وما يتدسى فى أطواء قلبه ، وهذا الضرب من أهل البيان قليل . ! ! وهذه المزية ولك أن تدعوها الموهبة ، إنما تنشأ فى أصلها بالفطرة ، وتنجم مع الطبع ، ما يجدى فى خلقها تفكير ولا تهذيب ، على أنها تربو وتستحصد بعد ذلك بطول التدريب والتمرين ، حتى ما يجد صاحبها فكاكا من صدق التعبير عما يحيك فى نفسه من نزعات الاحساس ، وكذلك السيد حسن القاياتى . ولعل مما أبلغ السيد حسنا هذه المنزلة ، بعد توفر الأمرين له ، أنه نشأ فى بيت حسب ، فهو يأنف من أن يرائى الناس ، ويبادلهم بما يراه حقا ، وأن الله تعالى بسط له فى الرزق فهو غنى عن ترضى الناس بالحق وبالباطل ! ! ! طلباً للمنزلة فيهم ، والتماساً للمعروف عندهم . هذا إلى أنه رجل رقيق الحس ، مهذب العاطفة ، جميل منزع النفس ، ومن كان له كل هذا ، فهو أجل محلا من أن يكذب على عواطفه ، ويفترى على ما يجول فى صدره من نوازع الوجدان . يدلك على هذا من بيان السيد ، إن كنت محتاجاً فيه إلى بيان ، أنك تراه يتغزل ، وأكثر شعره فى الغزل ، فيطلع عليك بأرق الكلام ، وأعذبه ، حتى ليخيل إليك أنه لا يقول شعرا ، ولكنه ينفث سحراً ! ! ! ومع هذا لا ترى فى نسيبه عنفاً ولا عربدة ، على نحو ما يصنع متكلفو الغزل من الشعراء ! ! ! ، ذلك بأنه ترجم عن حسه فحسب ، فلم يتكلف ، ولم يتعمل

لاصطياد المعانى النائية ، ولم يتعمد المبالغات النابية ، ليزين بها نظم القريض ، وإذا كنت ممن يعرفون السيد الفاياتى وما أوتى من وداعة الطبع ، وارتياح النفس ، آمنت من فورك بصحة هذا الكلام .ومن مميزات شعره :

التأنق فى اختيار اللفظ مع صفائه وعذوبته . وابتداع صور من المعانى لم يسبق إلى أكثرها . وجمال التشبيهات المنتزعة من المدركات الحسية . واستقلال كل بيت من قصيده بفكرة مستقلة . وتخير الأوزان والقوافى التى لم يطرقها كثير من الشعراء

ومن غزل الفاياتى فى صدر قصيدة وطنية ، وهو فى شرعة الأدب بدع من البدع لا شعر من الشعر ، قوله :

هتفت باكية يوم الظعن ... ليت هذا البين لم يملك حسن
غضبة الله على يوم النوى ... إنه دل على القلب الشجن
آه من وقفة بين لم تذر ... دمعة فى مقلة الظبى الأغن
مقلة ملأى بسحر لم تبت ... ليلة فى الدهر ملأى من وسن
وفؤاد أسكنته لوعة ... ود من طول خفوق لو سكن
أقبلت مطلقة من قرطها ... زهرة أولى بها ذاك الفنن
تخلط الدل بمضنى حزن ... حر قلبى ، من دلال فى حزن(١)

الشيخ محمد الأسمر

الأسمر معروف فى شتى الأوساط الدينية ، فهو عالم من علماء الأزهر ، وموظف فيه ، كما هو معروف فى الأوساط الأدبية ، حيث يحبه الناس ويعرفونه بزيه الأزهرى الأنيق ، وبظرفه المشهور ، وبأدبه وشعره الذائعين .

وقد ولد بمدينة دمياط فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٠٠ ميلادية .

وفى الثامنة من عمره تقريباً دخل تلميذاً بإحدى المدارس الأهلية بمدينة دمياط وكان من العلوم التى يتلقاها فى المدرسة حفظ القرآن وقد حفظ نصفه بها . وبعض المحفوظات الأدبية شعراً ونثراً ، والنحو ، والاملاء والحساب .

وتخرج من هذه المدرسة سنة ١٩١٤ وزاول التدريس بها شهوراً .

لم يسترح إلى التدريس ، وكان فى فطرته حب الشعر والميل اليه ، ومما ساعد على إظهار ذلك الميل المحفوظات الأدبية التى كان يدرسها بالمدرسة الأهلية ، وما كان

(١) من كلمة للأديب السيد العنانى عن الشاعر فى مجلة الأزهر .

يسمعه من قصة أبى زيد الهلالى على الربابة بمقاهى دمياط ، حيث كان يستمع اليها وهو فى طفولته مع بعض الأطفال الواقفين بجوار المقهى وهو لايجرؤ على دخوله ولا تسمح له تربيته المنزلية والمدرسية بذلك الدخول ، فلما شب قليلا استغنى عن ذلك الوقوف بشراء قصة أبى زيد وغيرها من القصص المعروفة فى ذلك الحين مثل قصة سيف بن ذى يزن وغيرها وكان يقرأ هذه الاشعار وهـــذه القصص فى نهم شديد ونشوة تأخذ عليه كل مشاعره .

ثم أحس برغبته إلى الاستزادة من التعلم وحدث أن قابل بعض طلبة معهد دمياط الدينى واطلع على ما بأيديهم من الكتب فرأى علوماً جديدة بالنسبة له فشاقه ذلك إلى دراستها فالتحق بالمعهد طالباً فى سنة ١٩١٥ .

وفى سنة ١٩٢٠ غادر معهد دمياط ليلتحق بمدرسة القضاء الشرعى وقد نجح فى امتحان المسابقة لدخول هذه المدرسة وظل بها ثلاث سنوات ثم ألغت الحكومة المصرية لأسباب سياسية هذه المدرسة وكانت من خير المعاهد العلمية فالتحق طالباً بالأزهر بعد ذلك .

وزاول فى أثناء التحاقه طالباً بالازهر التصحيح بجريدة السياسة التى كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين بمصر يعمل بها مساء حتى الساعة الثانية بعد نصف الليل وفى الصباح يحضر دروسه طالباً بالازهر ، واستمر على ذلك ثلاث سنوات . . . كان فيها يجمع بين العمل ليلا ونهاراً ، فى الليل مصحح بجريدة السياسة ، وفى النهار طالباً بالازهر وفى ذلك الحين كانت تنشر له جريدة « السياسة الأسبوعية » قصائده الشعرية ومقالاته الأدبية ، وكان يحبه ويعجب به المغفور له الشيخ مصطفى عبدالرازق وكان الشيخ مصطفى عبدالرازق فى ذلك الحين مفتشاً بالمحاكم الشرعية .

تخرج من الازهر ونال العالمية النظامية سنة ١٩٣٠

ثم عين بعد ذلك أمين المحفوظات بإدارة المعاهد الدينيـة ، ثم معاوناً لمكتبة الأزهر ، ثم أمينا لمكتبة المعهد الدينى بالاسكندرية مع بقائه بالقاهرة منتدبا للعمل بمكتبة الأزهر ، ثم أمينا لمكتبة الازهر .

حينما غادر دمياط إلى القاهرة سنة ١٩٢٠ ، وجد أمامه آفاقا جديدة فاتصل بأدبائها وشعرائها كما اتصل بالكثيرين من رجال السياسة بها وعكف على قراءة الكثير من الكتب الادبية ودواوين الشعراء قديمهم وحديثهم ، واستطاع بمثابرته أن يكون وهو طالب من شعراء مصر النابهين .

دخل مسابقات شعرية كثيرة نال فيها الجائزة الأولى ومن هذه المسابقات المسابقة التى أقامتها إذاعة لندن بين شعراء البلاد العربية أثناء الحرب العالمية الثانية فقد فازت قصيدته «الديمقراطية» بالجائزة الأولى بين شعراء العالم العربى ، وقالت عنها جريدة الاهرام إن هذا الفوز الأدبى فوز لمصر ، وهذه القصيدة فى ديوان الأسمر ص ٤٤١ فى باب اجتماعيات .

كان بينه وبين أنطون الجميل رئيس تحرير جريدة الاهرام صداقة ومودة وكان أنطون الجميل يعجب بشعره كثيراً ، وكان لهذا الاعجاب ولجريدة الاهرام الاثر المحمود فى نفس الشاعر ، كما كان للمغفور له الشيخ مصطفى عبدالرازق ولجريدة السياسة الاسبوعية أثرها المحمود فى أدبه قبل ذلك حينما كان الشاعر طالباً بالازهر .

ندب مرتين — وهو موظف بالازهر للعمل بوزارة الداخلية فى قسم مراجعة الكتب لإبداء رأيه فيها من الناحية الدينية والاجتماعية ، كما كان يؤخذ رأيه فى بعض الأفلام السينمائية الأجنبية قبل عرضها .

واختير عضواً فى لجنة النصوص بالاذاعة المصرية ، وعمل هذه اللجنة بحث الأغانى من الناحية الادبيـــة والاجتماعية لاقرار أو اختيار الصالح للاذاعة أو تعديله أو استبعاده .

كما اختير عضواً فى كثير من لجان المسابقات الشعرية .

وأنشأ فى جريدة الزمان المصرية باباً أسماه ركن الادب كان يشرف على تحريره ، وكانت الرسالة الاولى لهذا الركن الاخذ بيد الناشئين من الادباء وتمهيد الطريق أمامهم وأمام الشعراء المغمورين للظهور ، وقد لاحت لهذا الركن ثمرات طيبة فى وقت قصير ، وكان له أثره المحمود .

والاسمر لايتعصب لاى لون من ألوان الشعر بل يرى أنه من الحق الطبيعى لكل شاعر أن يغرد بما يتفق مع ميوله وفطرته . ولكنه يرى أن الشعر لابد له من أمرين : أولهما وضوح المعنى وثانيهما البراعة الفنية فى صياغة التعبير . . . وهو يعد هذين الامرين جناحى الشاعر الذين يحلق بهما فى سماء الشعر ، مثله فى ذلك مثل الطائر لايستطيع التحليق بغير جناحين ، لابجناح واحد .

ومن شعره الذى طبع : ديوان « تغريدات الصباح » طبعته ونشرته على نفقتها دار المعارف وقد نفدت كل نسخه ، وكتب مقدمة هذا الديوان المغفور له أنطون الجميل .. وأخرج بعد ذلك بمجموعته الكبرى المعروفة باسم ديوان الاسمر وهو يقع فى سبعمائة

صفحة تقريبا وقد تناولته بالبحث جميع الصحف والمجلات فى العالم العربى ، جمع الشاعر فى هذا الديوان كل شعره تقريبا حتى سنة ١٩٥٠ ميلادية : والذى وضع مقدمة هذا الديوان صديقه الشاعر القائمقام عبد الحميد فهمى مرسى .

ولدى الشاعر مجموعة من الشعر معدة للطبع عنوانها بين الاعاصير وهى مجموعة مانظمه بعد سنة ١٩٥٠ .

وأما نثر الشاعر فالمعد للطبع لديه كتاب « صور ومشاهدات » وهو مجموعة مقالات اجتماعية . . . وكتاب تعليقات أدبية . . . وهو الآن يفكر فى إعداد كتاب عنوانه « من الماضى » ، يذكر فيه بعض مامر به فى حياته أيام صباه وشبابه .

ومن شعر الأسمر قصيدته « الانسان » أو « ورحلة شهوة »

من شهوة ، من دافق بعدها ... من دودة ، من ذلك الدافق
أودعها الخالق فى ظلمة ... لم يدر مافيها سوى الخالق
تحيا وتنمو فى دياجيرها ... فى كنف المبدع والرازق
حتى إذا ماتم تكوينها ... وأقبلت من بيتها الضائق
وانحدرت من غيبها قطرة ... تهوى لبحر العيش من حالق
تعجب الكون لها دودة ... تجيئه فى منظر رائق
أصبحت الدودة طفلا له ... مالزهور الروضة الناضره
تراه فى المهد له نظرة ... باسمة ، مشرقة ، باهره
يدير فى غرفته عينه ... يسأل عما حوله ناظره
محدق فيما يراه بها ... يجيل فيها المقلة الحائره
كأنه فى مهده فاحص ... فكم له من نظرة سابره
ينظر فى عينى مستغرباً ... ياالجمال النظرة الساحره
بغامه أجمل فى مسمعى ... من بلبل غرد فوق الشجر
فى صوته العذب وأنغامه ... مالا أراه فى رنين الوتر
يبسم للدنيا ويشدوها ... لم يدر من أحوالها مااستتر
محرك أطرافه راجياً ... إن لم أبادر محله لو ظفر
أشرب راحاً من سرورى به ... لم يحسها فى حانه من سكر
فإن بكى كاد فؤادى له ... يقفز من جنبيه أو ينفطر
ثم حبا ، ثم مشى عابثاً ... بكل مافى البيت لايفتر

يردد الأقوال كالببغا ... وفعله تقليد ماينظر
تضحكنا منه محاكاته ... لكل مايسمع أو يبصر
وهو على مافيه من رقة ... عناده الصخرة لاتكسر
فطبعه غير مطاع فما ... أحلاه إذ ينهى وإذ يأمر
أصغر من فى البيت لكنه ... كأنه عائله الأكبر
ثم إذا بالطفل وهو الفتى ... مسترسل الوفرة غض الأهاب
يرنو إلى آماله باسماً ... يمرح فى جيئته والذهاب
مكتمل الصحة ، بادى القوى ... مؤتلق كالسيف ، أو كالشهاب
فى خفة الظبى ولكنه ... كأنه من عزمه أسد غاب
يجرى كما شاء ، وشاء الهوى ... له ، وينقض انقضاض العقاب
يضحك للدنيا ابتهاجا بها ... وإنما يضحك فيه الشباب
وربما أغرق فى كأسه ... وأذبل الزاهر من عمره
يعاقر الخمر وفيها له ... أنياب ظمآن إلى عقره
يشربها جمراً مذاباً ولا ... يحس لذع الجمر من سكره
نشوتهما أقدر من ساحر ... يودع ما يودع من سحره
فهو عليها عاكف غافل ... عن شر مايحسوه من خمره
شاربة شاربها !! لو درى ... ما أقرب الكاس إلى ثغره
وربما ألفيته فى الدجى ... مقامراً أعصابه تحرق
بينا تراه آملا باسما ... تراه وهو اليائس المحنق
فرحان حزنان معاً ، إن طفا ... فانه فى لحظة يغرق
فى حيرة ، مضطرب ، خائف ... فليس يدرى ماهو الأوفق ؟ !
كأنه يغشى عليه لما ... يلق من التفكير أو يخنق
ومن يقامر فهو فى غنمه ... أو غرمه يسرق أو يسرق
وربما ألفيته فى الهوى ... ألعوبة تلعب أنثى به
كأنه فى عشه كوكب ... يدور حول الشمس من جذبه
يسير فى آفاقه قابعاً ... لسيرها يصبح فى صبه
هام بها فهو لها خاضع ... فى شرقه إن لاح أو غربه

يحيا على هامشها مثلما ... يحيا سواء ، وهى فى قلبه ؟ ؟
فهى له دنياه : إن أعرضت ... ضاق به الكون على رحبه
إن وأصلته فهو فى وصلها ... يضمها أفعى إلى صدره
أو باعدته فهو فى بعدها ... يلقى الذى يلقاه من جمره
الحب ، ماالحب ؟ . وماسره؟.. أعيانى المكنون من سره
فأى شىء هو فى خيره ؟ ، ... وأى شىء هو فى شره ؟ .
كل غرام فهو ليل له ... بدر فلا تأمن إلى بدره
كم خدعت أنواره عاشقاً ... حتى رأى الصادق من فجره . .
وربما لام الفتى معشر ... يقال عنهم إنهم أتقياء
أطرق فى مجلسهم صامتاً ... وصاح فيهم منه طين وماء
قال لهم إنى أنا داؤه ... فهل لديكم للمريض الدواء ؟ ،
ألم يكن فى أصله دودة ... فكيف لايغمره الاشتهاء
فى الأكل والشرب ، وفى لبسه ... وجاه دنياه ، ودنيا النساء ؟ .
ومرت الأعوام فى سيرها ... مسرعة ، فى صمتها والسبات
على جوادين لها : أبيض ... وأسود ، لايعرفان الثبات (١)
كرهما أصبح منه الفتى ... يذوى كما يذوى نضير النبات
وراحت العلات تنتابه ... حتى إذا صاح غراب الشتات
أدركه ماليس يخشى الفوات ... ورفرف الموت عليه فمات
وانتهت الرحلة بعد الذى ... كان بها من متعة أو عذاب
قد فعل الموت به مثلما ... تفعله شمس الضحى بالضباب
فأين طفل الأمس؟. أين الفتى؟. ... وأين من كان شباباً فشاب ؟ .
أصبح فى جوف الثرى جثة ... حتى إذا طال عليها الغياب
عادت إلى الأصل ثرى فى الثرى ... وحلت الفطرة بين العباب
وقرت الشهوة فى قبرها ... وهى تراب أصله من تراب

---

(١) المراد بالجوادين هنا النهار والليل .

هيئات التدريس فى كليات الجامعة الأزهرية

فى ٢٤ مارس سنة ١٩٥١ اعتمد مجلس الأزهر الأعلى تكوين هيئات التدريس فى كليات الأزهر ، وقد راعى الأزهر فى تكوينها الأسس الآتية :

أولا : أن يرتب الأساتذة والأساتذة المساعدون حسب الأقدمية مع مراعاة الصلاحية والكفاية على أن يختار الأساتذة من بين مدرسى الدرجة الأولى والثانية والثالثة حسما تقضى المصلحة .

ثانيا : التوسع فى عدد الأساتذة المساعدين بحيث لا يتجاوز فى اختيارهم مدرسى الدرجة الرابعة على أن يقسم الأساتذة المساعدون إلى : (ا) ، (ب) بنسبة ٣ : ٤ حسب ترتيبهم فى الأقدمية .

ثالثا : يحتفظ للمندوبين خارج البلاد من الأساتذة ذوى الكراسى بكراسيهم، ويشغل مجلس الكلية هذه الكراسى بمندوبين حتى يعود أصحابها .

رابعا : تكون هيئة التدريس على الوضع الآتى .

١ ـ أستاذ حرف (ا) ، أستاذ حرف (ب) ، أستاذ حرف (ج) .

٢ ـ أستاذ مساعد حرف (ا) ، أستاذ مساعد حرف (ب) .

٣ ـ مدرس (ا) مدرس (ب) .

وعلى هذا الأساس نظمت هيئات التدريس فى كل كلية .

وعلى هذا أقر المجلس الأعلى أن تتألف هيئات التدريس فى كل كلية على حدة على النحو الآتى :

فى كلية أصول الدين

الاساتذة حرف (ا) محمد حبيب والدكتور محمد ماضى .

والأساتذة حرف (ب) عبد العزيز خطاب ومحمد الشافعى الظواهرى والدكتور محمود حب الله والدكتور عبد الحليم محمود وعبد القادر خليف .

وعين الأستاذ حسن أبو عرب والأستاذ أحمد حسيب الريس أستاذين حرف (ج)

وتتألف هيئة الاساتذة المساعدين حرف (ا) فى كلية أصول الدين من الاساتذة : ابراهيم جمال الدين ومحمود الخضيرى ومحمود شاكر عبد الله والشيخ محمد عبد الرحيم سلام واحمد عيسى الجرجاوى وبركات أحمد بركات والطيب النجار ومحمود سليمان سعد وأحمد على وابراهيم البرمبالى وعبده محمد عيسى وحسن شحاته والسيد القناوى

والامام مصطفى وبسيونى نجم الشرقبالى وصالح شرف ومحمد الدينارى وابراهيم المحيص .

وتتألف هيئة الاساتذة المساعدين حرف (ب) فى هذه الكلية من الاساتذة . حسن المشد ومحمد الاودن والسنوسى أحمد وعبد الفتاح السرنجاوى والدكتور محمد يوسف موسى ومحمد أحمدين وعبد الحميد شقير وابراهيم زيدان وعبد الحميد الشاذلى وأبو بكر ذكرى ومحمد يوسف الشيخ والدكتور محمد غلاب ويوسف عبد الرازق وعبد الرازق سليمان وعبد الرحمن شاهين وأحمد صقر وحامد زين الدين وعبدالسلام الزنفلى ومحمود العيسوى ومنصور رجب ومحمد سليمان بدير وأبو زيد شلبى ومحمد فتح بدران وطه الدسوقى العربى ومحمد أبو العيون .

وتتألف هيئة المدرسين حرف (ا) فى هذه الكلية من الاساتذة :

عبد الحميد ابراهيم ومصطفى يوسف موسى وصالح بكير خورشيد ومحمد المتولى سعد وعلى حموده وعبد الوهاب غزلان وبدوى عبد اللطيف وعبد الحميد بخيت وعبد الفتاح شحاته وعلى مصطفى الغرابى ومحمد على أبو الروس وسليمان دنيا ومحمد السماحى ومحمد بيصار وحموده غرابة ومحمد أبو شهبة ، وعين المشايخ : على جبر ومحمود فياض وسليمان خميس مدرسين حرف (ب) .

فى كلية اللغة العربية

وتتألف هيئة التدريس فى كلية اللغة العربية من حضرات الاساتذة :

أستاذ حرف (ا) محمد محيى الدين عبد المجيد وعبد الحميد ناصف والدكتور محمد البهى .

أستاذ حرف (ب) أحمد شرف والدكتور محمد الفحام .

أستاذ حرف (ج) محمد على النجار ومحمد كامل حسن النفاض .

أستاذ مساعد حرف (ا) عبد المتعال الصعيدى وابراهيم سليم وحامد مصطفى ويوسف شبانه وعبد المعطى الفضالى وعبد السلام يوسف وأحمد عماره ومحمد طنطاوى كبيش وأحمد الجبالى الجنجيهى وعبد الهادى العدل وأحمد شفيع ومحمود رزق سليم ومحمد صلاح الدين أبو على .

أستاذ مساعد حرف (ب) : عمر مرغنى وعبد الحميد عوض وحامد عونى وعبدالله الشربينى ومحمد المبارك عبدالله ومحمد سليمان البحيرى واحمد أبوغنيم وعبد الغنى اسماعيل ومحمد داود البيهى وعبدالسميع شبانه ومحمد عبدالجواد خضير ومحمود

مكاوى وجابر اسماعيل ويوسف حسن عمر وإبراهيم أبوعطيه وأحمد إبراهيم موسى

مدرسون حرف (ا) : أحمد رياض وعلى عبد الجليل وعبدالخالق سليمان وعبد العزيز أحمد وفهمى العنانى وبدير عبداللطيف وأحمد الحجار وحامد البلتاجى ومحمد مصطفى شحاته ومحمود جميلة ويوسف الضبع وأحمد كحيل ويوسف البيومى البسيونى وعبد الحميد المسلوت وعبداللطيف سرحان وحنفى عبدالمتجلى وحنفى حسنين ومحمد أبو النجا سرحان وزكى غيث ومحمد احمد عبدالرحيم وأحمد ابراهيم شعراوى وأحمد السيد غالى وعبدالحسيب طه حميده ومحمد نابل أحمد ومحمد عبدالخالق عضيمة ومحمد كامل الفلاح وأحمد عبدالعال أبوطالب وعلى إبراهيم البطشه ومحمد قناوى عبدالله وعبد المقصود السعداوى وابراهيم على شعوط وسليمان ربيع ومحمد رفعت فتح الله وإبراهيم محمد نجا وحسن محمد الشافعى الظواهرى ومحمد يوسف وأمين عبدالله فكرى ويحيى محمد عبد العاطى ومحمد جمعه حسنين وصادق خطاب ومحمد السيد نعيم ومحمد كامل الفقى وعبدالحميد عبده عطوه وعبدالعاطى محمد مصطفى ورياض هلال ومحمود محمد زياده وحسن جاد حسن ومحمد عبدالمنعم خفاجى ، وجاد محمد رمضان وعبدالعظيم الشناوى وعبدالسلام أبو النجا سرحان ومحمد مصطفى النجار وأحمد مجاهد مصباح وعوض الله جاد حجازى ومحمود فرج العقده .

فى كلية الشريعة

وتتألف هيئة التدريس فى كلية الشريعة من حضرات الأساتذة :

أستاذ حرف (ا) : محمد الجهنى وحامد جاد وعبدالحفيظ الدقتار

وأستاذ حرف (ب) : الدكتور على عبد القادر ومحمد الشايب وطه سلطان وعبدالله عامر .

وأستاذ حرف (ج) : محمد عبد السلام القيانى وعثمان صبره ومحمد عبد اللطيف السبكى

أستاذ مساعد حرف (ا) : محمد عبدالمجيد الشرنوبى وحسن على مرزوق ومحمد عبد الله الجزار وعبدالوهاب فره ومحمد سامون وعبدربه زيادة ومحمد سيداحمد جاد ومحمد هاشم الشيخ وحسين على إدريس ومحمد البسيونى زغلول وعبدالمجيد دراز وموسى اللباد وشبل يحيى ومحمود عبد الغفار ومحمود عبد الدايم وطه ناصر وسليمان داود وأحمد نورالدين ومحمد حبشى السعداوى ومحمود شهاب وإسماعيل الدوى وشيدشاهين ومحمد يوسف البربرى وعبدالعزيز نورالدين وإبراهيم سعده .

أستاذ مساعد حرف (ب) : محمد بدران وقطب سلامه وعلى عبدالمجيد وعلى الجنزورى ومحمد جيرة الله ومحمد على السايس وحسن المرصفى ومحمد الكشكى وسليمان عبدالفتاح ومحمد عيسى الشنتلى وعبدالحفيظ فرغلى وعبدالله المشد ويوسف المنياوى وسيد شرف وعبدالحميد حمدى ومحمد اسحاق الحداد ومحمد إبراهيم المحمودى ومحسن أبودقيقة وأحمد المسلمى وطه الدينارى ومحمد حسن شبانه ومحمد سليمان حرب وعبد الرحيم فرغلى وعبدالعظيم الرولى وعبدالعظيم بركه ومصطفى عبدالخالق ويوسف على يوسف ومحمود خليفه وعبدالحكيم على مصطفى ومحمد أبوالنور زهير ومحمد السيد طه .

مدرس حرف (ا) : محمد محيي الدين رزق وأبو العنين شحاته ومصطفى ماجد وعبد العزيز عيسى وبدر المتولى عبد الباسط وجاد الرب رمضان وابراهيم أبوالخشب وطاهر عبدالمجيد عبدالله وشمس الدين عبدالحافظ ومحمد عبد الوهاب بحيرى وأحمد أبوسنه وسيد جهلان وعبد الحكم عماره وعبد الغنى عكاشه وعيسوى أحمد عيسوى وأحمد ندا وعبد الغنى عبد الخالق وإبراهيم الدسوقى الشهاوى ومحمد عبدالنبى عبدالسلام وطنطاوى مصطفى وحسن مصطفى وهدان وعبدالسميع إسماعيل ويوسف شلبى وعبدالوهاب عبداللطيف وعثمان مرزوق ومحمد عبداللطيف الشافعى وعبدالعظيم فياض وعبد العال عطوه وزكى الدين شعبان ومحمد مصطفى شلبى وأحمد محمود الصاوى وإبراهيم عبدالمجيد .

مدرس حرف (ب) : محمد حسن فايد ومحمد أنيس عباده وعبد القوى عامر الزغبى وأحمد البهى وسيد خليل الجراحى وأحمد محمد سيد الحصرى ومحمد محمد فرج سليم . . . وقد وافق المجلس بعد ذلك على ما اقترحته اللجنة من نقل جميع المندوبين من المعاهد فى الكليات إلى الكليات بصفة نهائية وقبولهم ضمن هيئة التدريس بالكليات وكذلك وافق على تنظيم هيئة تدريس بالكليات ، على أن يختار الأساتذة من بين مدرسى الدرجات الأولى والثانية والثالثة ، ثم قرر التوسع فى عدد الأساتذة المساعدين بحيث لا يتجاوز فى اختيارهم مدرسى الدرجة الرابعة كما قرر أن يكون اختيار المدرسين من الدرجتين الخامسة والسادسة .

أما المدرسون الذين ليست لموادهم كراسى فقد وافق المجلس على أن يوضع لهم كادر مستقل عن الكادر الجامعى يطلق عليه اسم كادر المدرسين النظراء ، وأن يكون حكمه فى الترقية على أساس الأقدمية المشتركة بينهم .

ومنذ تكوين هيئات التدريس حتى اليوم وأساتذة الكليات يطالبون بأن يكون لهم كادر جامعى على غرار كادر الجامعات ، وللأسف لم يستجب لطلبهم العادل حتى اليوم .

ومع ذلك فلم يحقق رجاؤهم فى فتح أقسام الدراسات العليا المغلقة منذ ١٩٤٠ حتى اليوم ، وكان من المأمول افتتاحها لتظل صبغة الأزهر الجامعية موفورة له ، ولكن سياسة الأزهر لا تزال هى سياسة الرجعية الثقافية والعلمية ، وتعطيل شباب الأزهر من أداء رسالتهم .

أهداف الأزهر الجامعى

إن هدف الأزهر الجامعى يجب أن يكون هو حمل نصيبه من المسئولية فى ترقية العلوم الاسلامية والعربية ، والمساهمة فى نهضة البلاد العامة ، والعناية بالبحث العلمى ومتابعة تطوره على أتم وجه ، وتنمية الاستقلال الفكرى ، وأداء رسالته الدينية أداء كاملا .

ويتصل بهذا أن يعمل الطالب الأزهرى بنفسه لنفسه ، وألا يكون اعتماده على الأستاذ إلا للتوجيه أو لتوضيح ما استعصى عليه من المسائل .

وأن يبذل الأزهر مزيدا من العناية لتهيئة البيئة الجامعية الصالحة للطلاب ، وتوفير أسباب النشاط الدينى والروحى والثقافى والاجتماعى والرياضى لهم ، وتكوين اتحاد عام ينظم شئونهم الاجتماعية والثقافية .

ويجب أن يكون فى كل كلية مجلس للأساتذة والأساتذة المساعدين والمدرسين بإشراف عميد كل كلية ، ويكون من اختصاص هذا المجلس ما يلى :

الاختصاصات الادارية :

(ا) ترشيح المعيدين والأساتذة المساعدين والأساتذة غير ذوى الكراسى .

(ب) اعلان خلو مناصب المدرسين والأساتذة ذوى الكراسى .

الاختصاصات الدراسية :

(ا) وضع مناهج التدريس وتوزيعها على سنى الدراسة .

(ب) ترتيب الأعمال الدراسية التى يقوم بها أعضاء هيئة التدريس فى كل عام .

(ج) الاشراف على التدريس عن طريق الأساتذة وعن طريق تقديم كل عضو تقريرا سنوياً عن سير الدراسة فى مادته ، وما عنده من مقترحات فى هذا الشأن .

(د) القيام باعمال الامتحانات ومتابعة أحوال الطلاب فى دراساتهم .

الاختصاصات العلمية :

(ا) تهيئة المحيط العلمى والمكتبات واستقدام أساتذة زائرين للمحاضرة توجيها للبحث العلمى .

(ب) اقتراح البعثات والاجازات المدرسية لاعضاء هيئة التدريس، والاجازات الدراسية تجعل اما داخلية يتخفف بها العضو من التدريس ، أو ينقطع عنه لبحث علمى بعده . واما خارجية يسافر إلى بلد أجنبى ، لاعداد بحث علمى بعينه ويرسم خطته قبل السفر . وتخصص جوائز لمن يقوم ببحوث علمية ممتازة . ويجوز تفرغ بعض قدماء الاساتذة للبحث العلمى والاقتصار على التدريس فى أقسام الدراسات العليا ، لتكوين الطلبة فى هذه الاقسام ، بشرط أن يكون الاستاذ قد سبق له إنتاج علمى ممتاز متكرر ، وأن يكون قد بلغ من العمر الستين . وأن توافق اللجنة العلمية الدائمة على تفرغه .

(ج) القيام على نشر البحوث العلمية .

ومن الضرورى كذلك فتح أقسام الدراسات العليا فى الازهر وتكون الدراسة فيها على مرحلتين : مرحلة التحضير للشهادة العالمية ، ومرحلة التحضير لشهادة الاستاذية (الدكتوراه) وأن يختار الناجحون من المرحلة الاولى معيدين فى الكليات .

فهرست الجزء الثالث

صحيفة	الموضوع
٣	الباب السابع ـ رسالة الأزهر
٤٢	الأزهرى وواجبه الدينى والروحى
٤٤	الأزهرى كما ينبغى أن يكون
٤٦	الباب الثامن ـ آراء للأزهر فى مشكلاتنا الفكرية
٧١	الباب التاسع ـ ألوان ثقافية فى حياة الأزهر
٨٧	من صحائف الذكرى
٨٨	شعلة لاتنطفىء
٩٠	علماء من الأزهر
٩٦	أوقاف الأزهر
٩٦	بعض آراء فى الإصلاح
٩٨	الأزهر والذكريات القومية
١٠٢	إنتاج الأزهر العلمى
١٠٣	كلية اللغة تنشىء صحافة
١٠٥	الباب العاشر ـ شخصيات أزهرية
١٠٥	الشيخ محمد عرفة
١١١	« صالح شرف
١١٢	« محمد محيي الدين عبدالحميد
١١٢	« محمود شلتوت
١١٧	« كامل حسن
١١٤	« حسين خفاجى
١١٥	ترجمة المؤلف
١١٥	الشيخ عبد المتعال الصعيدى
١١٩	السيد حسن القاياتى
١٢٣	الشيخ محمد الاسمر
١٢٩	هيئات التدريس فى كليات الجامعة الازهرية

Mrs B. Dodge
5
Table No 71

يظهر قريبا كتاب :

رائد أزهرى فى الأدب المعاصر

للأديب الكبير الأستاذ حليم مترى

٢٠٠ صفحة

DATE DUE

B. D

MAR 1974

LG
511
C45
K45
v.3
c.1

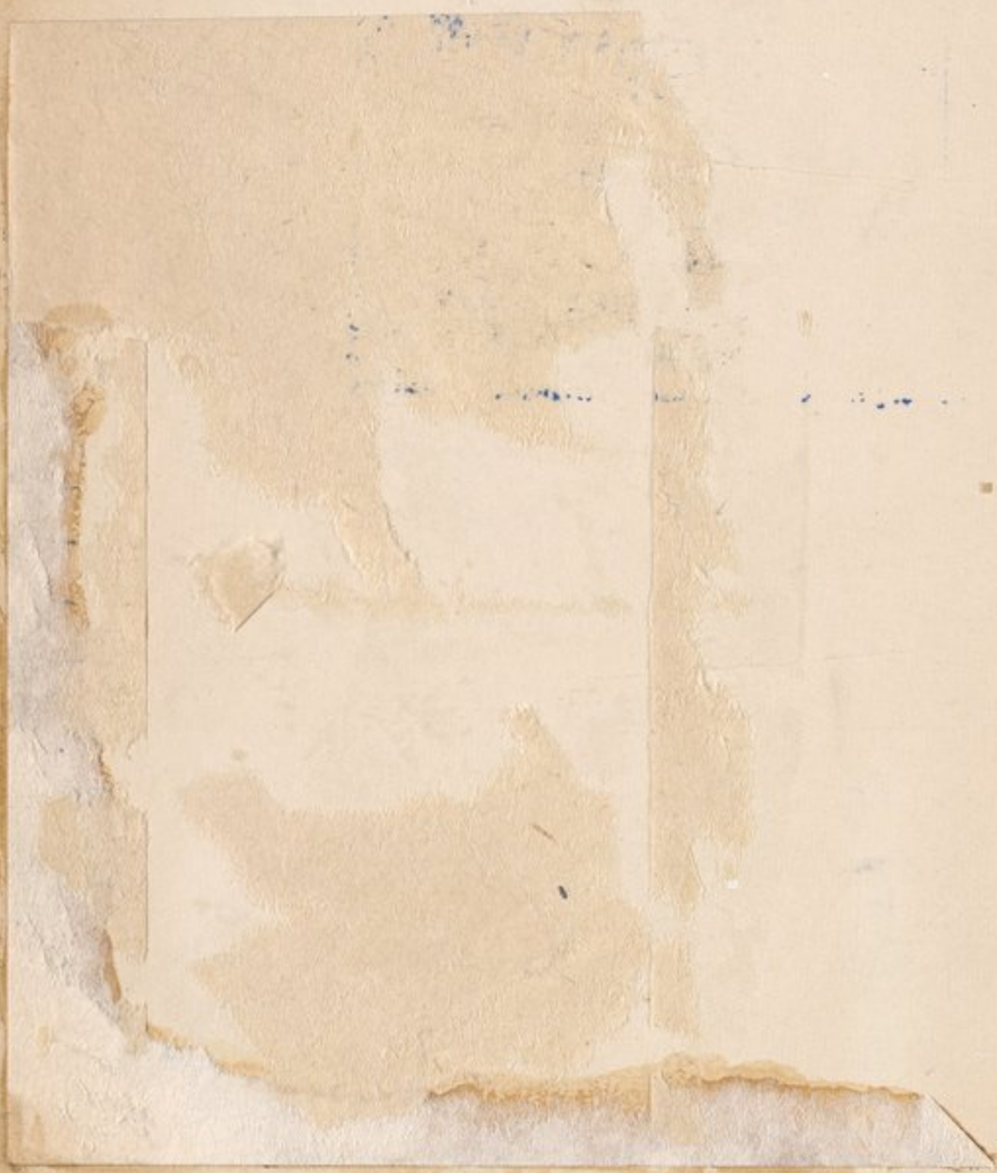

٣٧٧٫٨
م ع ١٠ ا ز